الخطاب الإعلامى والقضايا المعاصرة

الدكتور شعيب الغباشى

الخطاب الإعلامي
قضايا
تعليمية
سياسية
اقتصاد
طاقة
تنمية
اجتماعية
معاصرة



الخطـاب الإعـلامـى
والقضايا المعاصرة

* الغباشى ، شعيب .
* الخطاب الاعلامى والقضايا المعاصرة
* شعيب الغباشى
* ط 1 . — القاهرة : عالم الكتب؛ 2013 م
* 240 ص ؛ 24 سم
* تدمك : 6-910-232-977 * رقم الإيداع : 4465/ 2013
1- الاعلام
أ- العنوان 301.161

عالم الكتب

* الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 002023939027

* المكتبة :
38 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون: 23926401 – 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

www.alamalkotob.com -- info@alamalkotob.com

الخطـــاب الإعلامـــى

والقضايا المعاصرة

د. شعيب الغباشى

أستاذ الإعلام المشارك بجامعتى الأزهر

بالقاهرة والمملكة بالبحرين

عالم الكتب

قبس من الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

سورة الإسراء: الآيات [٨٢ - ٨٤]

إهــداء

إلى عشاق المعرفة النابضة
ومحبى الكلمة الحرة
وراغبى الثقافة الراقية
إلى حملة الكتاب الأمناء
وصناع الفكر الأوفياء
وقادة الرأى الشرفاء
إلى أساتذة الإعلام وخبرائه وطلابه
فى كل مكان من أرض الله
وإلى شبل الإسلام ابنى محمود
أهدى هذا الجهد المتواضع

فهرس الكتاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافى نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا حبيبنا محمد وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وبعد.

فهذا الكتاب، هو مجموعة من المقالات والدراسات المتنوعة فى مجال الإعلام والقضايا المعاصرة، سبق أن تناولتها وقمت بنشر الكثير منها فى الصحف والمجلات العربية، عالجت فيها قضايا شتى من جوانب الحياة المختلفة، واخترت لها عنوانًا واحدًا يجمعها فى هذا الكتاب وهو: موضوعات خاصة فى الإعلام.

وأهدف من وراء وضع هذا الكتاب، أن أستعرض عددًا من الموضوعات التى قد لا تجد لها طريقًا لتناولها فى المقررات الإعلامية، ليتم مناقشتها ومدارستها، أثناء الدراسة، ومن ثم، يأتى هذا الكتاب متضمنًا لعدد من القضايا والموضوعات المختلفة والتى ترتبط بحياة الإنسان بشكل أو بآخر، فتعالجها من منظور إعلامى، لتضيف للقارئ العام والدارس المتخصص ألوانًا من المعرفة، نراها من وجهة نظرنا ضرورية وملحة، ولا أزعم أننى غطيت كافة القضايا والموضوعات، ولكنى حاولت أن أسدد وأن أقارب ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

ولقد جاء الكتاب فى مقدمة وثمانية فصول، تناول الفصل الأول، موضوع الصورة الذهنية فى وسائل الإعلام وجاء الفصل الثانى بعنوان: الإعلام وقضايا المجتمع، فتحدثت فيه عن الإعلام والوعى الصحى والحريات الإعلامية والإعلام والأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة والإعلام وترسيخ ثقافة البر بالوالدين وغيرها من الموضوعات التى تمس الإنسان العربى عامة والبحرينى خاصة، بينما جاء الفصل الفصل الثالث بعنوان: الدور الحضارى للإعلام فتحدثت فيه عن خصوصية الإعلام الإسلامى وعن المواقع الإلكترونية الإسلامية وعن الإعلام والدعوة وعن مواصفات الصحافة التى ننشدها والدور الحضارى للصحافة الإسلامية.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: الإعلام والأسرة فتحدثت فيه عن حجاب المرأة فى الصحافة الإلكترونية وعن الإعلام وقضية العنف مع الأطفال وضربهم وكذلك عن كيفية استفادة الأطفال من مجلاتهم، بينما جاء الفصل الخامس بعنوان: الإعلام والقضايا الخارجية فتناول الإعلام والمسلمون فى أمريكا وتداعيات أحداث ١١ سبتمبر على الدعوة الإسلامية، وجاء الفصل السادس بعنوان: الإعلام فى مواجهة التيارات المعاصرة، وتناول بالحديث موضوع التيارات الفكرية المعاصرة والإعلام والهوية الإسلامية وموقف الإعلام الإسلامى من التيارات المعاصرة وأخيرًا تحدثت عن إستراتيجية للإعلام الإسلامى لمواجهة التيارات المعاصرة.

أما الفصل السابع فجاء بعنوان: الخطاب الإعلامى الموجه للشباب العربى، تناولت فيه مفهوم الخطاب الإعلامى وتحدثت فيه عن أهمية مرحلة الشباب واحتياجاتهم وعن تأثير الإعلام على الشباب وكذلك الأساليب الإعلامية المستخدمة فى مخاطبة الشباب.

وجاء الفصل الثامن والأخير بعنوان: خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية، فتحدثت فيه عن ماهية الصحف العربية المهاجرة، وعن الأسباب التى أدت إلى ظهور الصحافة العربية المهاجرة، كما تناول هذا الفصل طبيعة خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية وتحدثت أيضًا عن مصادر تمويل تلك الصحف، وأخيرًا تحدث الفصل عن دور الصحف العربية المهاجرة فى بث الوعى.

هذه هى الموضوعات التى تناولها الكتاب ولا أدعى أننى أتيت بها لم يأت به الأوائل ولكنها محاولة واجتهاد، حسبى أنى بذلت وسعى فى أن يأتى الكتاب مشتملًا على العديد من الطروحات والعناوين والموضوعات ولا شك فى أن تناول هذه الموضوعات بالدرس والمناقشة أثناء المحاضرات مع طلابنا سوف يثريها ويجعل الفائدة منها أكبر وأوسع، فهذا ما نأمله ونرجوه ونسعى إليه، والله الموفق والمستعان، وعلى الله قصد السبيل، والحمد أولًا وآخرًا لله رب العالمين، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الصورة الذهنية ووسائل الإعلام

الصورة الذهنية ووسائل الإعلام

تمتد جذور الصورة الذهنية إلى البدايات الأولى للإنسان، وقد نوّه عنها اليونانيون والعرب فى مؤلفاتهم، التى بنى عليها «ولترليبمان» Wolter Lipp mann وآخرون مفاهيمهم للصورة، وأدخلوها نطاق الدراسات الإنسانية، فتنوعت التوجهات، وكثرت الحقول العلمية المتناولة لها[١].

وقد بدأ استخدام مصطلح الصورة الذهنية مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين كمصطلح ذو علاقة بالمنشآت التجارية، ولكنه ما لبث أن استخدم فى المجالات السياسية والإعلامية والمهنية المختلفة[٢]، ويرجع أصل كلمة image فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلى الأصل اللاتينى image، والذى يعنى المحاكاة والتمثيل[٣].

وقد تعددت مفاهيم الصورة الذهنية لدى علماء الاتصال، حيث عرفت على أنها حاصل جميع الانطباعات المكنونة فى وعى الجمهور عن شخص أو مؤسسة، ولا تنطبع هذه الصورة وتكتب مرة واحدة، ولكنها عملية متطورة بشكل متواصل فى وعى الأفراد وشعورهم[٤].

ويعرف الدكتور على عجوة الصورة الذهنية بأنها: الناتج النهائى للانطباعات الذاتية التى تتكون عند الأفراد أو الجماعات عن الآخرين، وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم[٥].

وترى الدكتور راجية قنديل أنها: عبارة عن تأليف وتركيب صناعى للواقع يمثل فيه الخيال قدرًا معينًا، وأن هذا التركيب قد يكون بسيطًا أو معقدًا، إلا أنه فى كلتا الحالتين قد يؤدى إلى التشويه، ومن ثم الابتعاد عن الحقيقة والاختلاف عن الواقع.[٦]

ويعرفها ريبستون وبيرلو بأنها: الصورة العقلية التى تتكـون فى أذهـان النـاس عـن الأفراد والجماعات والشعوب والمؤسسات المختلفة، وتتكون هذه الصورة من التجربة المباشرة أو غير المباشرة، وقد تكون عقلانية أو غير رشـيدة، وقـد تعتمـد عـلى الأدلـة والحقائق والوثائق، أو على الشائعات والأقوال غير الموثوقة، ولكنها فى نهاية الأمر تمثل واقعًا صادقًا لن يُمحى من رءوسهم(٧).

وكثـيرًا مـا يـرتبط مفهـوم الـصورة الذهنيـة image بمفهـوم الـصورة النمطيـة stereotype، فالصورة النمطية يعرفها الباحثون بأنها شىء مُكرر على نحـو لا يتغـير أو شىء متفق مع نمط ثابت أو عام وتعوذه السمات الفردية المميـزة(٨)، أو أنهـا معتقـدات راسخة لدى الفرد عن سمات جماعة ما من الجماعات(٩).

وأوضح الباحثون أن الصورة الذهنية تختلف عن الصورة النمطية من خـلال عـدة جوانب أخرى من أهمها:

١ـ أن الصورة الذهنية يمكن تغييرها حيث إنها تتسم بالثبات النسبى، أما الـصورة النمطية فليس من السهل تغييرها؛ لأنها تتسم بالثبات والجمود، وتعد مرحلـة لاحقـة لمراحل تكوين الصورة الذهنية.

٢ـ غالبًا ما تكون الصورة النمطية سلبية ومتحيـزة، أمـا الـصورة الذهنيـة فتكـون أحيانًا إيجابية، وأحيانًا تكون سلبية، وذلك حسب الظروف والمواقف.

٣ـ أن المصطلحين يشتركان فى دلالـتهما عـلى الـصورة الذهنيـة، ولكـن المـصطلح الأول يعنى مطلق الصورة عن الأشياء، فهو أعم وأشمل من المـصطلح الثـانى وعـلى هذا فمصطلح Stereotype ليس هو الصورة الذهنيـة، ولكنـه أحـد أنواعهـا أو صـفة لإحدى حالاتها، ومع ذلك فهو أكثر قوة وارتباطًا بمصطلح الـصورة الذهنيـة image وعملية الخلط بينهما تُعدُ واردة بنسبة كبيرة(١٠).

٤ـ أن مصطلح الصورة الذهنية العام يتضمن عددًا أكبر من الـسمات مقابـل عـدد أقل فى حالة مصطلح الصورة النمطية.

٥ـ أن تكوين الصورة الذهنية النمطيـة يعـد مرحلـة لاحقـة مـن مراحـل تكـوين الصورة الذهنية image لدى الإنسان، مما يعنى أن الـصورة الذهنيـة هـى أول مـا يـتم

تكوينه وتشكيله لـدى الجماهـير ومنهـا وعـلى أساسـها تتنـوع وتتفـرع أنـواع الـصور الأخرى[11].

ومن المصطلحات التى اشـتقت مـن مـصطلح الـصورة الذهنيـة، وتفرعـت عنـه مـصطلح الـصورة الإعلاميـة media image، ولقـد تعـددت أيـضًا مرادفـات هـذا المصطلح مثلما تعددت مرادفات مـصطلح الـصورة الذهنيـة بوجـه عـام، فقـد أطلـق البعض على مصطلح «الـصورة الإعلاميـة» الـصورة الجماهيريـة، أو الاتـصال العـام الإستراتيجى للصورة، أو دبلوماسـية الميـديا، وتعـد الـصورة الإعلاميـة مـن الـرؤى الخاصة للواقع والتى تقدمها وسائل الإعلام فى إطار مجتمع معين بكل ما يتضمنه مـن أنظمة ومؤسسات تؤثر على عمل وسائل الإعلام[12].

أو هى مجموعة السمات التى ترسمها وسائل الإعلام لدولة من الدول من خلال ما تقدمه من مضمون يتناول الحياة فى هذه الدولة[13].

ويعرف أحد الباحثين الصورة الإعلامية بأنها: الصورة المصنوعة من قبل القـائمين على وسائل الإعلام المختلفة، مـن خـلال صـياغة مـضامين الرسـالة الإعلاميـة عـلى اختلاف توجهاتها، وقد تكون هذه الصورة واقعية أو غـير واقعيـة حـسب توجهـات ووجهات نظر القائمين على صياغة الرسائل الإعلامية المكونة للصورة الإعلامية[14].

ويرى آخرون بأن الصورة الإعلامية تتميز بأنها تـصنع واقعًـا إعلاميًّـا مختلفًـا عـن الحياة الواقعية، لأنه لولا وجود هذا الاختلاف لما كان هناك مبرر يدفع الجمهور لقراءة الصحف أو مشاهدة التلفزيون أو سماع الراديو، فالحياة الواقعية لا يمكن أن ترقـى إلى مستوى البهاء والرونق الذى نُقدم به العالم مـن «الواقعيـة الإعلاميـة المـصنوعة» مـن خلال مزج الصورة الإعلامية المرجوة بالواقع الملموس للدولة مع التركيـز عـلى أهـم السمات المميزة للدولة بواسطة عملية «تغليف» الواقع بالمصنوع[15].

وقد أثبت هيث Hess بعد تحليل مـضمون التغطيـة الإخباريـة الدوليـة لمـدة سـبع سنوات أن أغلب دول العالم نادرًا ما يتم رؤيتها أو تصورها إلا عندما يذكر اسـمها فى وسائل الإعلام، أو عندما يزورها شخص مهم، أو عند ارتباطها بحدث مهم، ولذلك تسعى الدول إلى امتلاك وسائل الإعلام الحديثة واستضافة الأحـداث العالميـة وإنتـاج

مواد إعلامية عن طريق تنشيط إدارة الصورة الذهنية القومية National image management فى تكوين صورة إعلامية إيجابية لها بين دول العالم الأخرى(١٦).

وإذا كانت الصورة الإعلامية مشتقة من الصورة الذهنية العامة ومتفرعة عنها، فإن هناك من الباحثين من ذكر فروقًا بينهما حددها فى النقاط التالية:

١ـ أن الصورة الذهنية، مفهوم كلى عام، أما الصورة الإعلامية فهى نوع من أنواع الصورة الذهنية العامة، أى بينهما عموم وخصوص.

٢ـ أن الصورة الذهنية مصطلح قديم ارتبط بالدراسات النفسية والاجتماعية على خلاف الصورة الإعلامية التى ارتبطت بالدراسات السياسية والإعلامية.

٣ـ أن عامل الشك فى الصورة الإعلامية يحتل نسبة كبيرة، نظرًا للتحيز الكبير فى بعض وسائل الإعلام المكونة للصورة، وسيطرة بعض الأنظمة على تلك الوسائل فى الدول النامية أو سيطرة أصحاب رؤوس الأموال فى الدول الغربية.

٤ـ أن الصورة الإعلامية دائمًا تأتى وتظهر «مشوشة»، وهذا ناتج عن طريق عرض الصورة الإعلامية للدولة فى أكثر من وسيلة إعلامية وبطرق وأساليب وأشكال مختلفة من جانب المؤيدين تارة ومن جانب المعارضين تارة أخرى(١٧).

ولا شك أن هناك وسائل إعلامية كثيرة تعمل على تكوين وتشكيل الصورة الذهنية بشكل عام والصورة الإعلامية بشكل خاص، ولعل من أهم تلك الوسائل هى المطبوعات بصفة عامة، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن الوسائل المطبوعة تتفوق على الوسائل الأخرى بالنسبة للجمهور القارئ وذلك لما تتميز به من مقدرة على عرض التفاصيل الدقيقة والموضوعات الطويلة التى تساعد على توضيح الأمور للقراء وتهيئ لهم فرصة الدراسة المتأنية، بالإضافة إلى إمكانية قراءتها فى الوقت والمكان المناسبين، مما يضفى عليها صفة الخصوصية(١٨).

وتقف الصحافة فى طليعة الوسائل المطبوعة فى التأثير على الجمهور، والصحافة لها كذلك دور مهم فى تكوين الصور نظرًا لأنها تتميز بالعمق فى التفكير والصبر على البحث وتحمل فى طياتها الرأى المدروس وتتيح للقارئ فرصة للتأمل والتمعن فى المطبوع الذى بين يديه أكثر من مرة، وهو فى كل مرة يزداد من الفكرة ويتمكن من تقليب وجوه الرأى فيها(١٩).

ويتزايد أهمية المضمون الذى يقدم من خلال وسائل الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية فى حالة غياب الخبرة المباشرة أو التجربة الشخصية، حيث يضطر الأفراد إلى فهم وإدراك الظواهر والأشياء اعتمادًا على الخبرات غير المباشرة من خلال وسائل الإعلام، وهناك الكثير من العوامل التى تهيئ لوسائل الإعلام القيام بهذا الدور:

١ـ الانتشار الواسع لوسائل الإعلام وقدرتها على الاستقطاب والإبهار وخاصة بعد ظهور شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» وانتشار الأقمار الصناعية وتعدد القنوات الفضائية القادرة على الاستيلاء على أوقات الجماهير ومناقشتها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

٢ـ اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام وبالذات فى أوقات الأزمات وتطور الأحداث والصراعات الدولية وهذه التأثيرات إما معرفية تتعلق بالتغيير فى المعلومات والمعارف أو تأثيرات وجدانية تتعلق بالنواحى العاطفية مثل الخوف والقلق أو تأثيرات سلوكية.

٣ـ قدرة وسائل الإعلام على التأثيرات فى الرأى العام وعمليات التنمية والثقافة والاتجاهات والتراث والعادات والتقاليد والفن والسياسة والاقتصاد بل والتأثير فى كل شىء يتصل بالفرد والجماعة بل والحياة ذاتها.

وتعد وسائل الإعلام أهم القنوات التى يعتمد عليها الأفراد للحصول على المعلومات والمعرفة عن الأحداث العالمية والدول الأجنبية، حيث يقف الفرد يوميًّا أمام سيل جارف من العناوين والأخبار والصور ووجهات النظر التى من شأنها أن تؤدى إلى خلق وتدعيم الصور الذهنية أو النمطية ليس فقط عن الدول التى تصدرها وإنما لكافة الدول، ومن ثم تمارس دورها فى التأثير عن الرأى العام، ولا تمثل الصورة الإعلامية التى تكونها وسائل الإعلام تجسيدًا محايدًا أو موضوعيًّا للواقع، بل هى تجسيد مشروط بهوية الوسيلة وأهدافها الإستراتيجية، فالصورة التى تطرحها وسائل الإعلام تعكس تصورات القائم بالاتصال فى المؤسسات الإعلامية لدولة أو شعب ما، فهى فى الوقت نفسه تمارس نوعًا من التأثير على الرأى العام والجمهور الذى تعرض عليه حيث يستخدمها فى رد الفعل المتكامل باستخدامه للمعلومات التى تتضمنها الصورة مناقشته وتحليلاته للأحداث.

لذلك يمكن القول بأن الصورة الإعلامية التى تقدمها وسائل الإعلام تشارك فى صياغة الصور الذهنية المستقرة فى وعى الأفراد والجماعات وتبرز أهمية وسائل الإعلام فى نقل ما يتعلق بالقضايا، والدول الخارجية التى تضيق أو تنعدم للغاية مصادر المعلومات لدى الأفراد حولها سوى من وسائل الإعلام التى تمدهم بهذه المعلومات، ومن ثم يعمد الأفراد إلى تكوين صورهم الذهنية عن هذه الأشياء من خلال ما يحصلون عليه من معلومات، حيث ترتبط هذه الصور التى يقدم من خلالها الحدث أو القضية.

ومن هنا تبدو أهمية الدور الذى تقوم به وسائل الإعلام فى الانتقال بالأغلبية التى تظل عاجزة عن الانتقال من دولة إلى أخرى، وبذلك بما تقدمه لهم من معارف وآراء حول حياة هذه المجتمعات ونظمها السياسية والاقتصادية ودورها فى التاريخ البشرى ومكانتها فى صراع الحضارات ولما تمثله فى العالم اليوم، وكذلك مواقفها من قضاياهم ومشكلاتهم بل وستستطيع وسائل الإعلام إعادة كتابة التاريخ والتأثير فى تاريخ الشعوب وتعتبر الذكريات العامة لجيل بأكمله وذلك عن طريق الاهتمام بشخصيات معينة دون غيرها والتأكيد على موضوعات وأحداث دون أخرى واختفاء الأهمية لبعض الأدوار مما يؤكد على قدرة وسائل الإعلام على التأثير فى الصور القائمة وإحداث تغير بها لدى دولة عن دولة أخرى.

ويلعب التدفق الإعلامى من جانب واحد واحتلال الدول العظمى لأغلبية مصادر المعلومات والأخبار دورًا فى تشكيل صورة ذهنية مشابهة لتلك الصور المكونة لدى هذه الدول مما جعل قضية التبعية الإعلامية تمتد لتشمل أيضًا تبعية الصورة الذهنية المكونة لدى دول العالم الثالث للصورة الذهنية المكونة للدول العظمى كانعكاس لتأثير القوى الكبرى على التدفق الإعلامى والتأثير الثقافى والتفوق فى استخدام وسائل الإعلام وتشكيل هذه الصورة المنقولة خطورة على إدراك الأفراد والجماعات إذا ما انفردت وسائل إعلام الدول الكبرى بتقديمها دون غيرها.

وتتأثر عملية صناعة القرارات بالصورة التى تقدمها وسائل الإعلام وفقًا لرأى بولدنج Boulding الذى يعتمد فيه السلوك السياسى على الصورة الذهنية كما أن العملية السياسية هى عملية اتخاذ قرارات تأتى استجابة للصورة التى ترسمها وسائل

الاتصال للمجتمع، ويوجد ارتباط وثيق بين الصورة الذهنية والقرار، وبقدر دقة الصورة المتكونة لدى صانع القرار تكون أراؤه وتصرفاته ناجحة، وبقدر عدم صدقها يكون الإخفاق فى التوصل إلى الاختيارات الصحيحة والملائمة من بين البدائل المختلفة.

ويمكن القول بأن عددًا كبيرًا من صناع القرار لا يستجيبون للحقائق الموضوعية للمواقف بقدر ما يخضعون لتأثير ما لديهم من صور عن أنفسهم وعن العالم الذى سيتعاملون معه وهو ما يفسر العلاقة الوثيقة بين الصورة والقرار، فالصورة هى الإطار النفسى العام لاتخاذ القرارات، أو هى البيئة النفسية التى تم فيها عملية صنع القرار، كما أن صورة الدول التى تجمعها مجموعة من الخصائص تؤثر هى الأخرى على سلوك المجتمع نحو تلك الدولة بحيث يمكن القول: إن الصراع الدولى لا يكون بين الدول بقدر ما يكون بين الصور المنحرفة التى تكونها الدول عن بعضها البعض، وتسعى وسائل الإعلام للتأثير على الصورة الذهنية لدى الأفراد وذلك من خلال ما يلى:

١ـ الأحداث المثيرة: كالأزمات الدولية والحروب والثورات واغتيال الزعماء والفضائح المتعلقة بالحكم والمشكلات الاقتصادية والاكتشافات العلمية، وعلى سبيل المثال الرئيس الأمريكى الأسبق «بيل كلينتون» يتعرض لما لم يتعرض له أى سياسى أخر، فقد استغل الإعلام الأمريكى نقطة الضعف الرئيسة عند كلينتون، وهى النساء، فالرجل على ما يبدو عاشق للنساء يسيل لعابه أمام امرأة مهما كان مستوى جمالها، فقامت وسائل الإعلام الأمريكية بتفجير العديد من الأحاديث والتحليلات حول غراميات ومغامرات السيد الرئيس النسائية ويبلغ التقديم أقصاه عند عرض قصة مع المتدربة السابقة فى البيت الأبيض «مونيكا لوينسكى» وتتصاعد الأحداث لتصل لدرجة تهديد الرئيس بالعزل من منصبه ومحاكمته أمام الكونجرس، ثم يخرج الرئيس ليتحدث عن أخطائه أمام الكاميرات وعلى الهواء مباشرة معلنًا اعتذاره عن هذه الأخطاء وعما سببه من قلق نفسى لأسرته وللآنسة «مونيكا لونيسكى»، وتترقرق الدموع فى عينيه وهو ينظر إلى زوجته السيدة هيلارى التى تقف إلى جواره فى تماسك شديد يحسدها عليه نساء ورجال العالم ثم يعرض المحقق القانونى المستقل «كينث ستار» ملفًا ضخمًا يحوى أدق تفاصيل علاقة «كلينتون» و«مونيكا» ويعرض الملف على

الجمهور عبر شبكة الإنترنت، المهم أن هذا الحدث الملىء بكل وسائل الإثارة تحول إلى حدث سياسى عالمى حول مصير رئيس القوة العظمى الوحيدة فى عالم اليوم، ولكن المخرج الخفى لهذه الدراما السياسية، يأبى أن تنتهى نهاية غير سعيدة فيحصل الرئيس على البراءة ولعل هذا المخرج قد تأثر بالسينما المصرية التى تميل إلى النهايات السعيدة ولكن الأمر مختلف فى عالم السياسة، فبعد حصول الرئيس على البراءة تجدد الحديث حول ما سيفعله الرئيس مع خصومه السياسيين، وهل سيتجه إلى الصفح أم الانتقام.

٢ـ الأحداث المتراكمة: وهى الأحداث التى يستغرق حدوثها فترة طويلة من الزمن وتتكون من عدد كبير من الأحداث الصغيرة كالاحتلال الإسرائيلى المستمر لفلسطين منذ عام ١٩٤٨م.

٣ـ الأحداث الطبيعية «الكوارث»: وهى الأحداث التى لا دخل للإنسان فى وقوعها مثل الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية كمد جنوب شرق آسيا ٢٠٠٤م.

٤ـ الأحداث المصطنعة: وهى الأحداث التى تضخم خبراتنا بصورة غير عفوية وتتم نتيجة لإعداد مسبق، ومن أمثلة الأحداث المصطنعة قيام جماعة يهودية فى أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر بإصدار كتاب لمؤلف مسلم هاجم فيه الإسلام مما استثار حفيظة المسلمين، فاستغلت الجماعة اليهودية ذلك، وقامت بنشر إعلان تدعى فيه صدور فتوى ـ وهمية ـ من الأردن بإهدار دم المؤلف فى محاولة بتدعيم الصورة السلبية لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين، وكذلك ادعاء الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وقامت الحرب على هذا الأساس ثم اتضح عدم امتلاك العراق لمثل هذه الأسلحة وعلى الرغم من أهمية الأحداث المختلفة، إلا أنه يوجد عوامل أخرى تلعب دورًا مهمًا فى تكوين الصورة الذهنية منها:

أ) الاتصال المباشر: الذى يشكل الجزء المهم من عملية التفاعل مع البيئة المحيطة بنا والتى تكون الصورة الذهنية على أساسها ويعد الاتصال المباشر أحد العوامل المهمة فى خلق الصور الجامدة بين الشعوب، حيث لا ينتج ذلك إمكانية تكوين صور قريبة من الواقع للذات أو الآخرين.

ب) **الإدراك**: وهو العملية الفعلية التى تتم من خلالها معرفتنا بالعالم الخارجى عن طريق التنبيهات الخارجية، أو بعبارة أخرى: هو الطريقة التى يقوم الفرد بمقتضاها بتناول ومعالجة المعلومات وتقييم المثيرات الخارجية والتى ترد إليه جميعها من خلال الحواس وطريقة الاستجابة لهذه الأحاسيس أو الانطباعات، فنحن عندما نقوم بتجديد ما سندركه فإن صورنا الذهنية واتجاهاتنا وتجاربنا السابقة وتوقعاتنا عن المستقبل تعمل كمرشحات تمر من خلالها المثيرات الخارجية بحيث تعدل هذه المرشحات إدراكنا لأى تجربة من التجارب الجديدة.

ج) **قادة الرأى**: باعتبار ما يقومون به من دور مهم فى تشكيل الصور الذهنية من خلال اختيارهم أو إخفائهم للمعلومات التى تتناسب مع اهتماماتهم وآرائهم ودورهم الاجتماعى وهم يتأثرون فى ذلك بمواقعهم، ومواقع من يعملون معهم، وقد تشكل هذه العملية خطورة كبيرة على الصورة الذهنية عندما تسهم فى تشكيل صورة مشوهة يقوم قادة الرأى بصنعها وتوجيهها حسب ميولهم السياسية وأهوائهم غير الموضوعية.

د) **الجماعات المرجعية**: وتؤثر الجماعات المرجعية فى تكوين الصور الذهنية لدى الأفراد نظرًا لتوفير ميزات الاتصال المباشر المتكرر وقلة العدد الذى يسمح بتبادل الآراء والتعمق فيها[٢٠].

هوامش ومراجع الفصل الأول

١) عبد الراضى حمدى البلبوشى ، صورة مصر فى العالم الإسلامى ، القاهرة ، دار البيان ، ط١ ، بدون تاريخ ، ص٣١.

٢) على عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص٣.

٣) عبد القادر طاش ، صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص٢٠.

4) Jinzhao: The importance of image survey improving effectiveness of communication programs. Public relations quarterly, vol., 44 No., 2, summer 1999, P. 27.

٥) على عجوة ، المرجع السابق ، ص١٠.

٦) راجية قنديل : صورة إسرائيل فى الصحافة المصرية ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الإعلام ، ١٩٨١ ، ص٣٣ـ ٣٤.

7) Berlo, David K. : The process of communication an introduction to theory and practice. (san Francesco : Rienhort press, 1960) P. 129.

٨) منير البعلبكى ، المورد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢٨ ، ١٩٩٤ ، ص٩٠٦.

9) Alexis, Tan, Yuk Fujiaha and Nancy Luncht : Native American stereotypes : T.V. Portrays and Personal contact. Journalism quarterly, Vol. 74 No. 2. summer 1997 P. 205.

١٠) جابر عبد الموجود الطهاوى، الاتجاهات العالمية الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية ، ص٦ـ٧.

١١) عبد الراضى حمدى البلبوشى ، المرجع السابق ، ص٦٣.

١٢) أشرف أحمد عبد المغيث ، دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث ، لدى الشباب المصرى ، ماجستير ، غير منشور ، جامعة القاهرة ، كلية الإعلام ، ١٩٩٣ ، ص٧٩.

١٣) على عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط ١٩٨٣ ، ص١٢٩.

١٤) عبد الراضى حمدى البلبوشى ، صورة مصر فى العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٦٨.

١٥) إسلام شفيق ، صورة مصر فى الصحافة اليومية لدى مجلس التعاون الخليجى ، ماجستير ، غير منشور ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ٢٠٠١ ، ص

١٦) عبد الراضى حمدى البلبوشى ، المرجع السابق ، ص٦٩.

١٧) السابق نفسه ، الصفحة نفسها.

١٨) على عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة ، مرجع سابق ، ص٢٠٩ .

١٩) محيى الدين عبد الحليم ، الاتصال بالجماهير والرأى العام ، الأصول والفنون ، آلقاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص١٠٣ .

٢٠) راجع :

- جابر عبد الموجود ، الاتجاهات العالمية الحديثة فى بحوث الصورة الذهنية ، دراسة غير منشورة ، ص٨ وما بعدها .
- على عجوة ، الأسس العلمية للعلاقات العامة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ .
- حمدى حسن ، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط١ .
- Gail E. Myers & Michele tolela Myer, the dynamics of of human communication, (New York, sixth edition) 1992.

الإعلام وقضايا المجتمع

الإعلام والوعى الصحى

أدى الاتصال عامة والإعلام خاصة، عبر العصور دورًا محوريًا إزاء القضايا الاجتماعية والثقافية والصحية نتيجة ما توفره وسائله من سرعة وشيوع ونظرًا للارتباط الوثيق بين الإعلام والقضايا السائدة فى المجتمع، فالإعلام ينهل من الواقع بإفرازاته ومعطياته الغثة والسمينة فى آن معًا، ويعيد صياغة هذا الواقع ومعطياته بطريقة تسهم فى بلورة المواقف والاتجاهات والحلول للقضايا المأخوذة أساسًا من الواقع،ولعل الإعلام أبرز أدوارًا مهمة فى معالجة اتجاهات ومواقف وسلوكيات الأفراد الخاطئة إزاء العديد من المظاهر السلبية فى المجال الصحى وخصوصًا خلال انتشار الأوبئة فى العديد من دول العالم.

ولكن صورة الإعلام بدأت تأخذ منحى القوة والبروز فى معالجة المشكلات الصحية منذ ظهور الراديو مع بداية القرن الفائت، وتعمقت هذه القوة مع ظهور وانتشار التليفزيون الذى أخذ يقدم الصورة مرفقة بالكلمة مبينًا الأضرار والمخاطر التى تحيط بالأفراد نتيجة بعض السلوكيات غير السوية، كذلك غدت هناك أيام معينة خلال العام تركز فيها القنوات المرئية والمسموعة والوسائل المطبوعة على معالجة وتوجيه انتباه الأفراد على الصعيد العالمى إزاء بعض المخاطر، نتيجة بعض السلوكيات الخاطئة كالتدخين والإيدز والسرطان والوباء الكبدى والطاعون [1].

ولما كان داء الإيدز من أخطر وأبشع الأوبئة التى أصيب بها الإنسان فى العقود الأخيرة، كان من الواجب على الإعلام أن يقوم بدوره المنوط به فى عملية التوعية ونشر الثقافة الصحية لدى المواطنين حتى لا يقعوا فريسة سهلة لهذا المرض اللعين، وخاصة فى ظل تزايد الأعداد التى تُصاب به سنويًا، فقد كشف تقرير نشره مركز الخدمات الطبية فى لندن، عن أن هناك ٢٣٫٢ مليون شخص فى العالم أصيبوا بمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) وأن نحو ١٨٠٠ شخص يُصابون بهذا المرض يوميًا فى

العالم، وأظهر التقرير أن أكثر دول العالم التى تنتشر فيها الإصابة بالإيدز هى غانا ونيجيريا والكاميرون، وأضاف أن عدد اليتامى الذين توفى آباؤهم بسبب الإيدز يصل حاليًّا إلى ١٥ مليون يتيم فى العالم [٢].

وإذا كان الأمر كذلك، من حيث طبيعة الخطر الذى يحدثه هذا المرض اللعين، فإن على مؤسسات المجتمع المدنى بأكملها أن تنهض بمسئولياتها للحد من انتشار هذا الوباء، وتوعية الجماهير بشكل يقيهم من شره وينجيهم من خطره، ولا شك أن أبرز الهيئات والمؤسسات التى يمكن أن تسهم بدور فاعل فى نشر الوعى الصحى والثقافة الصحية كى تحمى الجماهير، وتكون لديهم المناعة والقدرة على مواجهة داء الإيدز اللعين، هى الهيئات والمؤسسات الإعلامية بما تملكه من وسائل جبارة فى التأثير والتغير وسرعة الانتشار وسرعة الوصول إلى قواعد غفيرة وأعداد كثيرة من الجماهير، فى أقل وقت ممكن، وكلما كانت أعداد المصابين بهذا المرض اللعين قليلة والبيئة التى يظهر فيها محدودة، أدى ذلك إلى السيطرة عليه، من حيث المراقبة، والتوجيه والوقاية والتوعية، والعلاج، وكان ذلك أيضًا ، أدعى للتحكم فى الموقف وتحقيق نتائج إيجابية، على أرض الواقع فى مواجهة خطر هذا الوباء اللعين.

وفى دولة كمملكة البحرين فإن نسبة عدد المصابين بمرض الإيدز لا يتجاوز الألف، فقد أفادت رئيسة اللجنة الوطنية لمكافحة الإيدز بوزارة الصحة الدكتورة «سمية الجودر» أن حالات الإيدز فى البحرين تقدر بأقل من ألف حالة بحسب إحصاءات البرنامج المشترك بين وزارة الصحة والمكتب الإنمائى للأمم المتحدة، بمعدل حالة واحدة لكل عشرة آلاف نسمة، ولقد رفعت وزارة الصحة البحرينية فى المرحلة الراهنة شعارًا بعنوان «لنجعل البحرين خالية من الإيدز» وقد ألزمت البحرين نفسها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لدورة ٢٠٠١ ببرنامج عمل فعال للتصدى لانتشار الفيروس الخاص بنقص المناعة المكتسب والإصابة بالإيدز، وهذا أمر من حيث المبدأ ممتاز، ولا يبقى إلا التنفيذ بجدية [٣]. ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى ماهية وحقيقة هذا المرض الخطير الإيدز، على أنه مرض تناسلى يأتى نتيجة الإصابة بفيروس يهاجم خلايا الجهاز المناعى المسئولة عن الدفاع عن الجسم ضد أنواع العدوى المختلفة وأنواع معينة من السرطان، وبالتالى يفقد الإنسان قدرته على مقاومة الجراثيم

المعدية وأمراض السرطان المختلفة، ويسمى هذا الفيروس، فيرس نقص المناعة البشرى، والاسم العلمى لمرض الإيدز هو: «العوز المناعى المكتسب»، ولا يوجد حتى الآن علاج يشفى هذا المرض لذلك فالإصابة به تستمر مدى الحياة، وكلمة الإيدز مشتقة من الحروف الأولى للاسم العلمى باللغة الإنجليزية [٤].

ولكن مع كل ذلك فإن محاولات البحث والتجريب لدواء شافٍ مستمرة ولن تتوقف، وإذا كان مرض الإيدز بهذا القدر من الخطورة، فإن الواجب يحتم على كل من يملك وسيلة لتوعية الجماهير وحمايتها من الوقوع فيه، وللوقاية منه والابتعاد عن مصادر الإصابة به أن يقوم بدوره، ومن ثم فإن على كل مؤسسات الدولة أن تؤدى دورها المنوط بها فى هذا الصدد، بدءًا من وزارة الصحة إلى أصغر هيئة أو جمعية أهلية تعمل فى الميدان الاجتماعى وتختلط بالجماهير.

ولقد أقيمت الكثير من الندوات والمؤتمرات وورش العمل لدراسة مشكلات الإيدز ووضع الخطط والبرامج لمكافحته، وذلك فى العديد من العواصم العربية والغربية، ومن بين هذه الحلقات النقاشية تلك الحلقة التى عقدت فى البحرين تحت عنوان «دور الدين فى مكافحة الإيدز» و ذلك فى مقر بيت الأمم المتحدة بالتعاون مع اللجنة الوطنية لمكافحة الإيدز ووزارة العدل والشئون الإسلامية، ورأى علماء الدين فى هذا الصدد أن الأسرة الصالحة هى اللبنة الأساسية لبناء وحماية المجتمع، لذا وجب تشجيع إقامة الأسر طبقًا للشرائع السماوية وإزالة العوائق كافة عن طريق بنائها وحمايتها، مع التأكيد على أن الزنا محرم فى كل الشرائع السماوية وضرورة كسر حاجز الصمت من على منابر المساجد والكنائس والمؤسسات التعليمية، فيما يتعلق بهذا المرض الخطير [٥].

ويحسن بنا أن نقدم فى هذا المقام روشتة إسلامية وإعلامية لحماية مجتمعاتنا من طاعون العصر « الإيدز» وتتمثل تلك الروشتة فى الوصايا العشر التالية:

١- حسن الصلة بالله تعالى، والاستعانة به سبحانه، فى كل شأن والاستقامة على أمره فى كل حال.

٢- وضع الضوابط الصارمة على الحجر الصحى فى الموانئ والمطارات لمنع دخول أية حالات مصابة داخل البلاد .

٣- استمرار التوعية الدينية عبر الخطب والندوات وغيرها من الوسائط الاتصالية الجمعية، للتحذير من مخاطر الاختلاط الماجن والإهمال فى المستشفيات والمراكز الصحية المختلفة .

٤- تفعيل كافة وسائل الإعلام على وجه العموم مع القيام بحملات إعلامية توظف فيها جميع القوالب الفنية لمحاربة الفساد الأخلاقى والتسيب القيمى الذى يؤدى فى النهاية إلى السقوط فى مستنقع الإيدز.

٥- تفعيل دور الدراما والأفلام السينمائية وعلى وجه الخصوص معالجة الظاهرة المرضية، وتصويرها بصورة تنقذ الناس منها وتجعلهم فى حذر دائم من الوقوع فى براثن الإيدز.

٦- دعوة أفراد المجتمع وحثهم على الالتزام القيمى والأخلاقى وإلزامهم بمواثيق الشرف الأخلاقية فى مجالات العمل المختلفة .

٧- السعى الدائم نحو تنقية المجتمع من كل مظاهر الفساد والانحلال والميوعة والتفسخ وإحلال محلها مظاهر الطهر والنظافة الخلقية والسلوكية .

٨- عزل المصابين بفيروس الإيدز اللعين، فى أماكن للعلاج والاستشفاء ومنعهم من الاختلاط المفضى إلى نقل العدوى إلى الأصحاء بطريقة أو بأخرى.

٩- وضع الخطط لإبراء المرضى وجلب الدواء لهم للقضاء على تلك الظاهرة المرضية، قضاء نهائيًا فما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله .

١٠-عدم تسرب اليأس والقنوط من رحمة الله القريبة من المحسنين ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فعلى المرضى والمعالجين انتظار الفرج والتسلح بسلاح التفاؤل والأمل والثقة فى الله تعالى واليقين بأنه المعافى من كل بلاء، مع التطبيق الكامل لكل تعاليم الإسلام السمحة وأحكامه الشاملة لكل مناحى الحياة حتى يتحقق موعد الله لكل من استجاب لأمره ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وتقدم الدكتورة «ماجى الحلوانى» مجموعة من المقترحات لوسائل الإعلام المختلفة كى تزيد من فاعليتها فى مجال نشر الوعى الصحى وتكريس الثقافة العلمية فى المجتمعات العربية، ومن أهم هذه المقترحات ما يلى:

١- زيادة عدد البرامج الصحية والتى تُعنى بالدرجة الأولى بالتوعية الصحية من

حيث السلوك وزيادة عدد التنويهات الصحية كوصفات للوقاية من الأمراض التي تنتج عن السلوكيات الخاطئة في المجلات الصحية .

٢- أن تركز البرامج على استضافة الأطباء المتميزين في تخصصاتهم المختلفة وإعداد دورات متخصصة بالصحة للقائمين بالاتصال في المجالات الإعلامية المختلفة وأن تكون هذه الدورات بشكل دوري ومستمر.

٣- الاعتماد على دراسات متعمقة تقدم مؤشرات رقمية عن الأمراض وعدد الحالات وأسباب وآليات الوقاية منها.

٤- التأكيد على ضرورة الابتعاد عن القوالب الجاهزة في تقديم وعرض المواد الإعلامية التي تعنى بتعديل السلوكيات الصحية .

٥- أن يكون للبرامج الإعلامية المقدمة هدف إستراتيجي يتمثل في المساعدة على بناء جيل يعي المفهوم الصحي المتكامل ويتمتع هذا الجيل بممارسات صحية وعادات سليمة منذ الصغر.

٦- الإسهام مع صناع القرار في المواقع المختلفة لتعزيز المفهوم الكامل لتعزيز الصحة وتشجيعهم على تبني سياسات واتخاذ القرارات وسن القوانين التي تعمل على تعزيز الصحة العامة .

إن مؤسساتنا التعليمية مطالبة اليوم بإنماء وإثراء المعارف الصحية وتعزيز السلوكيات الصحية الإيجابية وتبديل السلوكيات الخاطئة لشرائح الأطفال والمرأة والشباب في مجتمعاتنا وبدون اضطلاعها بهاتين المهمتين فإن كل مهامها الأخرى تصبح دون فائدة تذكر، ولكي تضطلع بذلك عليها الاهتمام أكثر بآليات عمل مضامين ووسائل الإعلام في تعديل اتجاهات وسلوكيات أفراد المجتمع نحو المفهوم الكامل لتعزيز الصحة(٦).

وفي السياق ذاته أكد وزير الصحة البحريني «فيصل الحمر» على ضرورة أن يأخذ الشباب نصيبه من عملية التوعية للوقاية من هذا الوباء الفتاك ودمجهم في مختلف الفعاليات التي تصب في هذا الاتجاه، وذلك لأن فئة الشباب هي الفئة المحفوفة بالمخاطرة لعدوى فيروس الإيدز، وأشار إلى أن من أهم عناصر النجاح الأساسية في التصدي لهذا الخطر المتربص بالأفراد والأسر والمجتمعات الالتزام الوطني الموحد

وهو التزام القيادات السياسية والفعاليات المؤثرة فى دعم جهود مكافحة الإيدز وتسخير جانب من سلطاتها وإمكاناتها ومواردها لهذا الغرض الإنسانى النبيل ، وشدد على ألا تقتصر الجهود الوطنية على التوعية العامة للجمهور عن طريق وسائل الإعلام المعتادة، بل يجب أن تكون هناك رؤية أكثر واقعية وذكاءً بحيث يتم التركيز على الفئات الأكثر تعرضًا لمخاطر الإصابة بعدوى الفيروس والعمل على حماية الأجيال الناشئة من الإصابة بالعدوى وذلك من خلال إعداد وتطبيق مناهج مدرسية حول الوقاية من فيروس الإيدز بحيث تتلاءم وثقافات الشعوب وقيمهم الدينية بالإضافة إلى محاربة الأمية الثقافية الفقر والبطالة، التى هى أساس كل البلايا(٧).

وبعد، فإنى أرى أن الأمر جد خطير ويجب على الجميع أن يؤدى دوره المنوط به سواء أكان من المسئولين أم كان من الإعلاميين أو علماء الدين أو غيرهم؛ لأن المصاب جلل ولا يجوز أن يلقى أى طرف بالمسئولية على غيره، بل على الجميع أن يكون على مستوى المسئولية وخاصة وسائل الإعلام المختلفة فإن عليها الدور الأكبر فى التصدى لهذا الوباء وللقيام بنشر الوعى الصحى والثقافة العلمية لدى الجماهير حتى تكون لديهم المناعة وتحصنهم ضد كل ما يصيبهم من أذى أو مرض أو خطر.

الحريات الإعلامية

إن رقى الأمم يُقاس عادة بمدى تقدم إعلامها وتطوره، فإذا كـان الإعـلام فى أمـة من الأمم يحرز كل يوم سبقًا، ويحقق بكل عمل نصرًا، ويكتسب فى كل خطوة أرضًـا، فإن فى ذلك دلالة على أن هذه الأمة، تمتلك قدرًا كبيرًا من الرقى الحضارى، واستعدادًا هائلًا لأن تكون مرشحة لتحيى سيدة بين الأمم ، والواقع أن مرد ذلك كله ، يرجع إلى أن الإعلام لا يتقدم ولا يتطور إلا فى مناخ فسيح من الحرية، فإذا رفرفت رايات الحرية فى بلد، فإنه قد كتب لنفسه شهادة ميلاد وبقـاء لا تنتهـى ، إلا بـسقوط تلـك الرايـات المرفوعة وهذه الحقوق الممنوحة لشعوب تلك البلاد.

من أجل ذلك نرى الإعلام فى البلاد الغربية، يحرز كل يوم تقـدمًا، بـسبب الحريـة، التى تعيشها تلك البلاد وطالما أن الإعلام يأخذ حريته ، فهـذا معنـاه أنـه يـؤدى دوره بكفاءة واقتدار ويحقق كل ماتحتاج إليه الشعوب أن يقـدم لهـا مـن أخبـار ومعلومـات وتحليلات ومحافظة على تراث الأمة ونقل لميراثها الحضارى والثقافى عبر الأجيـال، إلى غير ذلك من الوظائف المهمة التى يمكن أن يعكسها الإعلام المعاصر.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل الإعلام فى عالمنـا العربـى ينـال أو يحظـى بشىء من هذه الحرية التى ينالها أو يحظـى بهـا الإعـلام الغربـى؟ والجـواب معـروف للقاصى والدانى، ولو قلت غـير ذلـك لاتهمـت ، بـما لا أحـب ولكـن أرى أن طـرح السؤال بطريقة أخرى فينبغى أن يكون على هذا المستوى : هل الحريات، الإعلاميـة فى عالمنا العربى ممنوعة أو محجوبة؟ والجواب: بصراحة لا، فالحريات الإعلامية فى بلادنـا العربية، قائمة وموجودة، ولكن بقدر وبنسب متفاوتة ومختلفة، من موقع لآخـر ومـن قطر لقطر فى بلادنا الحبيبة، فهناك دول حرية الإعـلام فيهـا مخنوقـة ولا تكـاد وسـائل إعلامها تبين، فهذه الدول لا يستطيع إعلامها أن يتـنفس بـشكل طبيعـى، ولكـن قـد يحتاج فى أحيان كثيرة إلى عمليات تنفس صناعى حتى يظل على قيد الحياة .

وهناك دول قدمت رجلًا وأخرت أخرى، فى مجال الإعلام فتمنح الإعلام حرية على طريقة القطارة، وهذه الدول إذا أحسنت صنعًا، فعليها أن تمنح وسائل إعلامها المختلفة، الحريات الحقيقية التى نصت عليها الدساتير والقوانين، وتقطع حالة الخوف من منح الإعلام حريته؛ لأن الإعلام المسئول، إذا منح هذه حريته، فك قيده، وسمع صوته، وانطلقت يداه، تنويرًا وتثقيفًا وتنشئة وتربية وتعليمًا وإمتاعًا وترفيهًا بين أبناء الأمة التى منحته هذا الصك - صك الحرية.

وهناك دول قطعت شوطًا طويلًا فى مجال منح الإعلام حريته وأعطت وسائل إعلامها الحد الأعلى المتاح من الحريات الإعلامية الممنوحة فى عالمنا العربى، ومن ثم أثمرت هذه الحرية ثمارًا طيبة ، وحققت تلك الدول من وراء ذلك مكاسب سياسية هائلة، وكنا إلى عهد قريب فى مصر نقول: إن الأحزاب السياسية عبارة عن صحف تصدر عن هذا الحزب أو ذاك وأن صحف الأحزاب أشهر من الأحزاب نفسها وأن الصحيفة هى التى تعرف بالحزب لا العكس وقد صرنا اليوم نعرف الدول فى عالمنا العربى ببعض وسائل إعلامها، ليس لشىء إلا لأن هذه الدول قد منحت إعلامها قدرًا هائلًا من الحرية، وكانت تلك الوسائل على مستوى المسئولية الوطنية قبل أن تكون على مستوى المسئولية المهنية.

وأخيرًا أطرح سؤالًا أراه مهمًا - من وجهة نظرى - وخاصة فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أمتنا العربية ، والتى تمر بمنعطف صعب على المستويين الداخلى والخارجى معًا، و السؤال هو: ما المطلوب من رجل الإعلام أولًا، ومن رجل الحكومة ثانيًا، ونحن على هذه الحال؟ أقول: المطلوب وبصراحة شديدة من رجل الإعلام أولًا أن يكون على مستوى المسئولية الوطنية والمهنية وألا يكون حكوميًا، أكثر من الحكومة، وأن يخلع عنه عباءة التخوين ، التى طالما ارتداها البعض، ويشرع الجميع فى ارتداء زى الوطنية والمهنية ويتحركون بكل قوة فى المساحة المتاحة لهم وألا يكتفوا بذلك ، بل عليهم أن يذهبوا إلى أكثر من ذلك ، عليهم أن يطالبوا، بل يلحوا فى الطلب كى يحصلوا على المزيد من الحريات، فما إن ينتهوا من الحصول على شىء حتى يطالبوا بأشياء أخرى تدعم حريتهم وتُعلى من قدرها وترفع من ثقفها، كل ذلك وفق الضوابط والأطر الصحيحة والمشروعة وهو ما يُسمى فى الفقه السياسى المعاصر، بالجهاد السلمى أو النضال الدستورى والحراك الإعلامى.

وعندما يفعل الإعلامى ذلك، إنما يفعله من منطلق حرصه على أداء واجبه المهنى، بعيدًا عن أية ضغوطات أو منغصات، بل إن مطالبته، كل يوم بمزيد من الحرية الإعلامية، ينبع فى الأساس من حسه الوطنى وإيمانه بضرورة الإصلاح والتغيير، الذى تحرص عليه وتنادى به الكثير من القيادات السياسية والتنفيذية فى العالم العربى.

أما رجل الحكومة فيجب أن يتخلى عن عباءة التشكيك وأن يتحلى بزى الشفافية والحيدة والموضوعية فى نظرته تجاه رجل الإعلام وأن يعمل جاهدًا، على أن يُقدم إليه ما عنده من أخبار ومعلومات وحقائق وبيانات، بلا تردد أو خوف وأن يسمح بالحرية الكاملة للإعلاميين كى يمارسوا أعمالهم ويؤدوا دورهم، فلا قوانين استثنائية ولا محاكمات صورية ولا اعتقالات عشوائية ولا إرهابًا للإعلامى ولا قصفًا لقلمه أو إخراصًا لصوته، وأن يتعامل رجل الحكومة مع الإعلامى، على أنه مواطن، يحمل الحب لبلده، والغيرة عليها ويسعى كمثله من الشرفاء، لرفع شأنها وعلو قدرها بين الأمم.

فإذا قام كل من، رجل الإعلام ورجل الحكومة، بدوره المنوط به، وأدى كل منهما مسئوليته، على النحو الذى رسم له، فسوف نرى مستقبلًا مشرقًا لعالمنا العربى، سوف نرى إعلامًا يستطيع المنافسة، أمام وسائل الإعلام الغربية، إعلامًا يقود الشعوب العربية نحو التنمية الشاملة، ويعمل على رفع الإصر والأغلال عنها، أما لا قدر الله إذا غاب الوعى عن الجميع وساد المناخ الإعلامى العربى، جوٌّ من التخوين والتشكيك المتبادل، بين رجل الإعلام ورجل الحكومة، فإن المستقبل ينذر بسوء العاقبة وخيبة الرجاء ولن نجنى جميعًا، من جراء ذلك إلا المر والعلقم، المتمثل فى حالات التخلف وصور الانكسار، وواقع الهزيمة النفسية والتبعية والضياع.

ألا فليتقى الجميع ربهم فى أمتهم وما خولوا إياه من أعمال و مسئوليات، فالكل يعيش على أرض واحدة وفى خندق واحد، يجمعهم وطن واحد وهدف واحد وتقلهم سفينة واحدة والكل مستهدف من قبل أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر ويكيدون لها بالليل والنهار قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾.

الإعلام وبناء المجتمع

لا شك أننا نعيش اليوم عصر السماوات المفتوحة، وذلك عبر الأقمار الصناعية التى تبث إعلامها ليل نهار ونعيش كذلك عصر الإعلام الرقمى عبر شبكة الإنترنت ذلك المحيط المعلوماتى الهائج، وهذا كله من شأنه أن يعظم من الدور الذى يمكن أن يلعبه الإعلام فى مجتمعاتنا المعاصرة.

والإعلام بشكل عام إما أن يكون إعلامًا موجهًا أو أن يكون إعلامًا غير موجه، والإعلام الموجه هو الذى يهدف من وراء ما يقدمه إلى توصيل رسالة ما، هذه الرسالة إما أن تكون بنائية أو أن تكون هدمية، وإما أن تهدف إلى تنوير المتلقى أو تجهيله وإما أن تصنع وعيه أو تزيفه وإما أن ترشده أو تضلله.

وفى كل الأحوال الإعلام الموجه هو ذلك الإعلام الذى يستهدف من ورائه تحقيق هدف معين ليخدم فكرة معينة أو اتجاه معين، سواء أكان ما يقدمه يعتمد على الحقائق أوعلى الأباطيل، هذا هو الإعلام الموجه.

وبذلك يتبين لنا أن الإعلام فى كل دول العالم، سواء المتقدم منه أو النامى ، لا يمكن إلا أن نراه خادمًا لفكرة أو دولة أو حزب أو دعوة وهذا النوع من الإعلام موجود فى كل بلاد الدنيا وأتصور أنه الأكثر شيوعًا، والأوسع انتشارًا والأكبر تأثيرًا بحكم الجماهير التى تتبعه والتى هى فى الأساس مستهدفة من قبله.

أما النوع الثانى من الإعلام فهو الإعلام غير الموجه وهو ذلك الإعلام الذى يقدم رسالته ومادته من أجل خدمة الجمهور وإرشاده وإسعاده وتثقيفه فهدفه فى الأساس بنائى ولا يرمى من وراء مادته الإعلامية إلا تحقيق قيمة الاتصال والقيام بوظائفه المتعددة على خير وجه.

فهذا النوع من الإعلام هو الذى يسعى باحثًا عن الحقيقة ويكون حريصًا على

نشرها فالحقائق المجردة والوقائع الصحيحة هى رأس ماله، فلا يهمه إلا خدمة الجماهير وإفادتهم، فالالتزام بالمعايير المهنية للإعلام هى التى تحركه وهى التى توجهه؛ لأنه إعلام غير مؤدلج أوغير موجه أو غير مسيس، وهذا النوع أيضًا من الإعلام هو الذى يصنع الوعى ويثقف الفكر ويرقق الوجدان ويمتع الروح ويمنع الرذيلة ويحارب الجريمة ويذيع الأمان وينشر السلام فى جنبات المجتمعات.

وهذا النوع من الإعلام كذلك يمكن أن نطلق عليه مسمى آخر، بأنه الإعلام الوطنى أو الإعلام الرسالى، بمعنى أنه إعلام له رسالة إيجابية إنسانية يهدف من ورائها النفع العام لأبناء الوطن بل للإنسانية جمعاء، فهو يؤدى وظائفه التى أسس من أجلها، لا يبتغى من وراء ذلك إلا تحقيق النفع العام والخير للجميع، بصرف النظر عن مذاهبهم أو انتماءاتهم أو ألوانهم.

وبذلك فهو إعلام يبنى ولا يهدم ويشيد ولا يخرب ويصلح ولا يفسد ويصدق ولا يكذب ويعلم ولا يجهل ويهدى ولا يضلل يكشف الحقائق ولا يزورها، إنه إعلام الحقيقة إعلام يرسى مبادئ الديمقراطية والشورى والحرية والعدل والمساواة.

وما العمل الإعلامى فى الواقع إلا أنه مهنة البحث عن الحقائق، ولأن الحق مر، كما هو معروف، وللوصول إلى الحق، لا بد من مواجهة بعض المتاعب والمعوقات والتحديات، ولكن كل ذلك يهون من أجل إحداث التطوير والتغيير والإصلاح والبناء الذى هو غاية كل المجتمعات والذى يلعب الإعلام الوطنى الدور الأكبر والأهم فيه.

الإعلام والحوار الوطنى

حب الأوطان والولاء لها والحرص عليها هو القاسم المشترك بين جميع الذين يعيشون على أرض هذه الأوطان، وينعمون بخيراتها ويستنشقون هواءها ويتمتعون بآلائها، ولا شك أن الإعلام وسائله المختلفة يمكنه أن يؤدى أدوارًا مهمة فى هذا الصدد .

وإذا كان المواطنون جميعًا متساوين فى الحقوق والواجبات، وكلهم أمام الدستور والقانون سواء، يتعاملون فيما بينهم بروح المواطنة ويقيمون حياتهم على أساسها، فيسود بذلك بينهم الود والوئام والحب والاحترام، وكل يؤدى ما عليه من واجبات ويحظى بما له من حقوق، من غير مَنٍّ ولا أذى، فالإعلام أيضًا قادر على أن يكرس تلك المفاهيم الوطنية ويجزرها بين أبناء الأمة الواحدة.

فإذا حدث ما يُعكر الصفو بين أبناء الوطن الواحد أو نشب خلاف هنا أو وقع نزاع هناك أو ظهرت قلاقل هنالك، فليس ذلك معناه أن القيامة قد قامت، أو تكون قد وقعت الواقعة التى ليس لها من دون الله كاشفة!

ولكن الذى يجب أن يسود فى مثل هذه الأجواء هو لغة العقل والحوار والسعى نحو بناء جسور من التفاهم والنقاش فيما بيننا، فخلاف الرأى لا يُفسد للود قضية ولا يقطع وشائج الأخوة بين أبناء الوطن الواحد.

إن مصلحة الأمة ووحدتها ينبغى أن تكون الهم الأول لكل أبناء الوطن، وليس من شك فى أن الذى يسعى لتحقيق مآربه الشخصية على حساب مصلحة الجماعة الوطنية وعلى حساب المصالح العليا للأمة ، هو إنسان فى حاجة ملحة إلى أن يتعلم دروس المواطنة من جديد وفى حاجة كذلك أيضًا إلى أن يتلقى دروسًا عملية فى كيفية التفانى للغير وحب الخير للجميع.

إننا جميعًا ينبغي علينا أن نعلى من قيمة المواطنة وأن نحرص دائمًا وأبدًا على أن تكون هذه القيمة هى شغلنا الشاغل، وأن نوقن تمامًا، أن المواطنة قيمة عليا ، من القيم الأساسية التى يحتمى بها المواطن عند كل شدة ويتحصن بها فى مواجهة كافة التحديات.

وإذا آمن الجميع بأهمية هذه القيمة وعملوا بمقتضاها انحلت أمامهم كل عقدة وانفرجت لديهم كل أزمة؛ لأننا نعلم علم اليقين، بأن الوطن الواحد يجمعنا وأن المصير الواحد يلفنا وأن أية محاولة للالتفاف حول هذه الحقيقة سوف تبوء بالفشل الذريع وما ذلك إلا لأن قيمة المواطنة راسخة فى قلوبنا ومتجزرة فى أرضنا وعالية الجنبات فى أرجائنا.

ومع كل ذلك يجب أن يعى الجميع أن مشكلاتنا لن يحلها غيرنا؛ لأنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن نستورد حلولا لمشكلاتنا من الخارج !.

ولأنه لا يوجد مجتمع إنسانى بلا مشكلات، ومن حولنا نرى دول العلم أجمع لديهم مشكلاتهم وأزماتهم، ولكن بأى طريقة تحل هذه المشكلات ويتم التغلب على تلك الأزمات ؟.

هذه هو السؤال المهم، والذى ينبغى أن نجيب عنه بأمانة ووضوح وأقول: الحقيقة ليس هناك فيما أرى إلا طريقة واحدة لحل كل ما يعترضنا من مشكلات أو أزمات على أى مستوى وبأى صورة إلا طريقة واحدة وهى طريقة الحوار بين أبناء الوطن الواحد، الحوار الذى يتسم بالشفافية والمصارحة، والحوار الذى يكون بين العقلاء والحكماء من أبناء الأمة.

لقد باتت مسألة الحوار الوطنى بين أبناء الوطن الواحد أمرًا ملحًّا وضروريًّا؛ لأنه بالحوار وحده يمكن أن نصل إلى حلول حقيقية لحل كل المشكلات وفض كافة المنازعات.

ومن هنا نطالب بضرورة اعتماد لغة الحوار ومنهج التحاور وطريق المناقشة أسلوبًا وحيدًا بين أبناء الوطن للتصدى لكل ما يواجههم من أزمات أو يعترضهم من تحديات أو يكتنفهم من مشكلات؛ لأننا إذا ابتعدنا عن هذا الأسلوب وتلك المنهجية ، فسوف نرى ما لا نحب ونسمع ما لا يحمد عقباه، وما أمر جماعات العنف والإرهاب عنا ببعيد !.

ولذا فنحن نقول بأمانة وصدق: إن الحوار الوطنى اليوم صار ضرورة من ضرورات الحياة حتى ينعم الجميع بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتنمية والرخاء.

ولا ينبغى أن يقف الإعلام فى هذه المعركة مكتوف الأيدى أو مغمض العينين، بل عليه واجب وطنى هائل يتمثل فى الدعوة الصادقة إلى تبنى مفاهيم المواطنة والدفاع عنها والانحياز إلى الوطن والمواطن لا إلى الفرق والجماعات ولا إلى المذاهب والأيديولوجيات.

هوامش ومراجع الفصل الثانى

(١) ماجى الحلوانى، الإعلام وقضايا المجتمع، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠، ص١٠٧ .
(٢) الأهرام، بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٨.
(٣) الوسط، بتايخ ١٦/ ٦ ٢٠٠٨.
(٤) الوطن، بتاريخ / ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٧.
(٥) الأيام ، بتاريخ ٥/ ٥ / ٢٠٠٧.
(٦) ماجى الحلوانى، المرجع السابق، ص ١١٠.
(٧) الوقت، بتاريخ / ١٦/ ٦/ ٢٠٠٨ .

الفصل الثالث

الدور الحضارى للإعلام

خصوصية الإعلام الإسلامى

اختلفت الآراء وتشعبت حول مفهوم ومصطلح الإعلام الإسلامى، ولا نريد هنا أن ننقل هذا الخلاف، فليس المجال هنا لطرح خلاف سببه إما لحداثة المفهوم أو المصطلح، أو لسوء فهم لحقيقة الأمر، أو لسوء نية وقصد متعمد لإخفاء حقيقة كل ما هو إسلامى، إذ إن هؤلاء فى عهدنا الراهن لا يقدرون على الإنكار فاكتفوا - ولو إلى حين - بالإخفاء، ولكننى أتصور أن الإعلام الإسلامى كمفهوم ومصطلح جديد فى حاجة إلى مزيد دراسة وتمحيص وتقعيد وتأصيل وتنظير أيضًا حتى تنضج الفكرة، وتستوى على سوقها، لتثبت فى الوجدان قبل الأذهان.

ومن هذا المنطلق أود فى عجالة أن أقدم تصورًا سريعًا لأهم خصيصة يختص الإعلام الإسلامى بها وهى أن هذا الإعلام إعلام عقدى، بمعنى أنه ينبثق من عقيدة الإسلام، ويرتكز عليها، وينطلق منها، ويتحرك بها وينتهى إليها، فالعقيدة فى نظر الإسلام تمثل الروح فى الجسد، تسرى فى كيانه كله، ولا يكون الإعلام إسلاميًّا إلا إذا كان عقديًّا بهذا التصور، أى يرتكز على عقيدة التوحيد.

فإذا كان الإعلام عن شىء من الدين ولا يرتكز على عقيدة الإسلام ويلتزم بها لا يكون إسلاميًّا، وإذا كان الإعلام عن شىء صالح للإنسان والمجتمع ولا يقوم أو ينطلق من عقيدة التوحيد، لا يكون إسلاميًّا بمعنى ألا أسميه بذلك حتى إذا قدم إعلامى مسلم مادة من المواد، وكان هذا الإعلام لا يلتزم فى حياته بمنهج الإسلام وعقيدته، لا نطلق على ما يُقدَّم أنه إعلام إسلامى.

إذن فقضية العقيدة ينبغى أن تكون هى الفاصلة بين ما هو إعلام إسلامى أو غيره، وحينما نقول العقيدة نعنى تمامًا بها أنها الدافع والمحرك وراء أى عمل إعلامى، وأن صاحب هذا العمل فى حياته كلها ملتزم ومتمسك بما تمليه هذه العقيدة فى التصور

والأخلاق والعادات والسلوكيات.. فالقائم بالعملية الإعلامية الإسلامية، ومقـدمها إن لم يكن على الصفات التى يُقدمها، والمعانى والأخـلاق التـى يُعرضـها فـلا يمكـن بحال أن يكون الإعلام الذى يقدم حينئذ إعلامًا إسـلاميًّا.. حتـى يتـسق تمامًـا المقـدم للرسالة الإعلامية مع عقيدة وأخلاقيات هذه الرسالة.

أرى أن تفرد الإعلام الإسلامى بهذه الخصوصية، يجعلـه إعلامًـا فـاعلًا متميـزًا لا تحوم حوله الأقاويل والشائعات والشبهات أيضًا، أمام ما يقـدم مـن مـادة إعلاميـة لا تلتزم بهذه الخصوصية، فى مضمونها أو مقدمها، وقد لا تتعارض مع مفاهيم الإسلام، فيمكن أن تُسمى إعلامًا إنسانيًّا أو أى اسم آخر، فلا تحسب على الإسلام.

المواقع الإلكترونية الإسلامية

لا يختلف اثنان على أهمية وخطورة وسائل الإعلام المختلفة وقدرتها الهائلة فى التأثير على قطاعات عريضة من الرأى العام، وكذلك الأهمية الكبرى التى تحظى بها تلك الوسائل، ولقد تطورت وسائل الإعلام فى العصر الراهن تطورًا مذهلًا، وكانت شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أحدث ما توصل إليه العقل البشرى من ابتكارات فى الوسائل الاتصالية والإعلامية، بيد أن هذه الوسيلة تتميز عن غيرها من الوسائل الأخرى بسعة انتشارها وتعدد ألوانها وسهولة الوصول إليها والتفاعل معها، وفى الوقت نفسه تحظى بكثير من السمات التى تتميز بها الوسائل الإعلامية الأخرى سواء المقروءة منها أو المسموعة أو المرئية.

ولما كانت شبكة المعلومات الدولية على هذا النحو من التميز والأهمية وسعة الانتشار، لجأت إليها الكثير من المؤسسات والهيئات والدول والجماعات، لتتخذ لنفسها على هذه الشبكة موقعًا، أملًا فى التعريف بها وعملًا للتواصل مع عملائها، ودعوة للآخرين لمشاركتها فى برامجها وأهدافها، وإذا نظرنا وقلبنا المواقع المختلفة على شبكة الإنترنت سنجد عجبًا، سنجد أن كل من هب ودب اتخذ لنفسه موقعًا وبدأ من خلاله يبث أفكاره أو ينفث سمومه، ويدعو لقيمه ومبادئه وينافح ويدافع عنها بكل ما أوتى من قوة الرد وحنكة المجادلة، حتى إننا لا نجد صائب أو خائب أو صاحب دعوة حق أو باطل إلا وله على هذه الشبكة موقعًا بل مواقع، بل إن أصحاب الأفكار الشاذة والمبادئ المنحلة والدعوات الزائفة كانوا الأسبق فى التواجد على هذه الشبكة والأكثر إفادة منها، وحتى هذه اللحظة هم الأعلى صوتًا والأكثر إفادة منها، وحتى هذه اللحظة هم الأعلى صوتًا والأكثر تواجدًا، فى حين أن أتباع الحق وأصحاب العقيدة وأهل الإسلام، لا تكاد تسمع لهم صوتًا أو تحس لهم عملًا إلا قليلًا، وإن كانت هذه الصورة بدأت تتحسن شيئًا فشيئًا فى السنوات الأخيرة.

ولما كان الأمر كذلك كان من المهم والضرورى لأصحاب الدعوات أن يساير والعصر فى مستجدا ته ومستحدثاته، وألا يتركوا وسيلة من الوسائل التى يمكن الإفادة منها فى تبليغ دعوتهم وتوصيل رسائلهم إلا واستخدموها أمثل استخدام ووظفوها أفضل توظيف؛ لأنهم إن لم يفعلوا ذلك يكونوا مقصرين فى حق أنفسهم وحق دعوتهم وحق الإنسانية، لأن الدارس لتاريخ الدعوة والإعلام فى الإسلام، يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما ترك وسيلة من الوسائل الدعوية أو الإعلامية فى زمانه إلا وأفاد منها فى تبليغ دعوة الإسلام، ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصاحبة أو التابعين ترك وسيلة من الوسائل المتاحة فى حينه تأثمًا منها أو تعففًا عنها، بل إن الثابت عكس ذلك تمامًا.

بل إن الواجب على دعاة الحق أن يبتكروا من الأساليب والوسائل وأن يستحدثوا من النظم والبرامج، للذود بها عن دعوتهم وللدفاع من خلالها عن عقيدتهم وللدعوة إلى فكرتهم ومبادئهم، وفضح المؤامرات والأكاذيب التى تروج أو تحاك ضدهم، وهذا الواجب يصير ضرورة، حينما تتكالب علينا الأمم، ويشوه تاريخ الإسلام، وتطمس حضارته، ويحارب الدين حربًا شعواء لا هوادة فيها، ويسارع أهل الضلال إلى إفساد الشباب والنساء والتغرير بالفتيان والفتيات، حينئذ لا بد أن ينتصب أهل الحق لمواجهة أهل الباطل يقارعونهم الحجة بالحجة والدليل بالدليل، ويردون على شبهاتهم ويفندون أباطيلهم ويقدمون الصورة المضيئة والمشرقة والصحيحة للإسلام الحنيف الذى ارتضاه رب العالمين دينًا للناس أجمعين.

ولهذا كان من توفيق الله عز وجل أن وفق بعض المسلمين هنا وهناك على إقامة مواقع إسلامية على شبكة الإنترنت خدمة للدين ونفعًا للبشرية.

ولا شك أن هذا العمل جاء فى حينه، وإن كنا قد تأخرنا بعض الوقت، ولكن كان ظهور هذه المواقع ضرورة ولوجودها حاجة، ومن أهم الأسباب التى دعت إلى تدشين هذه المواقع الإعلامية على شبكة الإنترنت ما يلى:

١) السيل الجارف من العداء السافر والحرب المستفزة من قبل الهيئات غير الإسلامية على الإسلام والمسلمين وتاريخهم وحضارتهم.

٢) المسارعة إلى استخدام أكثر وسائل العصر شيوعًا وانتشارًا.

٣) أن المواقع الإسلامية الأخرى تعطى جوانب مهمة إلا أنها لا تعنى كثيرًا بـأمر هيئات حيوية وجماعات كبرى تعمل فى حقل الدعوة الإسلامية.

٤) تقديم نموذج إعلامى إسلامى حضارى، يحظى بالتقدير ويكسب ثقة الجماهير، ويبرز معالم الحق الإسلامى فى أبهى صورها وفى أصح معانيها.

٥) الارتفاع إلى مستوى التحديات والمخاطر التى تواجه الإسلام ومستحدثات الوسائل فى الدفاع عنه، أما عن أهم الأهداف التى تسعى إليها المواقع الإسلامية، فيمكن تلخيصها أيضًا فى النقاط التالية:

أ. الدفاع عن الإسلام والمسلمين ودحض الافتراءات التى تشنها التيارات والقوى المعادية حول تاريخ الإسلام وحضارته.

ب. تقديم صورة حضارية للإسلام الصحيح فى عقيدته الخالصة وشريعته الشاملة ومبادئه العامة الكاملة.

ج. الدعوة إلى الإسلام فى عصر كثرت فيه النعرات الطائفية والمذاهب الإلحادية والأفكار التغريبية.

د. التواصل مع الهيئات العاملة للإسلام فى كل مكان.

هـ. تقديم رؤية المسلمين لكافة القضايا المطروحة، والأفكار المثارة فى الداخل والخارج.

و. نشر أخبار المسلمين وبياناتهم ورسائلهم المختلفة، فى أسرع وقت ممكن، حتى يقف الرأى العام المسلم وغيره على طبيعة موقف المسلمين عن القضايا اليومية.

ز. الرد على الافتراءات التى توجه ضد الحركات الإسلامية المعاصرة فى الداخل والخارج.

ح. تزويد المطالع بالمعرفة الصحيحة والثقافة البناءة فى كافة العلوم والثقافات.

ط. عرض صورة الحركات الإسلامية الحقيقية والصحيحة بعد أن شوهت القوى المعادية كثيرًا من صور تاريخها وعطائها وقادتها.

ى. تقوية دعائم الإخاء وأركان الثقة بين أفراد التيار الإسلامى وقيادتهم فى أنحاء العالم، وسرعة الاتصال وقوة الترابط وحُسن المتابعة بين الأفراد فى الداخل والخارج.

الإعلام والدعوة

لا شك أن المؤسسات التعليمية مجال خصب للدعوة إلى الله عز وجل؛ لأن أبناء تلك المؤسسات يكونون فى مرحلة سنية مهمة وخطيرة، فإذا ما أحسن توجيههم وتربيتهم وتنشئتهم، شبوا على الخير والفضيلة، وإذا ما تركوا لحال سبيلهم تلقفتهم أيدى أهل الغواية والضلال والشياطين، فأغوتهم وأضلتهم عن سواء السبيل . ومن هنا شغل أهل الدعوة أنفسهم بهؤلاء الشباب، وكرَّسوا جهودهم لدعوتهم إلى التمسك بالإسلام والاهتمام بالقرآن والاقتداء بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان من ثمرة هذه الدعوة أن عددًا من هؤلاء الشباب التزم طريق الإسلام، وأخذ نفسه بقيم الإسلام وتعاليمه، وبدءوا يظهرون على الساحة فى بداية السبعينيات من القرن الماضى، وتم تصنيف هؤلاء الشباب على أنهم الجماعة الدينية أو الإسلامية، وظلّ الحال كما هو عليه حتى أخذت هذه الظاهرة فى التنامى، الأمر الذى أقلق المتربصين بالإسلام والشباب، فبدءوا يفكرون ويخططون كيف يُضعفون هذا التيار الذى انتشر بين أوساط الشباب بشكل ملحوظ، فقاموا بإحداث الفرقة فيما بينهم عن طريق إثارة المسائل الخلافية، وإدخال عناصر مشبوهة فيما بينهم وغير ذلك، فكان من نتيجة ذلك أن بُعثرت الجهود، وانقسمت الجموع، وتأخر السير المتقدم، واختلفت الآراء حول المسائل الخلافية، ودبّ النزاع والخصام بين صفوف الشباب المسلم داخل المؤسسات التعليمية، بعد أن عاشوا سنوات إخوة متحابين متعاونين على البر والتقوى، عاملين بدعوة الله عز وجل. ثم جاءت حقبة الثمانينيات وما أعقبتها، فشهدت شجارًا بين هؤلاء الإخوة أصحاب الرسالة الواحدة والدعوة الواحدة والطريق الواحد طريق الإسلام، فأحدث ذلك شروخًا فى العلاقات ونسى الكثير أو تناسى معانى الأخوة الإسلامية ومعانى الحب فى الله، فتعددت الرايات والشارات، وكل يدّعى وصلًا بليلى، وليلى لا تُقرّ لهم بذاك، فخطأ بعضهم البعض، وتجرأ بعضهم

على بعض، بل وصل الأمر إلى أنهم تقاتلوا، حتى شمت فيهم أعداء الإسلام وشهروا بهم عبر وسائل الإعلام وكذا فى المحافل والمنتديات، بل سعوا إلى زيادة الهوة واتساع الفجوة وإذكاء نار الخلاف والشقاق بين الإخوة فى الله .

واليوم وبعد مرور أكثر من عشرين عامًا على هذه الحالة، حالة الاختلاف لا الاتفاق، والتضييق لا التنسيق والبغض لا الحب والتقاطع لا التواصل والتخاصم لا التصالح والتدابر لا التناصح والتحارب والتقاتل لا التسامح والتكامل، والتفرق لا التوحد، كان علينا أن نقف أمام هذه الظاهرة وقفة .

تساؤل واجب

والسؤال الذى يطرح نفسه: كيف نصل بالجهود الإسلامية داخل المؤسسات التعليمية إلى صورة التنسيق والتكامل لا التضييق والتقاتل؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد أن نُعرّف بماهية الجهود الإسلامية، ونعنى بها العناصر الفاعلة فى الأنشطة الإسلامية والمؤثرة فيها والمؤدية لها، سواء أكانوا طلابًا أو مدرسين أو مسئولين أو إداريين. ولا شك أن لكل من هؤلاء دوره المحسوب ومسئوليته المهمة، داخل تلك المؤسسات التعليمية، والتى نعنى بها: المدارس خاصة الثانوية منها، والمعاهد والمراكز والجامعات، فلا بد من تكاتف وتعاون وتكامل جهود هذه العناصر جميعًا فى تلك المؤسسات لتأدية رسالة الدعوة على الوجه الأكمل بالأسلوب الأصح وبالمنهج الأقوم الذى يحكمه قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فإذا أخذ الجميع بهذا المنهج فى الدعوة إلى الله تعالى، علموا علم اليقين أنهم دعاة إلى فكرة واحدة هى فكرة الإسلام، وأن هذه الفكرة لها مناوئون فى كل مكان، فينبغى أن تتوحد جهودهم وكلمتهم فى وجه هؤلاء الكارهين لدين الله؛ لأن مواجهة هؤلاء لا يمكن أن تتم إلا إذا توحد الصف المسلم .

ولننظر إلى سحرة فرعون عندما أرادوا أن يواجهوا موسى عليه السلام، تنادوا، كما حكى القرآن: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾ [طه: ٦٤].

فالسحرة وهم على الباطل دعوا أنفسهم إلى التوحد والائتلاف لمواجهة أهل الحق، فأولى بنا نحن المسلمين أن نكون كذلك فى وجه الباطل الذى يتربص بنا. ولمَ لا، وقد أخبرنا الله تعالى أنه يحب من المؤمنين العاملين المقاتلين أن يكونوا صفًا متماسكًا فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]؟.

صفات لازمة

وأساس البناء الإسلامى يقوم على الاعتقاد الصحيح، والإيمان الراسخ، والثقة المطلقة، واليقين الجازم بأن الله تعالى خالق كل شىء، وأنه أحاط بكل شىء علمًا، وأنه سبحانه يرضى لعباده الإيمان والإسلام ولا يرضى لهم الكفر والعصيان: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧] ولا شك أن هذا البناء الإسلامى فى حاجة إلى مادة تقويه وتدعمه، فكانت الأخوة الإيمانية التى تربط بين المسلمين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. ويمتن الله على عباده بهذه النعمة الكبرى فيقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فنحن فى حاجة ماسة إلى أن يتذاكر ذلك العاملون للإسلام فى كل موقع، وخاصة فى المؤسسات التعليمية والتربوية؛ لأنها المحضن الذى يُعَدّ فيه شباب اليوم ورجال المستقبل، فنحن فى حاجة ماسة إلى أن نحيى هذه المعانى الإيمانية والروحية فيما بيننا؛ لأنها الوقود الذى يدفع بالقاطرة إلى الأمام، فإذا خف أو نضب هذا الوقود تعطّلت وتوقفت هذه القاطرة عن السير.

قد يقول قائل: هذه بديهيات معروفة. وأنا أقول: نعم إنها كذلك، ولكنا غفلنا عنها أو تغافلنا والنتيجة كما نرى: تقاطع وتدابر وتخاصم، ونسينا أن هذه الأخوة ليست كلمات أو شعارات، بل هى حقوق وواجبات، لو تذكرناها وطبقناها لانصلح حالنا وتغيرت سلوكياتنا.

ولنقرأ معًا هذا الحديث النبوى المتفق عليه: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم،

لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه).

فلو طبّق الإخوة على أنفسهم هذا الحديث، وعاشوا إخوانًا متعاونين، لأثمرت هذه الأخوة معانى عظيمة فى حياتهم أهمها المحبة فى الله تعالى، ولاستشعروا ثواب تلك المحبة ومكانة ومنزلة هؤلاء المتحابين عند الله كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الصحيح: (إن لله عبادًا أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانتهم عند الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزنوا، ثم قرأ: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

إذن الأخوة فى الله عز وجل رباط إيمانى وثيق يظهر أثره فى الواقع، وتنمو ثمرته فى الحياة، صفات يتصف بها المسلم، وخلال يتحلى بها المؤمن وحقوق وواجبات تؤدى فتنمو بها شجرة الأخوة، فتثمر ثمارها الحلوة، حبًّا، وودًّا، وتكافلًا، ورحمة، وتعاونًا، وبرًّا، وتماسكًا، وتواصلًا وقوة لمجتمع المؤمنين، يتسلحون بها، فتكون لهم العزة فى الدنيا ويكون لهم حسن العاقبة فى الآخرة. (راجع: عبد الحى الفرماوى، الأخوة طريق السعداء).

ويطيب لى هنا أن أذكر ما قاله الشاعر الإسلامى محمد التهامى:

والحب يشفى المعضلات يحلُّها ... حلًّا به كل النفوس تطيب

موازين الفكر

بالإضافة إلى هذه المعانى يجمل بنا أن نذكر هذه الوصايا التى دعا إليها الدكتور «يوسف القرضاوى» فى كتابه (أولويات الحركة الإسلامية)، وتتمثل فيما يلى:

١- الاحتكام للنصوص المعصومة لا لأقوال الرجال.
٢- رد المتشابهات إلى المحكمات والظنيات إلى القطعيات.
٣- فهم الفروع والجزئيات فى ضوء الأصول والكليات.

٤- الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد وذم الجمود والتقليد .

٥- الدعوة إلى التيسير لا التعسير فى مجال الفقه .

٦- الدعوة إلى التبشير لا التنفير فى مجال الدعوة والتوحيد .

٧- الدعوة إلى الالتزام لا التسيب فى مجال الأخلاق .

٨- العناية بغرس اليقين لا بالجدل فى مجال العقيدة .

٩- العناية بالروح لا بالشكل فى مجال العبادة .

١٠-العناية بالاتباع فى أمور الدين والاختراع فى أمور الدنيا .

هذه وصايا جامعة، لو تعاملنا فى حياتنا على هداها، لحققنا الخير لدينا ودنيانا. وهناك قاعدة ذهبية وضعها الشيخ «محمد رشيد رضا» رائد المدرسة السلفية المعاصرة، وتبناها الإمام «حسن البَنّا» وهى التى تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وجاء من بعد الشيخ «الغزالى» وقال: نتعاون فيما اتفقنا عليه وهو كثير ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه وهو قليل!!

ثم جاء الشيخ «القرضاوى» وأكد على صحة هذه القاعدة، وبيّن ما يسندها من أدلة الشرع، وذلك فى الجزء الثانى من كتابه «فتاوى معاصرة».

أدب الخلاف

أقول: لقد تواترت الآراء والأقوال التى تدعو شباب الإسلام إلى ضرورة الائتلاف والاتفاق، ونبذ الفرقة والاختلاف، وليس معنى هذا أننا ندعو إلى التمسك برأى واحد فى الفرعيات والجزئيات، فهذا أمر ليس بمقدور ولا ميسور، بل إنهم قالوا: «إن اختلافهم رحمة». أى اختلاف علماء وفقهاء الأمة فى الفروع رحمة بالأمة، حتى يتسنى لكل فرد أن يعمل بما يناسبه من أحكام فى غير الأصول والكليات التى لا خلاف حولها ولا نزاع. ومن ثم فإن الخلاف فى الفروع لا يكون مذمومًا إلا إذا اتسم بالتعصب والجمود وأدى إلى الشقاق والتنازع، وهنا يأتى صوت القرآن محذرًا المؤمنين ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . [الأنفال: ٤٦]. وليعلم الجميع أن الخلاف له آدابه وأسبابه، ذكرها العلماء قديمًا وحديثًا، فكتب الإمام «ابن تيمية» رسالته النفيسة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام). وكتب الدكتور «جابر

العلوانى» كتابه فى سلسلة كتاب الأمة (أدب الاختلاف فى الإسلام). فلتراجع هذه الرسائل وغيرها حتى يعلم أبناء الإسلام حقيقة الأمر، فلا يمنع خلاف فقهى من أداء حق الأخوة فى الله من المحبة والتناصح والتعاون على البر والتقوى. وفى هذا الإطار جاءت الرسالة النافعة التى كتبها الدكتور «أبو سريع محمد عبد الهادى» بعنوان: (اختلاف الصحابة أسبابه وآثاره فى الفقه الإسلامى)، لتؤكد أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مع اختلافهم فى بعض الأحكام وفى فهم بعض النصوص، لم يصل بهم هذا الخلاف إلى ما يكرهون .

وعلى هذا المنهج سار علماء الإسلام وأصحاب المذهب واتفقت كلمتهم على أنه «إذا صح الحديث فهو مذهبى»، وإلى قولهم: «رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب» .

فهيا يا شباب الإسلام ويا رجال الله وحِّدوا صفوفكم، وطهِّروا نفوسكم، وانبذوا خلافاتكم، وكونوا يدًا على من سواكم، وخذوا الحكمة من أى إناء خرجت، وتمسكوا بحبل الله المتين، وإذا سمعتم إلى كلام وقرأتموه، فما وجدتم فيه من خير وحق وصواب فاقبلوه ولا تلتفتوا إلى قائله، بل انظروا إلى ما قال، لا إلى من قال. وقد ذم الله تعالى من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه ويقبله إذا قاله من يحبه.. قال بعض الصحابة: «اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضًا، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيبًا» (راجع: ابن القيم، تهذيب مدارج السالكين) .

تكاليف عملية

وأودّ فى النهاية، أن أضع بين يدى إخوانى هذه الإرشادات والوسائل العملية التى من شأنها تحقق الهدف المطلوب، وهو التعاون والتكامل لا التشاحن والتقاتل فيما بينهم داخل المؤسسات التعليمية وهى كما يلى:

١ - الاشتراك والتجمع حول الأعمال العامة التى تحتاج إلى جهود متعددة وثقافات متنوعة، كأن نُحرر نشرة أو نصدر مجلة أو نعلق صحيفة حائط أو نعقد وننظم ندوة أو مؤتمرًا يُدعى فيه عدد من الأساتذة والعلماء والأدباء .

٢ - ممارسة الأنشطة الرياضية والألعاب البدنية، سواء أكانت فردية أو جماعية بشكل جماعى وبمشاركة كل العناصر والأطراف، كأن نقيم دوريًّا لكرة القدم أو السلة

أو نقيم مسابقة فى الجرى أو المشى.. أو غير ذلك من الألعاب التى من شأنها تقوية الروابط وتدعيم الأواصر، وزيادة المحبة فى النفوس والقلوب، وتعمل على تذويب الجليد عن العلاقات الأخوية .

٣ - التزاور المتبادل، وإقامة حفلات الولائم والعقائق ودعوة جميع الإخوة للمشاركة فيها: «وجبت محبتى للمتحابين فىّ، وللمتزاورين فىّ، وللمتجالسين فىّ».

٤ - المشاركة بالحضور فى المحاضرات ودروس العلم التى يلقيها العلماء فى المساجد وعدم الانكفاء أو الاكتفاء بلون واحد من الدروس أو الدعاة .

٥ - التحلى بروح التسامح والتراحم والتغافر مع الإخوة المخالفين لى فى الرأى.

٦ - ضرورة التسليم بطبيعة وحقيقة الاختلاف فى الفرعيات والجزئيات .

٧- المنافسة الشريفة فى مجال التفوق الدراسى، فإن ذلك من شأنه أن يكسب الحركة الإسلامية قوة، بزيادة عدد المتفوقين والنابهين .

٨ - التزود والتثقف والاهتمام بألوان جديدة من الفقه كفقه الموازنات وفقه الأولويات وفقه الحركة والواقع بجانب ألوان الفقه الأخرى .

٩- الاشتراك فى إقامة الحفلات الفنية ذات الطابع الإسلامى، وإقامة الاحتفالات الدينية فى المناسبات المختلفة، وتشكيل فرق فنية من الطلاب .

١٠ - التذكير والتذكر الدائم والمستمر بهدف الحركة الإسلامية فى الأسمى وهو تعبيد الناس لرب العالمين، وإقامة دولة للإسلام تطبق تعاليمه وشرعه .

كل هذا وغيره، لو فطن إليه شباب الأمة وعملوا به لتحقق الكثير مما نصبو إليه.

الصحافة المنشودة

لا شك أن الصحافة إحدى وسائل الإعلام والاتصال المهمة فى حياتنا، وكل يوم يمر عليها تزداد فيه أهميتها وتعلو فيه مكانتها، ولقد تصور البعض أن ظهور وسائل إعلامية واتصالية جديدة بعد الصحافة سيفقدها قيمتها ويصرف الناس عنها، ولكن لم يحدث ذلك، وإن كنا نعترف بأن الراديو والتلفزيون والإنترنت اليوم لهم جماهيرية لا بأس بها، إلا أن جمهور الصحف يزداد يومًا بعد يوم، ولقد أثبتت التجارب والأيام أنه من الصعب الاستغناء كلية عن ثقافة الكلمة المطبوعة، لما لها من خصائص وسمات لا تتوفر لغيرها من وسائل الإعلام الأخرى، وليس هنا مجال لذكرها أو حصرها.

ولما كان الأمر كذلك، احتلت الصحافة فى المجتمعات الإسلامية، مكانة كبيرة وأهمية عظيمة، لما لها من دور مهم وتأثير هائل فى تصحيح المفاهيم الخاطئة وغرس القيم النبيلة وتصويب الصورة المشوهة، ومخاطبة العقل والوجدان، لذا فقد اهتم المسلمون بشكل عام، بالصحافة فى وقت مبكر، وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر.

ولقد تطورت الصحافة فى المجتمعات الإسلامية تطورًا هائلًا عن الحالة التى بدأت عليها، وإن انقسمت هذه الصحف على نفسها، فظل بعضها وفيًّا لقيم المجتمع التى تصدر فيه، تعبر عن آماله وطموحاته وتدعو إلى قيمه ومبادئه، ولم تنسلخ عن هويتها وذاتيتها الإسلامية، وانحرف البعض الآخر وتبنى أفكارًا تغريبية وقيما وافدة وسقط فى مستنقع الحزبية المقيتة والعلمانية اللعينة، ومن ثم فقد أصبح لدينا صحفًا إسلامية وأخرى غير إسلامية!

والذى نعنيه بالصحافة الإسلامية أنها تلك الصحف (جرائد أو مجلات) التى يصدرها ويحررها مسلمون متمسكون بعقيدة الإسلام، ملتزمون بقيمه وأخلاقه ومبادئه فى واقع حياتهم ويمتهنون مهنة العمل الصحفى عن جدارة وتجرد ويؤمنون بأن الإسلام كلمة الله الباقية الخالدة التى تستوعب كافة شئون الحياة وينطلقون من

هذه الرؤية الشاملة للإسلام لمعالجة كافة القضايا الحياتية، مستخدمين كافة التقنيات العلمية ومواكبين لكل تقدم وتطور علمى فى العمل الإعلامى عامة والصحفى خاصة، مستعينين بالمتخصصين فى كافة المجالات، ويقوم بإدارة هذا العمل أناس على درجة عالية من الكفاية والأمانة والخبرة بطبيعة العمل الصحفى، مستخدمين اللغة التى تتناسب مع الجمهور المستهدف، ودورية الصدور الملائمة والحجم الذى ينسجم مع هذه الأهداف.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: أين تقف الصحافة الإسلامية اليوم من هذا المفهوم الذى اخترناه لماهية وحقيقة الصحافة الإسلامية؟ وكى نجيب عن السؤال فلا بد أن نجيب أولًا عن سؤال آخر، وهو: هل الصحافة الإسلامية، صحافة متخصصة أم صحافة عامة؟

والحقيقة أن الصحافة الإسلامية، وفقًا للتعريف الذى اخترناه، هى صحافة عامة، بكل ما تحمل كلمة «عامة» من معنى، وهذا لا يعنى أن هناك صحفًا إسلامية متخصصة فى جانب من الجوانب أو فى شأن من الشئون، وسواء أكانت الصحافة الإسلامية، عامة أو متخصصة، فإن الأصل فيها أنها تنطلق من منطلقات الإسلام، وتجعل العقيدة الإسلامية هى مرجعيتها العليا ولا تأتى بشىء يخالف منهج الإسلام أو يناقض نظمه وتشريعاته.

ولكن المتتبع لتاريخ الصحافة الإسلامية منذ نشأتها إلى اليوم يلحظ عليها أنها لم تصل فى معالجتها وتناولها للقضايا أو الموضوعات الحد الذى به يمكن أن نقول عنها: بأنها صحافة إسلامية عامة، هذا باستثناء «بعض» الصحف التى أصدرتها حركة الإخوان المسلمين فى مصر فى الأربعينيات من القرن العشرين مثل صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية، التى صدرت فى يوم الأحد ٣ جمادى الثانية ١٣٦٥هـ الموافق ٥ مايو ١٩٤٦م وقد توقفت فى يوم الجمعة ٢ صفر ١٣٦٨هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٤٨م.

أما الصحف الإسلامية التى صدرت غير ذلك فكلها تقريبًا يمكن أن تكون صحفًا إسلامية متخصصة بدرجات متفاوتة، وهذا الموقف يلقى بالتبعة على المسلمين حكومات وهيئات وشعوب أن يعنوا بالصحافة العامة، بجانب هذا اللون الشائع من الصحف الإسلامية المتخصصة.

وعندما نقوم برصد الصحافة الإسلامية اليوم - كى نجيب عن السؤال الذى طرحناه - فيمكننا أن نحدد بعضًا من الملامح والسمات التى تكتنفها والتى تشيع فى أوساطها، وأول شىء يمكن أن نلحظه ونسجله من خلال التجربة والممارسة هو افتقار هذه الصحف إلى العناصر الصحفية المؤهلة والكوادر الفنية ذات الكفاءة العالية والمدربة، ويصحب هذا ويلازمه، بل ويسبقه، تواضع الخبرة الإدارية المصاحبة لعملية إصدار الصحيفة، إذ يدير كثيرًا من الصحف الإسلامية من ليست لديهم دراية عن إدارة مشروع إعلامى وكيان صحفى بالقدر الكافى المطلوب لإنجاح هذا المشروع والدفع به إلى بر الأمان، الأمر الذى انعكس بالسلب على طبيعة الدور الذى يمكن أن تؤديه هذه الصحف فى تشكيل الوعى والتأثير فى العقول والقلوب وتصحيح المفاهيم والتأخر عن مواكبة التطور؛ لأن ذلك كله لا يتم التوصل إليه إلا من خلال استخدام الأشكال الفنية والأساليب التحريرية بحرفية جادة وخبرة عالية وإدارة واعية تعطى الفرصة للعاملين فى الصحيفة أن يتحركوا وأن يبتكروا ويطوروا من الأداء فى الشكل والمضمون طالما أن ذلك فى إطار يتناقض مع النظرية الإسلامية.

ونتوقف هنا عند هذا الحد فى رصدنا لظاهرة الصحافة الإسلامية اليوم، ونقدم بعض التصورات والاقتراحات التى نأمل وننشد أن تكون عليها صحافتنا الإسلامية مستقبلًا، بل فى الغد القريب بإذن الله تعالى، وهذه الاقتراحات يمكن أن نجملها فى العناصر التالية:

١ - الدقة فى النقل والابتعاد عن صور الخفة والتعجل والتساهل فى نقل الأخبار والمعلومات من مصادرها.

٢ - الموضوعية فى طرح القضايا والموضوعات المختلفة من غير تحيز ولا تشنج ولا إسفاف.

٣ - التشويق فى عرض الأعمال الصحفية، وتجنب الأساليب العقيمة والمعقدة والمنفرة.

٤ - التوازن والملائمة بين الشكل والمضمون فلا ينبغى أن يطغى الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل أو الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، بل

المطلوب أن يكون هناك تناغم وانسجام بين العملية التحريرية والإخراجية الصحفية.

٥ - الاهتمام الكبير بالمعلومات عن طريق عملية الأرشفة الصحفية، فينبغى أن يكون لكل صحيفة أرشيفها الخاص على مستوى الصور والموضوعات والشخصيات حتى يتسنى للمحرر أن يجد ما يحتاج إليه من معلومات فى وقت الضرورة.

٦ - تبنى إستراتيجية للعمل داخل الصحيفة، أو خطة عملية مرحلية ترسم المحاور الرئيسة والخطوط العريضة التى تتمشى مع السياسة التحريرية العامة للصحيفة، والتى ينبغى أن تكون محددة سلفًا، وأن يكون المحررون فى الصحيفة على دراية بها، هذا بجانب الاهتمام الطبيعى بمجريات الأحداث والمستجد من الأخبار والمستحدث من القضايا والموضوعات.

٧ - الاعتماد الأساسى فى تحرير الصحف الإسلامية وإخراجها على الأفراد المؤهلين علميًّا، وذوى الخبرة الكافية ممن يؤمنون بالفكرة الإسلامية ويعملون على إحيائها.

٨ - ترك الاهتمام بثقافة «الكم» والعناية بثقافة «الكيف»، والاهتمام بالأخبار والصور والتقارير والتحقيقات الصحفية، مع التقليل ما أمكن من المقالات التقليدية.

٩ - إعطاء الجانب الإدارى أهمية كبرى، بحيث لا يدير العمل الصحفى إلا أهل الكفاية والأمانة.

١٠ - الامتلاك والإفادة من التقنيات المعاصرة فى مجال الإعلام مع إتقان المحررين والمسئولين لإحدى اللغات الأجنبية على الأقل.

هذا ما أفاض به القلم وإن كان المجال يتسع لمزيد من الطرح والشرح أرجو أن تتاح الفرصة لى أو لغيرى لإعطاء الموضوع ما يستحقه من إضافة حتى تنجلى الحقيقة ونقف على أرض صلبة من واقعنا وقضايانا الآنية والمستقبلية.

الدور الحضارى للصحافة الإسلامية

تعد مصر من أولى الدول العربية التى عرفت الصحافة وذلـك بعـد مجـىء الحملـة الفرنسية، إذ اهتم نابليون بونابرت بإحضار مطابع عربية وفرنسية، ليقوم مـن خلالهـا بالدعاية لوجود الحملة فى مصر، ولكن لا نستطيع أن نصف صحافة الحملـة الفرنـسية بأنها صحافة مصرية، فرغم أن بونابرت أصدر صحيفتين فى مصر، لكنهما كانتا باللغـة الفرنسية، كما أنهما كانتا موجهتين فى الأساس إلى جنود الحملة وعلمائها، وانتهـى أجـل هاتين الصحيفتين بخروج الفرنسيين من مصر.

ولكن الصحافة المصرية بدأت إرهاصـاتها، عنـدما أصـدر محمـد عـلى باشـا نـشرة «الجرنال» بصفة سنوية ثم أسبوعية ثم تبين للوالى بعد ذلك أن هناك من الأمـور مـا لا يحتمل الانتظار سبعة أيام فأصدر أمره بجواز عرض «الجورنالات» عليه يوميًّـا وكـان هذا التقرير الذى يمكن تسميته مع شىء من التجـاوز بالجريـدة الرسـمية ـ يرسـل إلى رجالات الدولة ومأموريها الذين يعنيهم أن يقفوا على أحوال الـبلاد والنظـام الجديـد فيها، وباتساع نشاط الدولة لم يعد هذا الجرنال كافيًـا، فـأمر محمـد عـلى باشـا بإصـدار جريدة «الوقائع المصرية» حيـث صـدر العـدد الأول منهـا فى ٢٥ جمـادى الأولى سـنة ١٢٤٤ هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٨٢٨م.

ويؤَرخ لبداية الصحافة المصرية بصدور صحيفة «الوقائع المصرية» ولكـن بعـد أن تولى رفاعة رافع الطهطـاوى أمـر تحريرهـا يمكـن اعتبارهـا البدايـة الحقيقيـة لظهـور الصحافة الإسلامية فى مصر، حيث بدأ الاهتمام باللغة العربيـة والعنايـة بهـا والـدفاع عنها ضد محاولات القضاء عليها باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الـشريفة، وكل كتب التراث والحضارة الإسلامية، حيث كانت اللغة العربية فى جريدة «الوقـائع المصرية» مهملة فى الفترة التى سبقت تولى رفاعة الطهطاوى الإشراف عليها فى٢٧ ذى

القعدة سنة ١٢٥٧هـ الموافق ١١ يناير ١٨٤٢م وكان رفاعة الطهطاوى من الكتاب الصحفيين الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ومن الذين بدأت بهم مدرسة الصحفيين الإسلاميين المصريين فى القرن التاسع عشر تتمسك بأحكام الإسلام ومبادئه وتأخذ من المنافع العملية للحضارة الغربية ما لا يتعارض مع هذه المبادئ وتلك الأحكام.

وتأسيسًا على ذلك، يمكننا أن نصف الصحافة الإسلامية بأنها ظاهرة فى تاريخ الصحافة المصرية والعربية، إذ لا يخلو قطر من الأقطار العربية من وجود صحف تنتمى إلى الفكر الإسلامى، وتستند إلى العقيدة الإسلامية فى توجهها وفلسفتها وتجعل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مرجعيتها العليا، ترتكز عليهما، وتنطلق منهما، وتعالج كافة القضايا الحياتية من منظورهما، أو بأسلوب لا يتعارض ولا يتصادم مع الأصول والقواعد التى أقرتها شريعة الإسلام السمحاء.

ولقد ظهرت فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تيارات فكرية وثقافية وأحزاب سياسية وجمعيات أهلية، وكان لكل تيار صحافته التى تعبر عن حاله وتنطق بلسانه، ومن ثم لا بد للباحثين فى مجال الصحافة الإسلامية من القيام بإجراء دراسات علمية حول الدوافع التى أدت إلى ظهور الصحافة الإسلامية فى مصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية من حيث العوامل التى أدت إلى ظهورها والدوافع التى ساعدت فى نشأتها ودورها فى إحياء حركة المد الإسلامى وحماية المجتمع من حالات السقوط والتردى والحفاظ على القيم والمثل من الذوبان أو الضياع، كما يمكن لهذه الدراسات أن تتناول المشكلات التى واجهت الصحافة الإسلامية بصفة عامة والمشكلات التى واجهت صحف الحركات الإسلامية بصفة خاصة على اعتبار أن هذا اللون من الصحافة الإسلامية، كانت لها خصوصيتها وامتدادها واستمرارها فترة زمنية قاربت ربع قرن، حيث إن صحف التيارات والحركات الإسلامية بدأت بداية حقيقية فى عام ١٩٣٣م وتوقفت بصورة ما، عام ١٩٥٤م، واستطاعت تلك الحركات أن تصدر العديد من الصحف والمجلات ما بين صحيفة يومية إلى صحف أسبوعية ومجلات نصف شهرية وشهرية وصل عددها إلى اثنتى عشرة صحيفة ومجلة.

ولقد أدت الصحافة الإسلامية أدوارًا مهمة فى حياتنا المعاصرة، فقد ظهرت فى وقت لم يكن يمتلك المسلمون فيها وسيلة إعلامية جماهيرية غيرها، فاستطاعوا من خلال الصحافة أن يدافعوا عن قضاياهم ويطالبوا بحقوقهم وأن ينشروا الفكر الإسلامى بين أفراد المجتمع وأن يردوا على الشبهات التى تثار حول الإسلام والمسلمين وأن يفندوا من خلال الصحافة كل الأكاذيب التى تروج حول الدين الإسلامى وشريعته الغراء.

واستطاعت الصحافة الإسلامية أن تكون حائط صد ضد الكثير من المذاهب والأفكار الهدامة كالقديانية والبهائية والماسونية وغيرها، ولقد كانت الصحافة الإسلامية وما زالت أحد الروافد الأساسية فى تزويد الجماهير المسلمة بالثقافة والمعرفة الإسلامية والتى عن طريقها يستطيع القارئ المسلم أن يتعرف على أخبار وأحوال العالم الإسلامى، ومعرفة أحكام الإسلام المتعلقة بالحلال والحرام من خلال نشر قضايا الأحكام والفتاوى الشرعية التى تجيب عن تساؤلات القراء وتتعرض لحل مشكلاتهم من وجهة النظر الإسلامية.

ولا شك أن الوقوف على العوامل والأسباب التى وقفت وراء صدور الصحافة الإسلامية يدفع القائمين بالاتصال فى هذا الميدان الآن إلى محاولة الاستفادة من التجارب السابقة للاستعانة بها فى المستقبل، فيقوم المسئولون عن الصحافة الإسلامية اليوم أو من يسعى إلى إصدار صحيفة إسلامية فى مصر وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية أو فى غيرها من الأقطار بالوقوف على الأسباب والدوافع الإيجابية التى أدت وساعدت على صدور الصحافة الإسلامية فى مصر ويعمل على الإفادة منها ومحاولة تجويدها وتطويرها وتحسينها وتنميتها، أما العوامل والأسباب السلبية، فيسعى إلى تجنبها والحذر منها واستبعادها، وبذلك تكون التجارب السابقة لصدور الصحف الإسلامية زادًا فى المجال الصحفى الإسلامى تستفيد منه الأجيال الحالية واللاحقة.

وسوف تكتسب هذه الدراسات أهمية كذلك من حجم الدور الذى أدته الصحف الإسلامية فى تاريخنا الحديث من الوقوف فى وجه الاحتلال البريطانى الذى جثم على صدر مصر منذ عام ١٨٨٢م فظهرت الصحف الإسلامية المنددة بالاحتلال والرافضة

له والكاشفة عن أخطائه وأخطاره، وحثت القراء على ضرورة مواجهة كل صور الهيمنة البريطانية والاستلاب الحضارى الذى قصد به المصريون من قبل المحتلين.

ومن خلال الوقوف على أهمية هذا الدور للصحافة الإسلامية نستطيع أن نستكشف مدى حجم المعاناة والمعوقات والمشكلات والمضايقات التى كانت تواجه الصحف الإسلامية التى كانت تصدر فى ظل هذه الأجواء، حيث الصوت الإسلامى والكلمة الدينية هى دائمًا الأقوى والأكثر تأثير على المحتلين والطغاة والمستبدين.

ومما يعطى أهمية لهذه الدراسات أيضًا، ندرة الدراسات والبحوث العلمية التى تناولت الدوافع والأهداف التى تقف وراء إصدار الصحف والعوامل والأسباب المؤثرة فى ظهورها بشكل عام والصحف الإسلامية بشكل خاص.

ويمكن لهذه الدراسات أن تحقق مجموعة من الأهداف العلمية يمكن الوصول إليها وتتمثل هذه الأهداف فيما يلى:

١ـ الوقوف على الظروف التاريخية التى نشأت فيها الصحافة الإسلامية.

٢ـ إبراز المفهوم العلمى لماهية الصحافة الإسلامية.

٣ـ الكشف عن الدوافع والمبررات التى أدت إلى ظهور الصحف الإسلامية.

٤ـ تجلية الدور البنائى والحضارى والموقف الدفاعى للصحافة الإسلامية فى الحياة العربية والإسلامية.

٥ـ الكشف عن الأسباب والعوامل التى تؤدى إلى توقف الصحف الإسلامية عن الصدور وتعوق مسيرتها.

هذه لمحة سريعة عن إرهاصات بل بدايات ونشأة الصحافة الإسلامية فى مصر وغيرها من الدول العربية وعن أهمية التصدى من قبل الدارسين والباحثين لدراسة هذه الصحف لتوثيقها وإبراز الدور الحضارى التى قامت به تلك الصحف على مر عقود من الزمن.

الإعـلام والأسـرة



صورة الحجاب فى الصحافة الإلكترونية العربية

تبرز المرأة المسلمة فى الإعلام الغربى كأداة توظف فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد ساعد فى ذلك اجتماع كل من مصالح الآلة الإعلامية الضخمة التى يسيرها النفوذ الصهيونى، مع أهداف الحركات والمنظمات النسائية الغربية فى تقديم صورة نمطية مشوهة للمرأة المسلمة، وتشترك كثير من وسائل الإعلام الغربية فى عرض صورة نمطية مكررة للمرأة المسلمة، وأساس طرحهم الذى لا تكاد تخلو منه مقالة أو تحقيق، أن المرأة فى عالمنا الإسلامى ممتهنة ومهضومة الحقوق ومسلوبة الحرية، وذلك كله راجع إلى ازدواجية المعايير التى يتعامل بها الإعلام الغربى على نطاق واسع، فى تعامله مع قضايا المسلمين بصفة عامة، وفى شأن المرأة المسلمة على وجه الخصوص، والسؤال الذى يطرح نفسه: لماذا تستطيع الراهبة أن تغطى من رأسها إلى قدميها، وتكون فى نظرهم محترمة، فهى تمتثل لأوامر ربها، ولكن عندما تفعل ذلك المسلمة تعتبر ممتهنة ؟ وعندما تجلس المرأة الغربية فى بيتها للعناية بالبيت والأطفال، فهى فى نظرهم تقدم تضحية جميلة وجليلة فى سبيل محافظتها على شئون منزلها، ولكن عندما تفعل المرأة المسلمة ذلك فهى فى حاجة إلى أن تُحرر؟[1].

وتأسيسًا على ذلك فإن هناك تحديات كثيرة تواجه الإعلام العربى والإسلامى لتصحيح الصورة المشوهة عن المرأة العربية والمسلمة فى الإعلام الغربى، ولن يتحقق ذلك إلا إذا أقامت أجهزة الإعلام العربى بإعادة النظر فى الإستراتيجية التى لا تزال تتبعها فى تقديم صورة المرأة العربية إلى العالم الذى تحول إلى قرية كونية صغيرة، كما يقتضى ذلك الوعى بالشروط المتغيرة للعصر من ناحية والأوضاع الجديدة التى ترتبت على أحداث الحادى عشر من سبتمبر من ناحية موازية، إن الحاجة ماسة إلى خرائط عقلية جديدة تعى متغيرات العالم وإلى وعى جديد يبرز الصورة الإيجابية للمرأة العربية الجديدة[2].

ولقد تعددت القضايا المتعلقة بالمرأة العربية والمسلمة على صفحات الصحف الإلكترونية ومن هذه القضايا، قضايا الحقوق السياسية للمرأة، وخروج المرأة للعمل، وختان الإناث وسفر المرأة بدون محرم سواء أكان ذلك للعمل أو للدراسة وغير ذلك من القضايا، ولكن القضية الأبرز والأهم والتى استحوذت على اهتمام الصحف الإلكترونية هى قضية الحجاب وما يتعرض له من انتقادات وهجوم سواء أكان ذلك داخل البلاد العربية أم فى خارجها، ففى مصر تحولت تصريحات وزير الثقافة المصرى الأسبق «فاروق حسنى» حول الحجاب إلى أزمة كبرى، وكان الوزير قد أكد فى حوار صحفى أن حجاب المرأة يمثل عودة للوراء وأن النساء بشعرهن الجميل كالورود التى لا يجب تغطيتها وحجبها عن الناس، وازدادت الأزمة اشتعالًا بتمسك الوزير بكلامه وآرائه، وقوله: إن ما صرح به بشأن الحجاب هو رأى شخصى وليس رسميًّا على الإطلاق، وأن ذلك يدخل فى نطاق الحرية الشخصية وتوالت الردود على تصريحات الوزير.

وترد «آمنة نصير» على تصريحات الوزير بقولها إن: شعر المرأة تاج على رأسها ويجب أن تحافظ عليه بالحشمة، والحجاب فرض، وليس قيمة المرأة فى شعرها ولكن لدورها ومكانتها ومشاركتها فى بناء المجتمع والتنمية، فالحجاب ليس أمرًا يظهر فى زمن أو يناسب زمنًا ولا يناسب زمنًا آخر، ولكن هو فرض دائم وقائم إلى يوم القيامة، وهى أوامر إلهية غير قابلة للرفض أو الرد، والمرأة نفسها مطالبة بالالتزام بشرع الله، وبالزى الإسلامى كما فى الكتاب والسنة، ولذلك فتصريحات الوزير غير مقبولة وتجلب الفتنة، وأن الوزير قد أحرج الوزارة والحكومة بقوله بهذه الأقاويل، التى لم يفكر فيها حتى قبل أن ينطق بها، وتتساءل: لماذا هذا الهجوم على الحجاب والنقاب وكل ما هو إسلامى! ألم يعد هناك قضية يتداولها أهل الفكر والسياسة غير قضية الحجاب؟ وهل أصبح الحجاب هو القضية التى تعطل الاقتصاد والتنمية وتشغل الشرق الأوسط؟ ولمصلحة من هذا الهجوم على الحجاب، خاصة أن هذا الهجوم يتواكب مع هجوم غربى على الحجاب فى إطار صراع الحضارات والهجوم على الإسلام، ولذلك لا بد للتصدى لهذا الهجوم وليس ترويج نفس الفكر، الذى يستهدف الإسلام، وليس شأننا أن تثار القضية بشكل سياسى، فنحن نتحدث عن أصول إسلامية، بل هى فروض،

فالحجاب فرض، وذلك وفق نصوص قرآنية لا يجب الاجتهاد فيها، وأى اختلاف بين العلماء هو فى الشكل وليس الجوهر، والخلاف يتحدث عن النقاب وليس الحجاب، فهو أمر لا يدخل فى نطاق الحرية الشخصية ولذلك لا بد من تراجع الوزير عن هذا الرأى وأن يترك مثل هذا للمتخصصين، فالحديث فى مثل هذه القضايا لا يجوز لغير المتخصصين [٣].

وأما «يحيى هاشم حسن فرغل» [٤] فيتناول رأى وزير الثقافة فى الحجاب بالرد والتفنيد، ويقول: عندما نتحدث عن الشريعة الإسلامية، يجب أن ندرك أن هناك فرقًا جوهريًا بين مفهوم التدرج الذى يمكن استخدامه فى وصف مراحل التشريع المنزل، كما كان الحال فى تحريم الخمر مثلًا، وبين مفهوم التطور الذى يستخدمه بعض من يكيدون للإسلام وشريعته لإزالتها، ففى المفهوم الأول يكون الأمر أشبه بدرج البناء الذى يُستخدم للوصول إلى نهايته المقررة سلفًا دون تغيير فى حقيقة البناء أو ثباته، ولكن تأكيدًا له، أما مفهوم التطور والتطوير فهو مفهوم لا يعترف بأن فى داخل الحقيقة ثباتًا غير قانون التغيير المستمر من الأدنى إلى الأرقى. ومن جحر التفسير التطويرى للشريعة الإسلامية تطل رءوس الأفاعى السامة بين وقت وآخر، وكان من أخرها فحيح أفعى لا خطر لما تنفثه شخصيًا ولكن الخطر من أثر تنظيمى على مستوى الدولة والمجتمع، وذلك حيث اعتبر وزير الثقافة المصرى «فاروق حسنى» أن ارتداء المرأة المصرية الحجاب عودة إلى الوراء، وينتهى إلى أن الهجوم الراهن على الإسلام ليس إلا حلقة صغيرة من سلسلة طويلة متوافقة من تهجم المبشرين والمستشرقين على ذاتية الإسلام لها سوابقها وتوابعها وروافدها من أسلحة الطغاة، واختيارهم قضايا المرأة ذريعة لهذا الهجوم.

بينما يتهكم «حسن صبرا» [٥] من اهتمام المسلمين بالحجاب، ويتساءل: هل تخلص المسلمون من كل مشكلاتهم وقضوا على كل مظاهر تأخرهم حتى ينشغلوا بمسألة الحجاب ؟ ثم قدم تفسيرًا غريبًا للآيات القرآنية التى تلزم المرأة المسلمة بارتداء الحجاب، منتهيًا إلى نتيجة أغرب وهى: أن الحجاب أو الزى الذى فرضه القرآن على المسلمات كان لعلة ولسبب وقد زالت العلة وغاب السبب، ومن ثم فلا ضرورة للحجاب ثم تهجم أيضًا على الذين يربطون بين ارتداء المرأة لزيها وحجابها وبين إيمانها والتزامها وقال: إن هؤلاء يعكسون رداءة وتخلف هذا الزمان الذى نعيش فيه.

ويتساءل «يحيى هاشم حسن فرغل»[٦] قائلًا: ترى هل يجرؤ معالى «المصور» الفنان «فاروق حسنى» أن يرسم لوحة للعذراء البتول عارية الرأس يتهدل شعرها فوق جبينها كالوردة وفقًا لوصف معالى الوزير ؟ أغلب الظن أنه لن يفعل وأنه لا يجرؤ أن يفعل لو أنه أراد !!.

وينتهى إلى أن الحجاب ليس بحد ذاته هو ما أزعج الوزير أو مجموعة من اغتصبوا لأنفسهم وصف المثقفين ممن أعلنوا بيانهم وتأييدهم له، إنما هى الهوية الإسلامية التى أزعجتهم، كما أزعجت دعاة تقويم الأذان فى المساجد، وإلغاء خانة الديانة من البطاقة، وإلغاء التفرقة فى الوجوه والأزياء بين الرجال والنساء، كما أزعجت من قبل «أتاتورك»، ومن بعد «جاك سترو» و«جاك شيراك»، وجماهير الغرب فى بلادهم فى هولندا وأستراليا وألمانيا والدنمارك والنرويج ومختلف أنحاء أوربا، والمطلوب منا نحن المسلمين: أن ننتبه إلى أعماق هذه المعركة حول قدس الذاتية، فلا نستغرب، فيما حولها من المناوشات الجانبية، وإنما ندرك أن معركة الحجاب هى استهداف لدرع مهم من دروع الذاتية الإسلامية، وهى من ثم ما زالت المعركة الإسلامية الرئيسة، كما كانت منذ بداية القرن، إنها معركة حول حصن الذاتية أو حول الإعلان عنها، ولم تكن الحملة على حجاب المرأة المسلمة قاصرًا على دولة عربية أو إسلامية دون الأخرى، خاصة من قبل التيار التغريبى، وإن كان هناك بعض الدول تميزت بشدة الحملة من جهة هذا التيار - كمصر وتونس — على الحجاب الإسلامى، ففى دراسة «الزنيفى باريل»[٧]، تناولت عرضًا لأزمة الحجاب فى تونس وأشارت إلى أن بعض الصحف العربية نشرت بيانًا مقتضبًا يعلن قرار تونس سحب سفيرها من قطر، أما السبب الذى جعل تونس تُقدم على هذه الخطوة فهو يتمثل فى قيام قناة الجزيرة الفضائية التى تسيطر عليها عائلة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثان، ببث برنامج يسلط الأضواء على الحملة التى تشنها السلطات التونسية ضد الحجاب الإسلامى، وذلك بناء على أوامر صادرة عن الرئيس السابق «زين العابدين بن على».

وانتهت الدراسة إلى القول، بأن تقرير وزارة الخارجية الأمريكية لحقوق الإنسان يصور النظام التونسى الحاكم على أنه أبعد ما يكون عن نمط النظام السياسى الليبرالى، ومع كل ذلك فإن أمثال «تونى بلير» و«جاك شيراك» لا يخفون رضاهم عن نظام

«بن على»، إضافة إلى بعض الزعماء المحافظين مثل «جورج بوش»، هذا الرضا ينبع من شعور الغرب بأن حاكمًا مسلمًا يحارب الحجاب الإسلامى لا يمكن أن يكون «غير ليبرالى» و«معاديًا للغرب» رغم أنه يحول دون قيام معارضة سياسية حقيقية ويفرض رقابة خانقة على القنوات الإعلامية فى بلاده، لقد بلغت سعادة القادة الغربيين عندما أوضح بن على نفسه موقف نظامه من مسألة الحجاب عندما قال: «نحن نميز ما بين الزى الطائفى واللباس التونسى التقليدى الذى يرمز إلى الهوية الوطنية»، وقال: «إن التونسيين قد تفاجئوا اليوم بوصول بعض الظواهر الاجتماعية الغريبة عن الدين والهوية والتقاليد، إنها ظواهر لا علاقة لها بالإسلام».

ويهاجم «إسحاق الشيخ»[٨] الحجاب الإسلامى للمرأة إلى جانب بعض المسائل الأخرى كالنقاب واللحية وقال: إذا كانت اللحية الطويلة والثوب القصير هما رمزان لرجل الدين الملتزم، فإن الحجاب والنقاب هما أيضًا رمزان للمرأة المتدينة الملتزمة، وهكذا طيّفوا الإسلام ورموزه بخصوصية هندام المظهر فى مغالطة ماكرة استهدفت تبهيم وتعويم الجوهر بالمظهر، إن التباهى والتفاخر بتمايز مظهر الالتزام الدينى ليس بالضرورة تحقيقًا للجوهر المعنى أساسًا بالعبادة، وليس من طهر العبادة التلويح بأسلاموية الحجاب أو اللحية أو الثوب القصير !!.

ويصف الحملة فى عودة الحجاب إلى المدرسة والجامعة ضمن محاولات أنشطة الإسلام السياسى على الصعيد المحلى التونسى والعالمى، تهدف إلى ضرب المثال التونسى الرائد لجميع الدول العربية فى تطوير وتحرير التعليم من مخازى عبودية الاضطهاد والتخلف والارتقاء بحرية المرأة وتكريس حقوقها ومساواتها فى الحقوق والواجبات ضمن قانون الأحوال الشخصية !.

وكذلك الأمر، فإن الحملة على حجاب المرأة المسلمة لم تقف عند حدود المنطقة العربية بل تعدت إلى بعض البلدان الإسلامية كتركيا، والهجوم على الحجاب والدعوة إلى سفور المرأة المسلمة فى تركيا ليس وليد اليوم، بل خطة مرسومة من يوم أن قاد «مصطفى كمال أتاتورك» الانقلاب ضد الخلافة العثمانية وحول وجه تركيا إلى العلمانية، وفى ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ قاد رئيس الأركان التركى «كنعان إيفرين» انقلابًا عسكريًّا أطاح بالعملية الديمقراطية فى البلاد، ولم يكن هناك شك فى أن الانقلاب

الذى قادته المؤسسة العسكرية الحامية للنهج العلمانى ولا سيما بعد تعاظم قوة التيار الإسلامى بزعامة حزب (السلامة) الذى نظم مسيرة جماهيرية ضخمة ــ قبيل الانقلاب ـ نصرة للشعب الفلسطينى وأحرقت فيها أعلام إسرائيل والولايات المتحدة، وفى الشهر نفسه، خصصت إحدى المجلات المصرية صفحتين، تناولت فيهما الانقلاب العسكرى وأبعاده، ومما نشرته المجلة صورة لسفينة سياحية فخمة أعدها «أتاتورك» لتزور موانئ أوربا وعلى متنها مجموعات من النساء التركيات شبه العاريات كدليل مادى يقدمه النظام العلمانى التركى لأوربا على انسلاخه عن الإسلام.

ويرى «ناصر يحيى»[9] أن «العسكر» و«التلاعب بالمرأة» هما المظهران الشهيران للعلمانية فى بلاد المسلمين، فالعسكر يفرضون العلمانية بالقوة، ويقلبون أوضاع المجتمعات الإسلامية رأسًا على عقب ويحكمونها بالحديد والنار، واستخدام المرأة وإجبارها، على سلوك طريقة لا تتناسب مع التعاليم الإسلامية وآداب القرآن الخاصة بالمرأة، ولا شك أن العلمانيين المعاديين للحجاب لم يكونوا يتخيلون أن عودة الحجاب وظهوره فى أوساط المتعلمات سيكون نهاية لمرحلة من التغريب، ويتوصل إلى أن الحجاب يحقق كل يوم انتصارًا جديدًا، وأبرز مظاهر انتصاره أنه تأسس على قناعات ذاتية بعيدًا عن التقليد الأعمى خضوعًا لضغط عائلى.

وإذا كان وضع الحجاب الإسلامى للمرأة فى بعض الدول العربية والإسلامية فى مأزق فإن الحال لا يختلف كثيرًا فى بعض الدول الأوربية، فلا تزال مسألة الحجاب الإسلامى تتحرك فى أوربا، حيث يدور جدل حول قانون يهدف إلى منع المسلمات من ارتدائه فى المدارس من خلال كونه تعبيرًا عن رمز دينى لا ينسجم مع الاتجاه العلمانى.

وفى دراسة «محمد حسين فضل الله»[10]، سجل مجموعة من الملاحظات المهمة حول الأسباب والمبررات التى دفعت بعض الأقطار أن تتخذ مواقف متشددة حيال ظاهرة ارتداء المرأة المسلمة للحجاب فى أوربا، وهذه الملاحظات جاءت على النحو التالى:

١ـ أن هذا الاتجاه السلبى ضد الحجاب يمثل نوعًا من أنواع الاضطهاد الإنسانى للمرأة المسلمة الملتزمة بالحجاب، وتقييدًا للحريات العامة والخاصة، فى الحق الذى يملكه الإنسان فى اختيار اللباس الذى يلبسه، ولا سيما إذا كانت بعض خصوصياته

تمثل التزامًا دينيًّا لا يملك المسلم فى التزامه الشرعى أن يتجاوزه، والحجاب فى الإسلام يمثل حكمًا شرعيًّا إلزاميًّا لا بد للمسلمة من التقيد به.

٢ـ إن إثارة مسألة الحجاب على أساس كونه تعبيرًا عن رمز دينى، فى الوقت الذى لا نجد مثل هذه الشدة فى إثارة الجدل بالنسبة إلى الرموز الدينية الأخرى، يوحى بأن هناك عقدة مستعصية لدى الغربيين ضد الإسلام فى التزامات المسلمات المقيمات فى أوربا، ولا سيما بعد انتشار الحساسية ضد الإسلام كنتيجة لإثارة التهمة بالاتجاه الإرهابى للدين الإسلامى وللمسلمين، الأمر الذى جعل المسلمات المحجبات يشعرن بالخوف والحرج من ارتداء الحجاب الذى يوحى بصفتهن الدينية الإسلامية، ما قد يعرضهن فى بعض البلدان أو المجتمعات للاعتداء المادى والمعنوى.

٣ـ أن الحديث عن اعتبار الحجاب ظاهرة مستوردة يدل على جهل بالشريعة الإسلامية والتاريخ؛ لأن الحجاب كان منذ الدعوة الإسلامية فى المدينة، حيث كانت المسلمات يؤكدن فى سلوكهن الشرعى الالتزام به منذ نزلت آية الحجاب، واستمرت المسيرة الإسلامية فى كل بلاد المسلمين على ذلك النهج، ثم ما معنى اعتباره حال طائفية، فى الوقت الذى يعرف الجميع بأنه حال إسلامية عامة، لم يستوردها المسلمون من الآخرين، وإذا كان بعض الشعوب غير الإسلامية يلتزمون به كتقليد من تقاليدها الشعبية أو الدينية، فليس ذلك منطلقًا من أصالتها فى السير عليه، ليكون الالتزام به شرعًا فرعًا منها.

٤ـ أن مسألة الحجاب ليست من مسائل مسئولية الدولة فى نظامها الاجتماعى، بل هى مسألة شخصية تتصل بحرية الإنسان فى ما يختاره فى لباسه، تمامًا كالحريات الخاصة، ومن الطريف أن بعض المسئولين فى هذه الدولة أو تلك يتحدث عن الاحتشام فى اللباس، ولكنه لا يمنع اللاتى لا يلتزمن به فى أكثر من موقع اجتماعى أو سياحى، ما يوحى بأن القضية ليست قضية توجيه قانونى اجتماعى للحفاظ على المسألة الأخلاقية، بل هى تقليد غربى مستورد من المفاهيم الغربية فى طريقة الحياة لإثبات حال التحرر من التقاليد الإسلامية، ليحصلوا على تأييد الغربيين لهم.

٥ـ إذا كانت الحيثية التى تختفى وراء قانون منع الحجاب فى المدارس هى الانطباع السيئ الذى تتركه المرأة المحجبة فى نفوس الطلاب، فإن ذلك لا يرتكز على أساس

نفسى؛ لأنه من الممكن أن يقول الملتزمون بأن نزع الحجاب قد يترك انطباعًا سلبيًّا فى نفوسهم، هذا، فضلًا عن أن هذه المسألة لا تقتصر على مقاعد الدراسة، بل تمتد إلى كل مواقع المجتمع المختلط الذى يمارس فيه الناس حرياتهم العامة التى قد تؤدى إلى اعتيادهم على هذا التنوع الذى يمثل مظهرًا حضاريًّا، تمامًا كما هى الأزياء المتنوعة للشعوب.

٦ـ أن منع الفتيات المحجبات من دخول المدارس والجامعات يتنافى مع قانون الحريات، ومع الديمُقراطية، ويحرم الكثير من الملتزمات من متابعة التقدم فى مراحل الدراسة إذا لم تكن لديهن الظروف الملائمة للدخول فى المدارس الإسلامية الخاصة، ما يمثل اضطهادًا تربويًّا بعيدًا من القيمة الإنسانية.

٧ـ أن التنوع الدينى فى حركة الحريات العامة فى المجتمع المتنوع يشمل حالًا حضارية تتنوع فى مواقعها وممارساتها، وتؤكد التعايش بين مختلف الحضارات، وتوحى بالتعارف الثقافى فى الانفتاح على الحوار بين الديانات فى ما قد تثيره التنوعات من التطلع إلى المعرفة لهذا الاتجاه الدينى أو ذلك، ما قد يدفع المجتمع إلى التعرف على ثقافة هذا الدين أو ذاك، ولعل من اللافت أن مسألة منع الحجاب لم تأخذ مسارها فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تؤكد على الحريات الخاصة احترامًا لإنسانية الملتزمين دينيًّا؛ لأنه ليست هناك عقدة تاريخية للشعب هناك ضد الإسلام، بينما قد يختزن الأوربيون هذه العقدة فى ثقافتهم، ما يجعل من تبعهم من المسئولين فى البلاد الإسلامية يتشبهون بهم للحصول على شهادات الغرب بأنهم حضاريون يأخذون بأسباب المدنية الغربية، فى الوقت الذى يمارسون اضطهاد الشعب فى حرياته السياسية وحقوقه المدنية.

٨ـ أننا نعتقد أن إطلاق حرية الحجاب الإسلامى ـ بستر جسدها وإظهار الوجه والكفين ـ لا يمنع المرأة من حركتها فى المجتمع، فى الوقت الذى تبرز المرأة المسلمة الملتزمة كإنسان يوحى بالجانب الإنسانى فى شخصيتها لا بالجانب الأنثوى المثير للغرائز، ولكنه لا يمنعها من ممارسة أنوثتها فى البيت الزوجى، أو فى المجتمع النسائى، حيث لا يخلق أى نوع من الإثارة.

٩ـ أن من اللافت أن يحتج قادة الاضطهاد للمرأة الملتزمة بأن حريتها فى دخول

المدارس والجامعات والمؤسسات الرسمية تتنافى مع النظام العلمانى وهى حجة غير دقيقة؛ لأن النظام العلمانى لا يقوم على طريقة الطلاب فى الالتزام الدينى، ولا سيما أن العلمانية لا تضطهد الحريات الدينية، بل تقتصر على عدم اعتباره قاعدة للحكم وللقانون فى الدولة، ثم أن مسألة الالتزام بالحجاب فى الممارسات العامة للناس أكثر خطورة فى الالتزام فى الجانب التربوى.

١٠ـ أن قوانين منع الحجاب للطالبات الملتزمات فى المدارس يمثل اضطهادًا عنصريًا للناس لا يلتقى بالديمقراطية من قريب أو من بعيد، ويخلق حالًا سياسيًا ضد النظام العلمانى لدى الناس.

وانتهى فى دراسته إلى أننا نريد للدول الأوربية التى قد تتحرك فيها هذه الدعوات السلبية ضد الحجاب أن تبتعد عن هذا النهج اللاإنسانى ضد المسلمات الملتزمات انطلاقًا من الإيمان بالحريات العامة التى ارتضاها الغرب لنظامه، إضافة إلى أن المسلمين أصبحوا يمثلون جالية كبرى كجزء من هذا المجتمع الأوربى أو ذاك، حتى يستغل الآخرون مثل هذا التعقيد لإيجاد بعض الحالات السلبية التى لا تنفع المجتمع فى أى شأن من شئونه، ودعا إلى حوار حضارى يتفهم فيه أصحاب الديانات المختلفة والحضارات المتنوعة وجهات النظر الثقافية للخلفيات الكامنة وراء هذا الالتزام أو ذاك، وفى نطاق هذه الشرعية أو تلك، فذلك هو الذى يحقق للمجتمع كله السلام الروحى والثقافى والاجتماعى.

ويأتى بيان المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث فى نفس السياق، فقد أصدر فتوى حول قضية الحجاب أوضح فيها وحدد مجموعة مهمة من النقاط تمثلت فيما يلى[(١١)]:

١ـ أن التعايش بالنسبة للمسلم يعتبر أصلًا فى بناء المجتمعات الإنسانية، ويقتضى الاعتراف بالتعددية والتنوع فى إطار الوحدة القومية والإنسانية، وإشاعة أجواء الحوار بين الثقافات والتعاون بين ومع الجماعات الدينية والعرقية المختلفة، والمحافظة على السلم الاجتماعى، ولطالما أكد المجلس فى كل بياناته على حث المسلمين فى أوربا على العيش المشترك والاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها دون فقدان هويتهم، والإسهام فى رقى وتقدم وأمن هذه المجتمعات، وذلك انطلاقًا من إيمانهم بالله تعالى

رب الجميع، وبأواصر الأخوة الإنسانية وما بينها من قواسم مشتركة رغم تنوعها الثقافى والحضارى.

٢ـ أن المبادئ السابقة للعيش المشترك لا يمكن أن تطبق إلا باحترام الحريات الشخصية للأفراد والجماعات والحفاظ على حقوق الإنسان، وقد كان للثورة الفرنسية دورًا بارزًا فى ترسيخ هذه المفاهيم، مما جعل فرنسا توصف بأنها «أم الحريات» ومن أهم البلاد التى يُحافظ فيها على حقوق الإنسان.

٣ـ أنه ليس هناك تعارض حقيقى بين مقتضيات التعددية والتنوع البشرى وبين مقتضيات الوحدة الوطنية التى لا يجوز أن تكون مبررًا لمصادرة الحريات الشخصية والدينية أو تهديد فرص المسلمين الفرنسيين أو غيرهم فى التعليم والتكسب وتهميش دورهم كمواطنين، وبالتالى الدفع بهم إلى مزيد من العزلة بدلًا من التلاحم مع إخوانهم المواطنين الفرنسيين، كما لا يجوز أن تكون العلمانية الليبرالية مبررًا لسن «قوانين صارمة» من شأنها الانقضاض على أهم حقوق الإنسان وحرياته وهما الحرية الشخصية والدينية، ولا يجوز كذلك أن تتخذ بعض التجاوزات فى سلوك بعض المسلمين أو غيرهم بما لا يتفق ومتطلبات العيش المشترك كمسوّغ لحرمان خمسة ملايين مسلم فى فرنسا من حقوقهم المشروعة، إن احترام التنوع والمحافظة على الحريات هو الأساس المتين والضمان الأكبر للوحدة الوطنية والأمن العالمى وخاصة فى الأمد البعيد.

٤ـ إن ارتداء الحجاب أمر تعبدى وواجب شرعى وليس مجرد رمز دينى أو سياسى، وهو أمر تعتبره المرأة المسلمة جزءًا مهمًّا من ممارستها المشروعة لتعاليم دينها، وأن هذا الالتزام أمر غير مرهون بأى مكان عام سواء أكان من أماكن العبادة أم كان من المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، فإن تعاليم الإسلام بطبيعتها لا تعرف التناقض والتجزؤ فى حياة المسلم الملتزم بدينه، وهو أمر أجمعت عليه كل المذاهب الإسلامية قديمًا وحديثًا، وأقرّه أهل التخصص من علماء المسلمين فى جميع أنحاء العالم، ويدخل فى ذلك موقف فضيلة شيخ الجامع الأزهر الذى صرّح بوضوح أن الحجاب الإسلامى فريضة شرعية وليس «رمزًا دينيًّا»، أما ما نسب إليه من حق فرنسا كدولة ذات سيادة فى سنّ ما تراه مناسبًا من قوانين وتشريعات فهو أمر وارد ومقبول

دوليًا، ولكننا نحسب أنه كان من المفيد كذلك أن يضيف فضيلته أن هذا الحق مشروط كذلك بمواثيق حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية وميثاق الأمم المتحدة، فلا يتصوّر أن تكون سيادة أى دولة مبررًا لتشريعات تناقض حقوق الإنسان وحريته الشخصية والدينية، ولعل هذا التوضيح من فضيلته كان حريًا بأن يمنع سوء تأويل موقفه الذى ظنّه البعض تخليًا عن واجبه فى معاضدة إخوانه المسلمين أو غيرهم فى المطالبة بحقوقهم المشروعة وأداء واجباتهم الدينية، وبذلك يكون موقفه مطابقًا لما أجمع عليه علماء الأمة بشتى مذاهبنا فى القديم والحديث.

٥ـ أن إكراه المسلمة على خلع حجابها المعبّر عن ضميرها الدينى واختيارها الحرّ يعتبر من أشد أنواع الاضطهاد للمرأة بما يتفق مع القيم الفرنسية الداعية إلى احترام كرامة المرأة وحريتها الشخصية والإنسانية والدينية، وإن المجلس ليؤكد على أن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب يجب أن يكون مؤسسًا على القناعة الشخصية والفهم، وإلا فقد قيمته الدينية، وبالمثل فإنه لا يجوز إجبار المرأة المسلمة على خلع حجابها كثمن لتعليمها أو استفادتها المشروعة بمرافق الدولة.

٦ـ أن هذا القانون المقترح وإن بدا أنه يشمل كل «الرموز الدينية» فإنه فى المحصلة يستهدف تحديدًا الحجاب الإسلامى، مما يمثل تفرقة دينية ضد المسلمين، ويخالف كل الدساتير والأعراف فى ما يُسمى بالعالم الحر.

٧ـ أن المجلس ينصح المسلمين فى فرنسا فى مطالبتهم بحقوقهم المشروعة ومعارضتهم لمثل هذا القانون الظالم أن يلتزموا بالوسائل السلمية والقانونية قولًا وعملًا، فى إطار الديمقراطية وبالأسلوب الحضارى، وأن يثمّنوا إسهام إخوانهم وأخواتهم من المسلمين الذين أيدوهم رغم اختلافهم معهم فى موضوع ارتداء الحجاب، وكذلك إخوانهم وأخواتهم من غير المسلمين الذين وقفوا معهم دفاعًا عن حريتهم الشخصية والدينية والإنسانية، وإن لم يشاركوهم فى اعتقادهم وممارساتهم الدينية، فإن قضية الحريات الأساسية لا تتجزأ.

٨ـ وفى نهاية البيان يدعو المجلس المسئولين فى فرنسا على شتى المستويات أن يعيدوا النظر فى هذا المشروع بما يتفق مع غايات الوحدة الوطنية والأمن الاجتماعى والتعاون والتلاحم بين شتى قطاعات المجتمع الفرنسى فى عصر حوار الحضارات لا صراعها.

الإعلام وضرب الأطفال

ضرب الأطفال وسوء عقابهم، ظاهرة واضحة فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية، مع أن ديننا الحنيف يعلمنا ويرشدنا إلى وسائل عديدة أكثر تحضرًا وتماشيًا مع روح العصر والأساليب التربوية الحديثة لتربية أولادنا غير هذه الطريقة الفجة فى التربية والتوجيه ألا وهى الضرب والإهانة الجسدية، يؤكد ذلك ما توصلت أليه العديد من البحوث والدراسات العلمية.

كشفت دراسة للدكتور «عدلى السمرى» أستاذ الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى مصر أن ٩٦٪ من الآباء الذين يضربون أبناءهم تعرضوا للضرب وهم صغار.

وتوصلت الدراسة أن ضرب الآباء لأبنائهم وتعنيفهم المستمر لهم يربى عقد نفسية لدى الأبناء بل ويزيد من العنف الأسرى إلى أن يتفاقم ويمثل مشكلة من الصعب مواجهتها إذ تحول العنف من الأسرة إلى المجتمع وأصبح شكل من أشكال السلوكيات الشاذة وضحاياه مؤهلين نفسيًّا لممارسة الإرهاب النفسى على الأفراد مما يهدد أمن المجتمع.

ودعت الدراسة الآباء والأمهات إلى توخى الحذر فى تربية أبنائهم فكثرة الضرب يؤدى إلى نتائج يمكن الاستغناء عنها إذا استخدم كل من الأب والأم ما يسمى بالعقاب البديل والذى يتلخص فى حرمان الطفل مما يحبه بدلًا من الإيذاء البدنى الذى يؤدى إلى العديد من الأمراض النفسية.

وقد رصدت «عربيات» الدراسة واستعرضت الآراء حول ضرب الآباء للأبناء وتأثير ذلك على صحتهم النفسية وفى أى الحالات يكون الضرب وسيلة للتأديب بل وأى نوع من الضرب هو المقصود، ويمكن أن يؤتى بالنتائج المرجوة منه، وذلك من خلال معرفة آراء الآباء والأمهات والأبناء وعلماء الدين وعلماء الاجتماع والنفس.

تقول «نها السيد» طالبة بكلية حقوق القاهرة: الضرب ليس وسيلة سليمة للتربية فأنا أحب أن يتفاهم والدى معى بدلًا من أن يضربنى ويربى عندى الخوف منه والكره، فدائمًا أحب أن أسمعه وأنصت إليه وأفوز برضاه بدلًا من الهروب منه وتفادى لقائه خوفًا منه وأتمنى أن يبحث كل أب عن وسائل أخرى للعقاب بدلًا من الضرب.

أما «كريمة محمد» طالبة بمدرسة أم الأبطال الثانوية بنات السنة الثالثة فتقول: أبى وأمى يصران على معاقبتى بشدة وإهانتى بشتى الطرق حتى ولو تأخرت خمسة دقائق عن ميعادى وليس لى إلا عمة تعد بالنسبة لى الصدر الحنون وألجأ إليها دائمًا واعتبرها عوضًا لى عن حنان أمى وأبى الذى افتقده بسبب شدتهم معى وضربى دائمًا وكم كنت أتمنى أن يتعاملا معى بصورة أكثر محبة وتفهم ولكنى عرفت فيما بعد من عمتى أن أبى كان يتعرض للضرب بشدة من جدى وأن شدة أمى ترجع إلى عقاب أبى الشديد لها الذى قد يصل لحد الضرب أحيانًا.. وأنا لا أحب الضرب؛ لأنه وسيلة مرفوضة وتترك آثارًا نفسية سيئة على الأبناء وأنا واحدة من هؤلاء الأبناء ونفسى لا أرث هذه الصفة من والدى حتى لا يتعرض أولادى لمثل ما أتعرض له.

ويؤكد «سعيد حنفى» طالب بكلية الآداب بالسنة النهائية قائلًا: أنا مثلى مثل الجميع لا أحب الإهانة وأعتقد أن الضرب يعتبر أسوأ أنواع الإهانة التى نتعرض لها من الآباء وكأنه انتهاك لحقوق آدميتنا، فالضرب إهدار للكرامة ولا حياة بعدها بل سيكون الضرب عذاب للنفس الإنسانية، فأنا أعترض، لأن والدى رحمة الله عليه كان يعتبر العصا أداة للتربية وقد أدركت وتعلمت أنها أداة لتربية نشء جبان وأداة فعالة لقمع النفس البشرية حيث تولد لدينا نوع من الانتقام وأنا لا أريد أن أكون بهذه الصورة لذلك لا للضرب وأدعو الآباء إلى التفاهم واتباع لغة الحوار مع أبنائهم وكما يقولون فى المثل الشعبى (إن كبر ابنك خويه) أى اجعله كأخيك أو صديقك.

وتقول «هدى عبد الفتاح» موظفة بأحد البنوك الاستثمارية وأم لثلاثة أطفال فى مراحل تعليمية مختلفة: تربية الأولاد مسئولية كبيرة وتحتاج إلى يقظة من الأب والأم وبالنسبة لى أنا أحب أن أربى أولادى بلا ضرب ولكن على التفاهم والتحاور والإقناع ويرون فى ذلك احترامًا لعقلهم واهتمامًا بهم بصورة عملية وقد تعلموا ذلك منذ

الصغر ولكن لا أخفى عليكم أن هناك تصرفات تغيظ وتشعل غيظى وتدفعنى لعقابهم بصورة غير إنسانية، ولكن الحمد لله أتدارك الأمر وأضطر للابتعاد عن مواجهتهم بتصرفاتهم المرفوضة حتى أعطى لنفسى فرصة للتفكير بأسلوب متحضر ولا ألوم زوجى عندما يفقد أعصابه فى التعامل معهم؛ لأن خوفه عليهم يجعله حريصًا كل الحرص على مصلحتهم ومتابعة كل شئونهم وعندما أحس بأنه فى طريقه لاستخدام الضرب أتدخل بسرعة وأحاول أن أؤجل حوارهم حتى يهدأ ويتفادى ضربهم وأحمد الله أن أولادى يسمعون الكلام ويأملون فى كسب ودى وود أبيهم وبالتالى فلا يتعرضون لأى نوع من التأديب والتهذيب، وصدقنى يكفى نظرة منى أو من زوجى لتأنيب أولادى على أى سلوك غير مسئول، وقد كانت أمى رحمة الله عليها دائمًا تقول: إن السلحفاة تربى أولادها بالنظرة وليس بالضرب أو الإهانة ويسمعون كلامها وينفذون تعليماتها بمجرد نظرة وأعتقد أن الإنسان أرقى مخلوقات الله، قد أعطانا العقل لتربية أولادنا دون إهانة أو ضرب.

وتقول «راوية فؤاد» ربة منزل ولها ولدان توأم وفتاة فى مقتبل العمر: «الحب أكبر معلم للأولاد فإذا تعلم الأبناء كيف يحافظون على المبادئ والقيم بالحب وبالحوار أعتقد أنهم لن يحتاجون إلى الضرب والتأنيب المستمر والذى يؤثر فى نفوسهم طول العمر».... وتضيف «أنا أربى أولادى بهذه الطريقة ولا ألجأ لضربهم أو أدفع زوجى لضربهم كما تفعل بعض الأمهات وأصعب عقاب فى نظرى أن أوبخهم بالكلام وكنت أضربهم ضربًا خفيفًا فى الصغر وأعاقبهم بعدم شراء ما يحبونه من حلوى ومن هنا تربى عندهم على ما أعتقد المحافظة على مشاعرى وتجنب غضبى بأى صورة ومحاولة كسب رضاى مهما كلفه الأمر حتى ولو حرمه ذلك من اللعب خوف إجلال لا خوف مكروه، وقد عاملنى أبى وأمى هكذا وأعتقد أننى بلا تخطيط أنفذ ما تربيت عليه وأعتقد أيضًا أنهم سينفذون بإذن الله نفس الطريقة مع أولادهم».

أما «رشاد السيد» محامى ويعول أسرة مكونة من أربعة أفراد فيقول: «لقد تعلمنا فى القانون أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته لذلك أنا لا أعاقب أولادى حتى يتضح لى أنهم أخطئوا وهذا الخطأ يعيبنى فى المقام الأول لأننى لم أعلمهم كيف يتفادون هذا الخطأ». ويضيف.. «منذ الصغر كان أبى يضربنى عندما أفعل شيئًا خطأً؛ وخاصة

عندما كنت أخطىء فى قراءة القرآن؛ لذلك أنا أؤمن بأن الضرب هو وسيلة للتأديب والتهذيب للأطفال؛ لأن السياسية قد تساهم بصورة أو أخرى فى انحرافهم وإذا علمتهم شيئًا ولم يقوموا بفعله أترك لهم الفرصة لتصحيحه ثلاث مرات وبعدها لا بد من التدخل الحاسم وألقنهم عقابًا حتى يصلحوا ما أفسدوه أو يتعلموا جيدًا خطأهم.

أما «على طلبة» موظف بالهيئة العامة للبريد يقول: «لقد ربيت أبنائى على الاحترام والحب المتبادل بيننا ولا أعتقد أننى يومًا ضربت ولدًا أو بنتًا بل أحاول أن أوثق علاقتى بهم بالحب والصراحة الواضحة بيننا خاصة بعد وفاة والدتهم أصبحت بالنسبة لهم أبًا وأمًا فإن شددت عليهم واتبعت أسلوب العقاب المبرح فلن يطيقونى وتتحول العلاقة بيننا لكره ويتمنون اليوم الذى يرحلون فيه بعيدًا عنى وعن حياتى، وإذا تراخيت معهم فسأندم على ذلك؛ لأنهم لن يجدوا من ينصحهم ويدفعهم للسلوك القويم، ولذلك أحاول والله المعين على ذلك أن أعتدل معهم فى تربيتى لهم بالحب ولغة الحوار والتفاهم وأحاول أن أنسى دائمًا أننى أبًا لهم بل أتصرف وكأننى صديقهم جميعًا وكاتم أسرارهم، وأعتقد أن هذا أفضل وسيلة لتربية الأبناء بدلًا من الضرب والإهانة والحمد لله فهم يدرسون فى كليات القمة؛ كلية الهندسة والطب والأخيرة فى الثانوية العامة؛ وليسوا معقدين أو محرومين من شىء تسبب لهم فى متاعب نفسية بل كان عقابى لهم دائما أن أحرمهم من الخروج والترفيه أو اللعب أو الذهاب لزيارة خالتهم التى يحبونها جدًا، وأقصى عقوبة أن آخذ موقفًا من المخطىء منهم حتى يدرك خطأه ويعترف به ويعدنى بعدم تكراره أعطيه الفرصة فى ذلك ومن هنا على ما اعتقد أنهم ينصتون لنصيحتى لهم التى دائمًا كانت فى صورة تحفزهم على استذكار دروسهم، إضافة أننى لا أعاقبهم إلا إذ تكرر الخطأ أكثر من مرة، وهذا أمر مهم جدًّا يجب أن يتنبه له الآباء، فالضرب والإهانة ليس وسيلة للتأديب لأنه أحيانًا يُربى جيلًا معقدًا نفسيًا ومشبعًا بالأمراض النفسية، وبالتالى غير صالح لأنفسهم ولا لأسرتهم ولا لمجتمعهم».

ويقول المهندس «فتح الله فؤاد» مهندس بوزارة الإسكان والتعمير: «أعتقد أنه بدون الضرب لما صلح الجيل فأنا أضرب أولادى وأعنفهم عندما يقومون بفعل تصرف مشين، خاصة إذا تم التنبيه عليهم من قَبلُ، وأيضًا أقوم بتأنيب ومعاقبة أمهم

إذا أخفت عنى بعض مشكلاتهم حتى لا يتعرضوا للضرب منى، ومن بين هذه التصرفات إساءتهم لوالدتهم بطريقة أو بأخرى فأذكر أن ابنى الصغير قام بالصراخ فى وجه أمه بطريقة غير لائقة فقمت وضربته بعصا حتى تورم بعض أجزاء من جسده، وعندما يفكر فى مثل هذا التصرف مرة أخرى ينظر إلى جسده فيتذكر ما حدث له فينصرف عن تكرار خطئه، وهكذا تعلمنا من والدنا كيفية الحفاظ على القيم واحترام بعضنا البعض وأحاول أن أعمل هذا فى تربية أولادى حتى يتربوا مثلما تربيت» .

ويعترف «مصطفى السيد» موظف بالهيئة العامة لنظافة وتجميل القاهرة: «أنا أضرب أولادى عندما يخطئون، لأن الخوف من العقاب يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل ارتكاب أى خطأ بالإضافة إلى أن الضرب جعلهم يخافونى ويعملون حسابى قبل فعل أى خطأ فلا أعرف رحمة عندما يتكرر الخطأ، لذلك فأولادى يتجنبون الخطأ وألحظ هذا فيهم جميعًا حتى لا يتعرضون للعقاب واعتقد أن أفضل وسيلة للتربية هى سياسة العقاب والثواب».

بعد أن استعرضنا اعترافات الآباء والأمهات والأبناء خاصة وأن كل واحد منهم يملك قناعته التامة فى استخدام أسلوبه الخاص فى التربية ذهبنا لعلماء النفس والاجتماع لنعرف آراءهم فى هذه الاعترافات والأسلوب الأمثل فى تربية الأجيال حيث قالت الدكتورة «عزة كريم» أستاذة علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس: «من أكثر المستويات خطورة إيذاء الطفل داخل الأسرة سواء بالضرب أو إحداث ضرر جسمانى للطفل مثل الرعاية الصحية، وقد يختلف الإيذاء الجسدى باختلاف الغرض منه، فالأسرة الفقيرة تستخدم العقاب البدنى بمعدلات أكبر من غيرها، وقد يصل هذا العنف إلى تعرض الطفل لإصابات خطيرة لذا يجب أن يكون هناك موقفًا إيجابيًّا وتوعية مستمرة لحث الآباء على الابتعاد عن الضرب فى معاقبة أبنائهم بصرف النظر عن انتمائهم الاجتماعى والاقتصادى، خاصة وأن ما يدفع الثمن غاليًا هو الطفل الذى يقع فريسة لظروف نفسية واجتماعية.... كما يجب توعية الآباء بكيفية التعامل مع أبنائهم فى المراحل العمرية المختلفة حتى يتسنى لهم عبور الكثير من المشكلات التى يتعرض لها الأطفال وبما لا يسمح بانعزال الآباء عن واقع الأبناء واضعين فى الاعتبار الظروف الفردية بين الأطفال فالطفل باختلاف قدراته وإمكاناته

يعتبر ذا قيمة فى حد ذاته وله الحق فى التمتع بحقوق متساوية مع أقرانه سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو مدنية كما من حق الطفل أن يشبع كل احتياجاته مهما كانت ظروف أسرته وبذلك يمكن أن تحمى الأسرة أبناءها من الانحراف أو حتى مصاحبة أصدقاء السوء».

أما الدكتور «مصطفى عويس» أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يرى أن الضرب أحد وسائل التربية والتهذيب ويستدرك: قبل أن نقر إباحتها لا بد أن يدرك الأب والأم أن الضرب المقصود به هو الذى لا يترك آثارًا نفسية أو جسدية فقد جعل الإسلام الضرب وسيلة تأديب للزوجة التى تغضب زوجها ولكن بعد أن يقطعها ثم يهجرها وأخيرًا يضربها دون أن لا يقترب من الوجه ولا يترك أثرًا فى الجسم، وكذلك الأولاد يضربون لتأديبهم وليس لتعقيدهم ويجب ألا يزيد من مكابرتهم وعنادهم.... ومع الأسف فإنهم يمنعون ضرب الأولاد فى المدارس إلى أن أصبح هم يضربون المدرس والأب والأم وصفحات الحوادث فى الصحف تسجل مثل هذه الوقائع، ولا ننكر أنها حالات فردية ولكنها موجودة ولعلاج هذه المشكلة لا بد من الرجوع للدين الإسلامى أى الضرب بحكمة وعقلانية وعقاب الأب يجب أن يكون مناسبًا فالوسائل البديلة للضرب لم تُؤتِ ثمارها بل ازدادوا عقوقًا وإجرامًا، وأنا من أنصار العودة إلى الضرب غير المبرح وغير المؤذى كوسيلة لتربية وتهذيب الأبناء سواء داخل المنزل أو المدرسة مع وضع الضوابط اللازمة حتى لا يؤدى إلى إلحاق الضرر بالأولاد وأعتقد أنه لو لم يضربنا الأهل لفشل تأديبنا ولو لم يضربنا المعلم لما تعلمنا ولم يكن منا الدكتور والمهندس والعالم فهو ليس وسيلة لتنفيس عُقَد الآباء فى أبنائهم، وإنما كل أب يرى ما ينفع أولاده ويحاول تطبيقه معهم لينفعهم فى حاضرهم ومستقبلهم.

ويرى الدكتور «عدلى السمرى» أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس أن الأم هى المدرسة الأولى التى يتربى فيها الأبناء حيث تغرس فيهم القيم والأخلاق النبيلة التى تكون شخصيتهم فهى يقع عليها العبء الأكبر فى التربية فإذا كانت واعية ومدركة لمدى مسئوليتها وتأثيرها على الأجيال القادمة فسوف تتعامل مع أولادها بحكمة وتمسك العصا من النصف بمعنى أن لا تضربهم إلى أن يؤدى الضرب

عقد نفسية لديهم وأن لا تترك الحبل على الغارب كما يقولـون فتتسبب بـلا قـصد فى انحرافهم.

ويضيف الدكتور «السمرى» صاحب الدراسة قـائلًا: المرأة العاملـة تقـع فى خطـأ وهو ترك ابنها الصغير مع خادمـات أجنبيـات تـربين الطفـل عـلى عـادات وثقافـات بلادهم فالإشباع العاطفى عند الطفل فى السن المبكـر ضرورى جـدًّا حيـث يتغلـب الطفل على العديـد مـن المشكلات وصـعوبات الحيـاة فى المستقبل، إذ مـنح شـعورًا بالدفء والأمان داخل الأسرة ولكن مع الأسـف لهـث الآبـاء وراء المادة واهـتمامهم بالعمل وانصرافهم عن رعاية أولادهم أحدث نوعًـا مـن التفكـك الأسرى ولم يأخـذ الأبناء الجرعة الأخلاقية اللازمة التى تحميهم مـن شرور البيئـة الخارجيـة والمجتمـع المحيط بهم، وبذلك أصبح أصدقاء السوء هم البديل عـن الأسرة إضـافة إلى أن تفـرغ الآباء لرعاية أبنائهم ليس هو المطلوب فقط فالثقافة ضرورية جدًّا لتربيـة الأبنـاء؛ لأن كل مرحلة سِنّية تحتاج إلى طريقة معينة فى التعامل، ويجب أن يهتم الآبـاء بقـراءة كتـب عن التربية لتساعدهم فى تنـشئة أبنـائهم تنـشئة اجتماعيـة سـليمة، وأن يبتعـدوا عـن الضرب؛ لأن الآباء الذين تعرضـوا للـضرب فى الـصغر ضربـوا أبنـاءهم وهـم كبـار وكنتيجة لضغوط الحياة والمسئوليات الكثيرة الملقاة على عاتق الوالدين وهـو مـا يـدفع كل منهما إلى الانفجار والتعبير عن غضبهم وعدم صبرهم لاستخدام أساليب بديلة فى معاقبة أبنائهم بدون ضرب وإهانة.

ولهذا أنصح الأبوين باتباع أسلوب عقلانى فى تربية أولادهم بعيـدًا عـن الـضرب والإيذاء النفسى والجسدى وإذا عجزا عن حل مشكلة معينة لأطفالهم فلا يخجلا مـن اللجوء إلى وحدات الإرشـاد الأسرى أو الطبيـب النفـسى خاصـة وأن تربيـة الأبنـاء مسئولية مـشتركة بـين الأب والأم، وقـد يكـون دور الأب هـو الأكـبر تـأثيرًا بـسبب مسئوليته عن الأسرة ككل وهو الذى يضع الأسس التربوية داخل الأسرة والتى تلتزم الأم بتطبيقها.

وأود الإشـارة هنـا « والكـلام للـدكتور الـسمرى» أن الأم ليـست هـى المـسئولة الوحيدة عن انحرافات الشباب كما يتهمها البعض ولكن وسائل الإعلام والفضائيات تؤثر على سلوكهم، خاصة بعد أن انفتح الشباب على الفكر الغربى الذى يفتقد الكثـير من عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية وهويتنا العربية التى نتمسك بها، وقـد أصـيبوا بـداء

التقليد الأعمى وقد تفاقمت تلك الظاهرة بعد أن تربى الشباب بعيدًا عن روح الإسلام والقيم الدينية الأصيلة التى تعتبر حصن أمان له من المغريات الخارجية.

وتقول الدكتورة «فايزة على» أخصائية علم النفس بمستشفى أبو الريش: «الثواب والعقاب مطلوب تطبيقه لتربية الأطفال ولكن أى عقاب؟، فالعقاب الذى يؤلم نفسيًا ويهدر الكرامة مرفوض وقد تختلف كل أسرة عن الأخرى فى طريقة التعامل مع أطفالها حيث يكون الطفل شقى يتحرك كثيرًا ويعبث بمقتنيات المنزل بدون وعى أو إدراك وفى تصوره أنه نوع من اللهو أو جذب الانتباه إليه وقد تتبع بعض الأسر أسلوب الضرب والإهانة، وتكون الشكوى منه دائمًا ولو أدركت الأسرة أن الطفل إن لم يقدم على تلك الأفعال فى هذا السن لأصبح حالة مريضة، ولهذا فيجب عدم توبيخه ومعاقبته كلما صدر منه فعل مرفوض، بل يجب أن أدعم ثقته بنفسه وأظهر له مميزاته بدلًا من عقابه وإهمال السلبيات والبحث عن الإيجابيات وإظهارها له، كما يجب على الأسرة أن تتقبل كل تصرفات طفلها وأن تتحمل شقاوته وتحتضنه، كما يجب أن يعلم الأب أنه مسئول أيضًا عن نفسية طفله فيجب الابتعاد عن معاملة زوجته معاملة سيئة خاصة أمام أطفاله وأن يتجنبوا مناقشة مشكلاتهما الخاصة أمام مرأى ومسمع أبنائهم بل يذكرها دائمًا بأمور الشرع ويعاملها معاملة الإسلام الصحيحة وأن يجعل المودة والرحمة هى السائدة فى حياتهما الزوجية؛ لأن ذلك سيؤثر بطريقة مباشرة على نفسية وتربية الأبناء.

وتضيف الدكتورة فايزة.. «إذا نشأ الأولاد فى حياة بها دفء وحنان انعكس ذلك على سلوكياتهم بدلًا من العقاب النفسى الذى سيؤدى حتمًا إلى موروث نفسى معقد ينتقل من جيل إلى جيل أخر ويصبح مجتمعنا مشوها نفسيا ويصبح الأبناء عبئًا على المجتمع بدلًا من أن يتحملوا مسئولية بنائه.... وأنا من أنصار العقاب ولكن بحكمة أو استخدام العقاب البديل للضرب مثل حرمانه من شىء يحبه مثل مشاهدة التليفزيون أو اللعب أو شراء ما يحبه أو تحقيق رغباته، وفى رأيى أن كل هذا يفوق العقاب البدنى بجانب تطبيق الثواب فغالبية الآباء يتذكرون العقاب ويتناسون الثواب وإن كان فى صورة معنوية أو مادية فسيكون أفضل وسيلة لتربية جيل بأكمله».

وتقول «رشا عاشور» مدرس مساعد تخصص علم نفس بكلية الآداب جامعة

القاهرة: «الأبحاث فى مجال تربية الطفل تؤكد أنه يمكن استخدام العقاب كوسيلة لمنع سلوكيات الأبناء المرفوضة؛ مثـل: العدوانيـة أى أن الأب يكـون عـلى حـق إذ ضرب طفله ومعاقبته لمنعه من التصرفات الخطيرة مثل اللعب فى أسلاك الكهربـاء أو مفـاتيح الغاز ونفس الحـال يحـق للمعلـم معاقبـة التلميـذ الـذى يعبـث فى المرافـق أو أدوات التدريس الخاصة بالمدرسة أو ينتهك نظام الفصل ومن هنا يمكن أن نقول: إن العقاب له شروط منها أن يتم تطبيقه عقب صدور السلوك المرفوض فورًا ولا ينتظر مده حتـى يعاقب الطفل عليه، ويكون العقاب مناسب للموقف أى حسب حجم الخطـأ ولا بـد أن يكون التحذير يسبق الخطأ مثلًا لتحذير من سكب الولـد لكـوب اللـبن ومـا غـير ذلك، وأيضًا لا بد أن يكون العقاب مباشرة إذا تكرر الخطأ، كما يجب معاقبة الطفل من الوالدين وليس واحد فقط حتى لا يشعر بالفارق أو عـدم الثقـة فى أحـد الوالـدين أو كلاهما هذا فى حالة ما إذا كان العقـاب بـدنى، وإن كـان يُفـضل مـا يُـسمى بالعقـاب السلبى فهو أحسن أنواع العقاب المقبول وهو حرمانه من المثيرات التـى يحبهـا الطفـل مثل عزل المخطئ وحيدًا فى غرفة خالية من ألعاب الترفيه ولكن ليست مخيفـة حتـى لا تسبب له أزمة نفسية، أو مغلقـة الأبـواب، أو حرمانـه مـن التنـزه أو ممارسـة بعـض الألعاب التى يحبها أو الحرمان المؤقت من المصروف، وكل ذلـك بـصورة مقننـة؛ لأن القاعدة تقول: إن العقاب الشديد فى الصغر يسبب اهتزاز الشخصية فى الكـبر، وعـدم النضج الانفعالى؛ لذا سينعكس هذا على أسلوبه فى معاملة الآخرين فيعـاملهم بعنـف شديد.

وتضيف الدكتورة «رشا» أن هناك تـأثير آخـر للعقـاب البـدنى عـلى الطفـل وهـو تكوين ميول واتجاهات سلبية نحو الشخص المعاقـب؛ مثـل: كراهيـة الأب أو الأم أو المعلم وتظل هذه الكراهية سببًا يعوق تقدمـه دائـمًا فى الحيـاة العمليـة وتحـول دون أن يكون عضوًا مؤثرًا فى المجتمع.

وأخيرًا أكد الدكتور «شعيب الغباشى» أستاذ الإعلام بكلية اللغـة العربيـة جامعـة الأزهر: أن الإسلام وضـع نظامًـا متكـاملًا لتنـشئة وتربيـة الأبنـاء بـما يكفـى بتـوفير احتياجاتهم ومتطلباتهم فهو فهم رشيد ينبع من حرص الإسلام على العلاقات الأسرية

وأهمية الفرد المسلم فى المجتمع، وقد وضع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة أساسية لتربية لأطفال إذ حدد سبع سنوات للعب وسبع للتعليم والتهذيب وسبع للمصاحبة، ثم اتركوهم، أى أن هناك قواعد أساسية لا بد من أن يمر عليها الطفل:

أولًا: اللعب وهى مرحلة تأسيسه قبل البلوغ حيث منع عنهم الضرب أو الزجر حتى يأخذ الطفل حقه فى التنزه واللعب واللهو، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعب سيدنا الحسين والحسن إذ يعتلى ظهره كلما سجد، ويقول الرسول الكريم: نعم الجمل جملكما، بل إنه صلى الله عليه وسلم كان يطيل السجود حتى لا يؤذى مشاعرهما وذلك ليعلم الأب الرحمة بأطفاله ويؤكد أن تلك المرحلة هى مرحلة لعبهم ولهوهم.

ثانيًا: مرحلة التعليم ويكون فيها أكثر استجابة للفهم والوعى فأكثر العلماء المسلمين حصلوا وحفظوا القرآن فى هذه المرحلة وهى بعد العاشرة وبعد ما تأتى مرحلة المصاحبة وتكون فى سن الخامسة عشرة حيث البلوغ والنضج والرشد ويجب على الآباء استعمال أسلوب آخر إذ يأخذ منه موقف الصديق والخليل وليس موقف الند.

وأخيرًا: تأتى مرحلة التحرر وترك الباب له معتمدين على أنفسهم، ولا يخشى عليه؛ لأن الأب أعطى لكل مرحلة حقها وأى مرحلة لم يأخذ فيها حقه تنعكس عليه بقية المراحل العمرية المختلفة.

فالرجل الذى لم يلعب وهو صغير تنعكس عليه فى شيخوخته ومن هنا الإسلام كان حريصًا على بناء الشخصية الإسلامية شخصية متزنة ليس فيها ضرب ولا كسر ولا إجبار، وقد قال أحد الصالحين: إن الضرب على ظهر اليد يجعل الطفل لا يتعلم حرفة أبدًا تقيه من الفقر؛ لذلك لا يجب ضرب الطفل على ظهر يده أو وجهه .

كيف يستفيد الأطفال من مجلاتهم؟

ظهرت فى السنوات الأخيرة أكثر من ذى قبل الحاجة الملحة إلى وجود صحف ومجلات ومطبوعات تعنى بالأطفال سعيًا إلى تحقيق الرعاية المتكاملة لهم، وتنشئهم التنشئة الصالحة وتثقفهم بالثقافة الراقية وتزودهم بالأخبار والأفكار الصحيحة، بما يتفق وهذه المرحلة السنية الخطرة، باعتبارها من أكثر مراحل الإنسان تأثرًا وتأثيرًا فى حياة الفرد.

ومن المعلوم سلفًا أن وسائل الإعلام المختلفة، ومنها الصحافة بطبيعة الحال، يمكنها أن تؤدى مجموعة من المهام والوظائف كالأخبار والإعلام، والشرح والتفسير والتوجيه والتحليل والتربية والتعليم والتسلية والتسويق إلى جانب التنشئة الاجتماعية، ولا شك أن صحف الأطفال ومجلاتهم يمكنها بجدارة أن تقوم بهذه الوظائف جميعًا، ومن هنا وجدنا أن المتخصصين فى أدب الطفل وصحافته يذهبون إلى أن صحيفة الطفل يمكن أن تلعب دورًا مهمًا فى عملية تنشئة الطفل وتثقيفه وتشكيل شخصيته وتحديد معالم هويته، بمستوى لا يقل عن الدور الذى تقوم به الأسرة والتى يقع على عاتقها مسئولية تنشئة الطفل وتربيته وتوسيع دائرة اتصاله ومعارفه بالدرجة الأولى.

وإذا كانت صحف الأطفال يمكنها أن تعلب هذا الدور البارز والمهم فى حياتهم فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: كيف يمكن لأطفالنا أن يستفيدوا أو ينتفعوا من الصحف والمجلات والمطبوعات التى تصدر لهم؟

وقبل أن نقوم بالإجابة عن هذا التساؤل المهم، لا بد أولًا من أن نحدد ماهية تلك الصحف والمجلات الخاصة بالأطفال، ونطرح هنا تعريفًا لها، وبداية لا بد أن نتعرف أنه ليس هناك اتفاق بين المعنيين والباحثين فى مجال صحف الأطفال، على تعريف محدد

لها، وليس المجال هنا يسمح بذكر تلك الرؤى المختلفة ولكنى سأجتهد وسعى فى وضع تعريف لمفهوم صحافة الأطفال التى نعنيها فى هذه الدراسة، وهو: تلك الصحف (جرائد أو مجلات) التى تصدر بشكل دورى ومستمر (يومية - أسبوعية - شهرية) وتحمل مضمونًا يتناسب مع كل مرحلة عمرية للطفل وتخاطب عقليته ووجدانه، وتسعى إلى أن تقدم إليه كل ما يفيده ويجذبه ويلبى رغباته، ويسد حاجاته الفكرية والروحية والعقلية، سواء أكانت هذه الصحيفة خالصة وخاصة للأطفال فقط، أو كانت صفحة أو زاوية فى صحيفة تصدر لكبار وتقوم بتخصيص هذه المساحة التى تحمل مضمونًا وتقدم مادة صحفية تتعلق بالطفل، وذلك ضمن صفحاتها ومضامينها الأخرى.

وبطبيعة الحال، فإن هذا التعريف يجرنا إلى أن نحدد أمام القراء أنواع الصحف والمجلات التى يمكن أن تصدر للطفل وطبعة دوريتها فى عالمنا العربى المعاصر، وهذه الأنواع يمكن أن نقسمها على النحو التالى:

١- الصحيفة اليومية: وهى الصحيفة التى تصدر كل يوم وتتوجه إلى الأطفال وتعنى بمخاطبتهم وتخصص لهم.. وهذه النوعية من الصحف المتخصصة لم تصدر حتى الآن، فى منطقتنا العربية، ولكن الذى يمكن أن يسد مسدها ما تنشره الصحف اليومية للكبار من صفحات أو زوايا ثابتة، تقدم من خلالها ما يهم الأطفال مثل ما تقوم به «الأهرام» وغيرها من الصحف.

٢- الصحف الأسبوعية: وهى تلك الصحيفة التى تصدر للأطفال خصيصًا وبصفة منتظمة كل أسبوع وفى اليوم محدد منه، وهذه النوعية من الصحف هى الأصل والغالب فى مجلات الأطفال، مثل: سمير وماجد وعلاء الدين وباسم وبلبل وغيرها من المجلات.

٣- الصحيفة الشهرية: وهى تلك الصحيفة التى تصدر كل شهر بصورة منتظمة وهذا النوع قليل فى الصحف العربية مثل العربى الصغير.. والحقيقة أن المتابع للإصدارات الصحفية التى تصدر للأطفال قد يجدها متشبعة ومتعددة- ولكن ليست كافية- ومن هنا فيمكننا أن نقدم لأبنائنا مجموعة من أسماء تلك المجلات التى يمكن أن يتابعها الطفل ويحرص على اقتنائها، وتذكر على سبيل

المثال لا الحصر منها: أحمد وبراعم الإيمان وماجد وعلاء الدين وبلبل والعربى الصغير وقطر الندى وباسم، ومجلتى، والصبيان وسعد والمسلم الصغير والفردوس والرواد والأذكياء..إلخ، ولكن كيف يحصل الطفل على الصحيفة، أو بمعنى آخر ما الأماكن التى يمكن للطفل أن يجد فيها الصحيفة التى يحبها؟

لا شك أن المكان الطبيعى الذى يمكن للطفل وغيره أن يجد فيه الصحيفة ويحصل عليها هو بائع الصحف، خاصة هذا البائع الذى يُسمى بـ «مركز التوزيع» أى الذى تصل جميع المطبوعات والإصدارات إليه من كل شركات التوزيع، وبالتالى فقد لا نجد الصحيفة المطلوبة لدى البائع المتجول أو البائع محدود التوزيع.. إذن فباعة الصحف هم يمثلون المصدر الأول لنا فى الحصول على المجلة أو الصحيفة المطلوبة، وذلك بعد أن تدفع له ثمنها المحدد لها سواء قام بشرائها الطفل نفسه أو أحد غيره..

أما المصدر الثانى الذى يمكن للطفل أن يحصل منه على مجلته هو المكتبات العامة، فالأصل فى هذه المكتبات الخاصة بالطفل أن تشترك فى أغلب المجلات التى تصدر للأطفال، فإذا كان الطفل من المترددين على تلك المكتبات فلسوف يطلع عليها ويقرأها، ويستفيد منها، هو وغيره من الأطفال الذين يترددون أيضًا على تلك المكتبات..

والمصدر الثالث: الذى يمكن للطفل أن يحصل على مجلته منه ويقرأها لديه «مكتبة المدرسة» ولذا فإن من الواجب على المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية أن تقوم بشراء المجلات التى تخاطب الطفل وتقدمها له، وأن يقوم بالإشراف على هذا كله أمين المكتبة.

والمصدر الرابع: الذى يمكن للطفل أن يحصل منه أو يقف فيه على مجلات الأطفال هو دور العبادة.. المسجد، فالمفروض أن يقوم المسجد بدور تثقيفى وتربوى وترفيهى للأطفال، وذلك من خلال توفير مجلات الأطفال لهم، بشرائها أو الاشتراك فيها أو إيجاد البديل المؤقت عنها مثل صحف الحائط.

والمصدر الخامس: هو الأندية التى تشترك فيها الأطفال فبجانب اهتمام الأندية باللعب والرياضة وكل ما يقوى ويضمن الجسم ينبغى عليها أن تهتم بكل ما ينمى ويقوى ثقافة الطفل وعقله وفكره ومشاعره ووجدانه، ولا شك أن من أفيد وأفضل الوسائل فى هذا الصدد هو صحافة الأطفال ومجلاتهم..

أما المصدر السادس والأخير الذى يمكن للطفل أن يحصل من خلاله على صحيفة أو مجلة للأطفال هم الأطفال أنفسهم وذلك عن طريق الاستعارة أو تبادل المجلات فيما بينهم.

والآن تعالوا نجيب عن السؤال الذى طرحناه فى البداية وهو: كيف يمكن للطفل أن يستفيد من صحيفته أو مجلته؟

نقول: إن الاستفادة يمكن أن تكون على شكلين:

الأول-الاستفادة المباشرة: ونعنى بها أن يقوم الطفل بنفسه بقراءة الصحيفة والاطلاع عليها والاستفادة منها مباشرة، فالطفل حينئذ فى مرحلة عمرية تتيح له أن يقرأ وأن يستوعب ولا شك أن هذه الطريقة أفضل كثيرًا للطفل؛ لأن عملية القراءة فضلًا عن كونها متعة ومهارة، فهى تساعد الطفل كثيرًا على النمو العقلى والفكرى والوجدانى، وفيما يلى بعض المقترحات التى يمكن أن تساعد أو تشجع الأطفال على القراءة وهى كالتالى:

١- لا ترغم الأطفال على القراءة فالمفروض أنهم يتمتعون بها من تلقاء أنفسهم وعن طريق التشجيع والتحفيز لا الإرغام والتضييق.

٢- لا بد من توفير أكثر من مطبوعة ومجلة تكون معدة وصالحة للقراءة.

٣- كن قدوة حسنة للأطفال بأن تقرأ بانتظام أمامهم فالطفل مغرم بالتقليد:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه

وتشير إحدى المتخصصات فى مجال صحافة الأطفال إلى أن الطفل يبدأ فى تذوق اللغة وآدابها بروح جدية، عندما يستطيع هذا الطفل أن يقرأ بنفسه قصصًا تُثير خياله، وتتضمن أفكارًا جذابة عن عوالم جديدة غريبة عليه، ويتيسر له ذلك ابتداء من العاشرة، والأمر يتوقف على قدراته وتحصليه فى المدرسة، وكلما تمكن من القراءة بسرعة استمتع بتذوق اللغة، وفى سن الثانية عشرة تقريبًا ينتقل الأطفال من مرحلة الحكايات الخيالية إلى مرحلة القصص التى هى أقرب إلى الواقع، ويبدأ اهتمامهم باقتناء الكتب والمجلات والاشتراك والاستعارة من المكتبات العامة.. وتضيف.. أن الطفل فى بداية مرحلة التعليم الإعدادى، يكون قد اكتسب سهولة فى التعبير، ودقة فى

استعمال اللفظ ويكون قاموسه اللغوى قد وصل إلى مرتبة أعلى.. ولا شك أن أنسب مراحل الحياة لنمو التذوق اللغوى وهى المرحلة التى تبدأ من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة أو ما بعدها، تكون حاجة ماسة إلى نوع من الغذاء العقلى، وهذا يجده الطفل فى الأدب، قصائد شعرية، قصص نثرية.. إلخ

الثانى: الاستفادة غير المباشرة، ونعنى بها أن يقوم أحد الكبار القارئين (الأب – الأم – الأخ.. إلخ) بقراءة الصحيفة ويُسمعها للطفل وبالتالى فإن الطفل فى هذه الحالة لا يقرأ صحيفته بنفسه أو بشكل مباشر وإنما يقرأها بطريق غير مباشر، وقد يكون ذلك راجع إلى عدم قدرة الطفل على القراءة، وفى هذه الحالة ينبغى ألا يستمرئ الطفل هذه الصورة بل عليه أن يحاول مرة ومرة أن يقرأ الصحيفة بنفسه أو بمعاونة ومساعدة أحد القارئين، حتى يجيد عملية القراءة منفردًا وبذلك تكون الصحيفة قد أدت مهمة ليست قليلة لهذا الطفل، وقد يرجع عدم قدرة الطفل على قراءة الصحيفة إلى صغر سنه وعدم أو ندرة وجود صحيفة تناسبه من هذا النوع من صحف الأطفال التى تصدر لمن دون السادسة، ويحاول الآباء أن يعودوا أبناءهم على الاطلاع أو الاهتمام بمجلات وصحف الأطفال.. وهذا أمر لا بأس به إن وقف عند هذا الحد من غير أن نفرض على الطفل أفكارًا وآراء ومعلومات أكبر من عمره أو لا تتناسب مع مرحلته العمرية..

وأخيرًا، يمكننا أن نحمل مجموعة من الفوائد يمكن أن يستفيد بها الطفل من الصحف والمجلات والمطبوعات التى يقتنيها ويقرأها على النحو التالى:

١- الاستفادة من صحف الأطفال فى تنمية مهارات الأطفال القرائية والمعرفية.

٢- الاستفادة من صحف الأطفال فى إكساب الطفل العربى لغة أجنبية، كما يحدث فى مجلتى «الرواد» التى تنشر صفحتين لتعليم الإنجليزية..

٣- الترفيه عن الأطفال وإمتاعهم وتسليتهم وذلك من خلال متابعتهم وقراءتهم للمواد الصحفية الفكاهية مثل نوادر جحا وغيره كما تفعل مجلة ماجد وعلاء الدين وغيرهما..

٤- تنمية مهارات الأطفال الفنية والإبداعية من خلال لفت أنظارهم إلى الصفحات المرسومة التى تنشرها الصحيفة.. كما هو واضح فى مجلة علاء الدين وماجد وغيرهما من مجلات الأطفال العربية.

٥- تعويد الأطفال على الإيجابية وترك السلبية وذلك من خلال تشجيعهم على مراسلة صحف ومجلات الأطفال وإرسال ما يمكن نشره من آراء ومقترحات.. فالصحف جميعًا بها أبواب ثابتة لبريد القراء ومساهمتهم وخاصة مجلات الأطفال فإنها تخصص أبوابًا ثابتة يحررها الأطفال بأقلامهم، بل إن مجلتا ماجد والرواد تنشران أعمالًا صحفية يقوم بها الأطفال وتعتبر المجلة هؤلاء مراسلين لها وتبعث إليهم «كارنيه» المجلة بعد أن يرسل القارئ « الطفل» صورته ويبدى استعداده للقيام بهذا العمل.

٦- غرس قيمة النظر والبحث والسؤال العلمى وذلك من خلال تشجيع الطفل على الاشتراك فى المسابقات التى تنشرها تلك المجلات.

٧- التعرف على المؤسسات والهيئات والنوادى التى تعلن عنها هذه الصحف، ودفع الأطفال إلى الاشتراك فيها والتعرف عليها.. كما يحدث مثلا فى صحيفة الأهرام «نادى علوم الأهرام».

٨- تعويد الأطفال على حب الخير وتبادل المنافع، والتقارب النفسى والعاطفى من خلال تشجيعهم على تبادل الصحف والمجلات فيما بينهم على سبيل الإعارة.

٩- تشجيع الأطفال على حفظ الشعر الذى تنشره هذه المجلات وتدريبهم على إلقائه فإن ذلك من شأنه أن يقوى ذاكرة الطفل وشخصيته ويعينه على إجادة الخطاب وفصل الكلام.

١٠-حث الأطفال على تخليص ما يقرءونه من مقالات وقصص وحكايات بعد قراءتها حتى يتعودوا على ممارسة الكتابة وتنمية قدراتهم الكتابية والإبداعية.

الإعلام والأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة

الأطفال هبة من الله تعالى، فإذا أصيب أحدهم بمصيبة أو ابتلى ببلية، كأن يفقد عضوًا من أعضائه، أو يمرض مرضًا مقعدًا، أو يُصاب بشلل يفقده الحركة، فما على أسرته إلا أن يصبروا ويحتسبوا، ثم يقوموا بواجبهم تجاه هذا الطفل من حسن الرعاية ودقة المتابعة وجودة التوجيه، وصدق القائل:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

ومما لاشك فيه أن هذا الطفل المبتلى له حقوق ينبغى أن توفر له، كاملة غير منقوصة، وعلى أهله ومؤسسات المجتمع المدنى والحكومات التى ينتمى إليها واجبات ينبغى أن تراعى فلا تهمل، لأننا إذا أهملنا فى حق هؤلاء نكون بذلك قد قصرنا فى واجب قومى ودينى على حد سواء، فالله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه، حافظ أم ضَيع.

و المؤسسات الإعلامية، من أهم المؤسسات التى يقع على عاتقها مسئولية أكبر تجاه الأطفال أصحاب الابتلاءات والذين اتفق على تسميتهم بالأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، ويمكنها أن تؤدى أدوارًا مهمة، نحو هؤلاء الأطفال، بما تملكه من آليات تغيير وأساليب تأثير ووسائل توجيه مختلفة ومتعددة.

إن وسائل الإعلام المعاصرة يمكن أن تلعب دورًا رئيسًا تجاه هذه الفئة من البشر والتى هى أحوج ما تكون إلى من يعتنى بها، ويمد يد العون إليها لشدة حاجتهم وافتقارهم إلى من يساندهم، ومن له أن يتصدى لهذه المهمة القومية والإنسانية الكبرى غير الإعلام بما له من تأثير وإمكانات هائلة ابتداء من الكلمة المطبوعة وانتهاءً بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ومرورًا بالإذاعة والتليفزيون فضلًا عن الكاسيت والفيديو وغيرها من الوسائل والوسائط الاتصالية الأخرى.

ولكننا إذا قمنا أولًا بعملية تقييم لأداء هذه الوسائل الإعلامية وما تقوم به من واجبات وما تؤديه من وظائف فإننا نجدها تركز على فئات مجتمعية بعينها وتغفل بل وتهمش فئات أخرى، وهذا لون من ألوان الوهن الأدائى القائم على انتقاء الجمهور المستهدف على غير أساس منطقى أو دوافع مبررة مما يوقع الإعلام فى حرج وضعف وفقدان للتوازن فى أدائه وتناوله.

ومن بين الفئات المهمشة إعلاميًا فئة الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، فلا تكاد تراهم عبر وسائل الإعلام ، وإن حدث فإنهم، يظهرون بصورة سلبية ومشوهة تقزز الجمهور منهم وتدفعه إلى عدم الاكتراث بهم وليس أدل على ذلك مما تم تقديمه فى أحد الأعمال الفنية الذى عرض قصة شاب كفيف غير مستقيم الأخلاق وغير منضبط السلوك وغير ملتزم فى تصرفاته بل ويمارس الفاحشة ويقترف ما يتناقض مع ما يتظاهر به من تمسك بالدين أو كونه عل دراية بالعلم الشرعى ! ومن ثم يقع على عاتق وسائل الإعلام إبراز الواقع الذى يعيشه هؤلاء المبتلون بصورته الحقيقية من غير تزييف أو عبث أو تضليل.

وعلى الجانب الآخر فإن هؤلاء الأطفال فى سنوات عمرهم المختلفة، لهم احتياجاتهم النفسية والروحية والإعلامية والفنية والتربوية وعلى وسائل الإعلام أن تلبى هذه الاحتياجات وأن تحققها، بمعنى أن تقدم لهم أعمالًا خاصة بهم ولهم، ومترجمة بلغة الإشارة للصم والبكم وأن تهتم تلك الأعمال الفنية والدرامية المختلفة بالمؤثرات الصوتية للمكفوفين وعلى وسائل الإعلام أن تعمم خدمة الترجمة فى كل المسلسلات والأفلام والبرامج الترفيهية والأعمال الغنائية حتى تحقق هدف التواصل مع هذه الشريحة المهمة فى المجتمع.

ويؤكد خبراء الإعلام وعلم النفس على أننا إذا اعتبرنا أن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة لديهم مشكلة أو يمثلون مشكلة لغيرهم فينبغى أن تولى الدولة عنايتها بدراسة هذه المشكلة وتقديم الحلول التى تساعد أسر هؤلاء الأطفال على التعامل معهم بالطرق السليمة والأساليب الصحيحة.

ومن هنا فإن على الإعلام أن يوجه الدول إلى أن تقيم المراكز التأهيلية والتربوية والترفيهية التى تأمن فيها الأسرة على أبنائها وتُقدم فيها خدمات حقيقية لهؤلاء

الأطفال بحيث لا يقتصر الأمر على الرعاية والاهتمام فقط من المأكل والمشرب وإنما ينبغى أن تمتد مسألة الرعاية والاهتمام هذه إلى الناحية الطبية والنفسية والتعليمية، وإعداد هؤلاء الأطفال وتدريبهم كى تنمو القدرات الخاصة لديهم، بحيث يتعلمون مهارات وخبرات تمكنهم من إعالة أنفسهم، وإن اعتمدوا على غيرهم كالاعتماد على الدولة أو المجتمع فيكون ذلك فى أضيق الحدود.

ومن ثم فإن أجهزة الإعلام ينبغى أن تقدم هؤلاء الأطفال بصورتهم الحقيقة، على اعتبار أنهم جزء لا يتجزأ من كيان المجتمع وأن تقوم بدور التوعية المستمرة التى تعتمد على النظرية والتطبيق وتبدأ هذه التوعية داخل الأسرة بدءًا من الأم وتدريبها على كيفية التعامل السوى مع ابنها المعاق وألا تحرج منه وألا تفرق فى المعاملة بين السليم والآخر المعاق، بل الواجب عليها أن تحيط الطفل المعاق بمزيد من العطف والرعاية والحنان.

كذلك يقع على عاتق الإعلام مسئولية تنمية قدرات هؤلاء الأطفال ودفعهم نحو التعلم حتى لا يقعوا فى براثن الجهل والأمية، وعلى الإعلام أيضًا أن يشجع المجتمع وينبهه إلى ضرورة تقبل الأطفال المعاقين وتبنى سياسة الدمج بينهم وبين غيرهم من الأطفال الأسوياء فى النوادى والمدارس وأماكن الترفيه وغيرها.

ويرى أستاذ الصحة النفسية «أشرف محمد عبد القادر»، أنه لكى يقوم الإعلام المعاصر بمسئولياته تجاه الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، ينبغى عليه أن يعمل بالتوصيات التالية:

١ - وضع خطة إعلامية تصاحبها حملة مدروسة وواعية ومستمرة قائمة على البساطة لتعريف المجتمع بمشكلة الأطفال المعاقين وطرق الوقاية منها، وأن تكون هذه الحملة نواة لإنشاء إذاعة وقناة تلفزيونية خاصة بالأطفال المعاقين.

٢ - التأكيد على أن يكون الإعلام عن الأطفال المعاقين جزءًا من سياسة الإعلام العامة وتشجيع إصدار المجلات والدوريات والنشرات المتخصصة فى هذا السياق وإنتاج البرامج الإذاعية والتليفزيونية عن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.

٣ - عرض مواد إعلامية تثقيفية لأسر الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة لتبصيرهم بمشكلات هؤلاء الأطفال وكيفية التعامل معهم والمساعدة فى حلها.

٤ - ضرورة التزام وسائل الإعلام بتقديم صورة صحيحة وإيجابية عن الأطفال المعاقين وإقناعهم بأنهم أعضاء نافعين، ينتظر المجتمع عطاءهم، حتى يستعيد المعاق ثقته بنفسه.

وقد أوصت ورقة علمية بعنوان: «صحافة المعاقين بدول الخليج العربى» دراسة تحليلية «لمحمد عبد الرحمن السيد» عرضها ضمن أعمال الملتقى الخليجى السابع الذى عقد بالمنامة تحت عنوان : «الإعلام والإعاقة ، علاقة تفاعلية ومسئولية متبادلة» عرضتها مجلة الإرادة فى عددها الثالث ويمكن تلخيص تلك التوصيات لأهميتها فى النقاط التالية: -

١ - تخصيص مواقع على شبكة الإنترنت للمعاقين عامة ولأسرهم خاصة بهدف التواصل والانتشار الكامل وضرورة الإيعاز للمؤسسات العامة بضرورة الاهتمام بالمجال الإعلامى فى هذه الصدد.

٢ - ضرورة استحداث برامج تعليمية إعلامية تربوية متخصصة تخدم كل المراحل التعليمية بهدف نشر مفهوم الإعاقة لدى الطلاب والطالبات.

٣ - تحديد الأهداف الإعلامية المطلوبة بدقة وتقسيمها مرحليًّا وزمنيًّا بحيث يشعر الناس بأن هناك مشكلة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحياتهم وحياة أبنائهم وسلامتهم وسلامة المجتمع وأمنه .

٤ - اختيار أفضل وسائل وأشكال الاتصال والإعلام الملائمة لكل فئة من فئات الجمهور المستهدف وإعداد المضامين التى ستقدم من خلال وسائل الإعلام المختلفة .

٥ - القيام بدراسات تحليلية مستمرة لكل ما تقدمه وسائل الإعلام ومتعلقة بقضايا الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.

وتأسيسًا على ذلك: فإن وسائل الإعلام المختلفة والمتعددة فى أمتنا العربية والإسلامية يمكنها أن تتحمل هذه المسئوليات الكبيرة لخدمة المعاقين من الأطفال، وحينئذ سيكون الإعلام قد أدى خدمة جليلة لأبناء الأمة واضطلع بمسئولياته الجسام وصار أداة بناء وإصلاح، لا أداة هدم وإفساد، وهذه الأدوار الإيجابية التى يقوم بها الإعلام العربى والإسلامى، هى ما تأمله وتنتظره الأمة من المحيط إلى الخليج، من إعلامها الوطنى.

الإعلام وترسيخ ثقافة البر بالوالدين

لا يختلف اثنان على أن الإعلام فى مجتمعاتنا المعاصرة لـه تـأثير طـاغ عـلى الأفـراد والجماعات وكذلك الهيئات والحكومات، سواء أكان هذا التأثير بالسلب أم بالإيجاب، ومعلوم أن تأثير الإعلام يأتى نتيجة طبيعية للأهداف التـى وضـعت لـه، فـإن كانـت الأهداف المرصودة للإعلام بنائية وتنموية أسـهم الإعـلام فى عمليـة البنـاء والتنميـة إسهامًا فاعلًا، وأما إذا كانت الأهداف التى وضعت للإعـلام هدميـة وتخريبيـة، فإنـه كذلك يؤثر تأثيرًا كبيرًا من هذا النوع الهدمى والتخريبى، فى المجتمع التى توظـف فيـه وسائل الإعلام على هذا النحو!

ويبقى الإعلام بوسائله المختلفة سلاح ذو حدين، حد يبنى وآخر يهدم وحد يصلح وآخر يفسد، وحـد يعلـم وآخـر يُخـرب، وهلـما جـر، وإذا كـان الإعـلام فى مفهومـه الصحيح هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الـسليمة والحقـائق الثابتـة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المـشكلات بحيث يعبر هذا تعبيرًا موضوعيًّا عن عقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم، وعليه فإنه لا يمكن إطلاق إعلام على ما ينشر أو يـذاع أو يعـرض مـن أخبـار وبـرامج وتعليقـات وتحليلات ورموز إلا إذا تحقق ركن إحاطة الجماهير علما بما يجرى، فغاية الإعـلام هـى المعرفة المجردة المؤدية إلى اليقظة والنمو والتكيف الحضارى.

ويرى «ولبور شرام» أن الإعلام الذى يتزايد تداوله هو الذى يقوم بإحداث التغيير فى المجتمع، وهو الذى يهيئ المناخ لوحدة الأمة فيجعل كل إقليم ملما بـشئون الأقـاليم الأخرى أناسه وفنونه، وعاداته وسياساته ويجعل القادة الوطنيين يحدثون الشعب، كـما يجعل الشعب يحدث قادته، كما يحدث نفسه، ويجعل الحوار فيما يتعلـق بـسياسة الدولـة ميسورًا على نطاق الوطن كله، ويجعـل الأهـداف والمنجـزات الوطنيـة ماثلـة دائـمًا فى أذهان العامة.

ويستطيع الإعلام العصرى إذن أن يساعد على توثيق عرى البلاد بجماعاتها المتباعدة وثقافاتها الفرعية المتباينة، وأفرادها وجماعاتها المنطوية على نفسها، كما تستطيع وسائل الإعلام أن تقدم مساهمة كبيرة فى التنمية الوطنية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك إذا أحسن استخدامها وتم توظيفها بشكل صحيح.

ومن ثم فإن الإعلام بوسائله المختلفة، يمكن أن يؤدى أدوارًا مختلفة ومؤثرة فى كافة مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء لما له من تأثير وجاذبية وبما يشتمل عليه من مضامين ومحتويات تخلب العقول وتأسر القلوب وبما يصاحبه من مؤشرات صوتية، وصور وألوان تجذب الألباب وحركات تسحر النفوس، وإلى غير ذلك من عوامل الجذب والإثارة التى تمتلكها وسائل الإعلام على مستوى الشكل أو المضمون.

ولهذا كله فإن أية خطة تنموية فى أى مجتمع من المجتمعات لا يعتمد فى تفعيلها ونشرها والدعوة إليها على وسائل الإعلام لا يمكن بحال من الأحوال أن يكتب لها بلوغ الأهداف التى وضعت لها بشكل تام وليس ذلك لسبب إلا لأن الإعلام أصبح يعول عليه كثيرًا فى جميع خطط التنمية فى كافة بلاد العالم المتقدم بل وفى بلاد العالم أجمع وعلى حد سواء.

وإذا كان الإعلام فى واقعنا المعاصر له كل هذا التأثير فكيف نوظفه فى إصلاح مساراتنا ؟ وكيف نفعله فى تغيير واقعنا ؟ وكيف نستفيد منه فى تحسين وتطوير أوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟ وكيف نعتمد عليه فى تنشيط وتنفيذ برامجنا وخططنا المختلفة.

إن الأمة اليوم تقف على مفترق طرق وإن لم تحسن استخدام وتوظيف كافة إمكاناتها فلسوف تظل ترصف فى قيود التأخر والانحطاط، وإن الصحوة المباركة التى تشهدها الأمة اليوم على جميع الأصعدة والمستويات لتستأهل من كل الغيورين أن يجتهدوا فى ترشيدها وتوجيهها نحو الكمال والنضوج حتى تعود لها مكانتها اللائقة بها كخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم الصلاة وتحقق معنى العبودية الحقة لرب العالمين.

ولا شك أن من أبلغ مظاهر الصحوة فى بلاد العرب والمسلمين اليوم المناداة

الصادقة بالعودة إلى أحكام القرآن الكريم أخلاقًا وآدابًا وسلوكًا ومعاملات وقيمًا وتشريعات، وأن من أرفع القيم وأعلاها فى القرآن الكريم بعد إقامة العبودية الحقة لله تعالى فى دنيا الناس هى البر بالوالدين والإحسان إليهما مصداقًا لقول الحق جل وعلا فى محكم التنزيل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام هو: ما الدور الذى يمكن للإعلام أن يؤديه فى مجتمعاتنا لترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما كما وصى رب العالمين بذلك فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال الجوهرى والمحورى والمهم فى هذه الورقة نقول:

لا بد للإعلام كى ينجح فى أداء هذه المهمة العظيمة من تخطيط علمى إعلامى سليم يرصد الأهداف المنشودة أولًا، وثانيًا يضع الوسائل المناسبة لتحقيق تلك الأهداف، فى الفترة والزمن الملائم لتنفيذ وتفعيل هذه الخطة.

وأقول هنا لا بد من خطة لإنجاح هذا العمل؛ لأن أساس النجاح فى الأعمال كلها هو التخطيط السليم، المبنى والقائم على أساس من المعلومات الصحيحة المتوفرة لدى المخططين، ويضع علماء التخطيط مراحل لتنفيذ الخطط ويقسمونها إلى خطط قريبة المدى وخطط متوسطة المدى وخطط بعيدة المدى، فإذا ما وضعنا الخطط القائمة على رصد الأهداف وتحديد الوسائل والآليات لتفعيلها وأعطينا هذه الخطط الوقت الكافى والمناسب لتنفيذها، وأحسنا اختيار العاملين على تنفيذ هذه الخطط بحيث يكونون من أهل الاختصاص والحرفة فى الفن والحرفة التى يؤدونها، بالإضافة إلى ذلك لا بد أن يتوفر شرط آخر إلى جانب شرط الحرفية فى العاملين على تنفيذ هذه الخطط وهو أن يكونوا من المؤمنين بأهداف الخطة والمحافظين عليها والعاملين بها، حتى يتوفر فيهم المصداقية التى هى شرط أساسى من نجاح أى عمل وأى مخطط.

ولهذا إذا أردنا أن ينجح إعلامنا فى نشر ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما وترسيخ هذه الثقافة بين أبناء المجتمع جميعًا فلا بد من خطة وإستراتيجية يتبناها الإعلام القومى بكل وسائله التقليدية والإلكترونية القديمة منها والحديثة على حد سواء.

إننا إن فعلنا ذلك وفعلناه بالشكل الصحيح ولم نستعجل جنى الثمار قبل نضجها، فلسوف نحقق فى هذا المجال نتائج مذهلة، تجعل العالم بأسره ينظر إلى تجربتنا فى ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما بإعجاب واحترام، بل واقتداء.

إننا لدينا إمكانات هائلة يمكن توظيفها وتفعيلها فى هذا الصدد، ولا شك أن الأعمال الدرامية التى تقدمها السينما ويعرضها التلفاز، من أفلام ومسلسلات إذا كتبت بشكل هادف يسعى إلى ترسيخ هذه القيمة وبروز مكانتها وقيمتها من خلال الأعمال الفنية التى تقدم سوف يكون له أكبر الأثر لدى المشاهدين والمتابعين؛ لأنه قد ثبت علميًّا مدى تأثير الأعمال الدرامية فى سلوك الجماهير وتصرفاتهم، وخاصة إذا كتبت بشكل متقن وقدمت بشكل فيه مصداقية فى الأداء من غير افتعال أو أداء روتينى.

وليس من الضرورى بطبيعة الحال أن يقدم عملًا كاملًا لكى يكرس قيمة البر بالوالدين والإحسان إليهما، ولكن يكفى أن يكون العمل يشتمل فى جوانبه المختلفة على ما يرسخ هذه القيمة لا ما يعارضها وينهض بها لا يهضمها.

ومن ثم يمكن لكتاب الأعمال الدرامية التركيز على الحالات الإيجابية وإبرازها من أجل حث الناس على تمثلها والاقتداء بها، مع إظهار سلبيات عدم البر وعواقبها الوخيمة، من أجل التنفير منها، والابتعاد عنها، ولا يقف دور الإعلام المرئى فى هذا الصدد عند حد الأعمال الدرامية ولكن يستطيع التليفزيون أيضًا أن يُقدم العديد من البرامج والمنوعات التى تصب بشكل مباشر أو غير مباشر فى خدمة هذه القضية مثل البرامج الحوارية التى تشتمل على تقديم النماذج المثالية فى هذا الإطار والبرامج الدينية التى يتحدث فيها العلماء والدعاة لبيان الحكم الشرعى فى هذه المسألة والترغيب فى حسن القيام بها والترهيب من مغبة الإساءة إلى الوالدين فى الدنيا والآخرة، وكذا المسابقات، وغيرها من الأشكال والقوالب الفنية التى يمكن أن تسهم فى هذا الصدد.

وكذا يمكن للإذاعة أيضًا أن تقوم بالدور نفسه الذى يقوم به جهاز التليفزيون وأكثر؛ وذلك لأن للراديو جمهوره الخاص به ومناطق نفوذه وتأثيره وله كذلك سماته وخصائصه التى ينفرد بها عن غيره من وسائل الإعلام الأخرى، ولا يقل دور الإعلام المقروء عن الإعلام المسموع أو المرئى بل إن الصحافة سواء أكانت ورقية أم إلكترونية

لها جمهورها ومتابعوها والمهتمون بها وخاصة من طبقة المتعلمين والمثقفين وتستطيع الصحافة الاستقصائية أن تنزل الميدان وتنقل مشاهد من الواقع الحسى الملموس من صور البر بالوالدين والإحسان إليهما والدالة على مدى حبهما وتقديرهما بل ورغبة العيش فى كنفهما والتبرك بالقرب منهما وطلب دعائهما.

إن للإعلام دورًا كبيرًا فى هذا الميدان ولا يمكن لجهودنا مهما بلغت أن تحقق المأمول لها ما لم ننجح فى توظيف وسائل الإعلام المختلفة، أفضل توظيف لخدمة هذه القضية، فسلاح الإعلام سلاح لا يمكن أن يغفل أو يستهان به فى التغيير والتأثير. ..

إن الإعلام بما يمتلكه من أساليب مؤثرة وفنون خلابة وجذابة يستطيع أن يحقق فى مجال ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما ما لم تستطع أن تحققه كتائب عديدة من الدعاة والعلماء، وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن جهود هؤلاء العلماء والدعاة لا يمكن أن تصل إلى أعداد غفيرة من جماهير الأمة إلا من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة.

ومن هنا، فلكى ينجح الإعلام فى رسالته تلك، فعليه أن يفعل كافة الأساليب والفنون الإعلامية بدءًا من الخبر وانتهاءً بمقالات الرأى والأعمدة الصحفية ومرورًا بالحوارات والتحقيقات والتقارير والصور الإخبارية التى يمكنها أن تلعب دورًا اجتماعيًّا مهمًّا إلى جانب الخبر الصحفى الذى يقع على عاتقه مسئولية اجتماعية بالإضافة إلى الجانب الإخبارى والمعلوماتى الذى يقدمه للجمهور وإذا كان لنا أن نركز فى الختام على بعض الوصايا التى يفضل الالتفات إليها والعمل بها فى هذا الصدد فإنها تتمثل فى النقاط التالية:

١- عدم الاقتصار فى أساليب تناول القضية على أشكال الاتصال التقليدية كالخطبة والحديث المباشر والاتصال الشخصى مع أهمية تلك الأشكال بل ينبغى أن يتعدى اهتمامنا ذلك إلى تفعيل كافة وسائل الاتصال الجماهيرى.

٢- لا بد أن ننبه هنا إلى دور التربية الأسرية والمدرسية والمسجدية فى ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما فيتعود الطفل منذ نعومة أظفاره على حب الوالدين والود لهما، فمن شب على شىء شاب عليه.

٣- حث الآباء على الإحسان إلى الوالدين حال حياتهما وذلك أمام أبنائهم حتى يروا البر بالوالدين واقعًا مُعاشًا لا حديثًا مسموعًا غير ملموس أو معايش.

٤- حث الآباء على حسن تربية أبنائهم والإحسان إليهم وعدم عقوقهم صغارًا حتى لا يقعوا فى الخطأ نفسه كبارًا وأذكر هنا كلمة سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه للرجل الذى جاءه يشكو عقوق ولده له، فلما تبين للخليفة عمر أن الرجل سبق وأن أساء إلى ولده فقال له: «لقد عققت ولدك قبل أن يعقك» وهى كلمة وحكمة عبقرية عمرية فللنتبه إليها.

٥- ينبغى أن ننتبه إلى أننا لا بد وأن نبنى من حيث سلبنا، بمعنى أننا ينبغى علينا أن نتعرف على مواقع الخلل ومن أين جاء السلب والتراجع القيمى فى حياتنا ونبدأ البناء والتأسيس من المجال الذى سلبنا منه، قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٦- يجب أثناء حملتنا لترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما أن نرفع شعار، اعمل ما شئت فكما تدين تدان ، ونحسن توظيف هذا الشعار حتى يكون له أفضل الأثر فى واقعنا الحياتى والمعيشى.

٧- لا بد من التركيز على أن الإحسان بالوالدين والبر بهما فضلًا عن كونه فريضة شرعية أمرنا الله بها فهو واجب إنسانى وقومى.

وأخيرًا وليس آخرًا ينبغى ونحن نتناول قضية البر بالوالدين إعلاميًّا أن نربطها برباط الإيمان؛ لأن الأخلاق والقيم إذا كانت مرتبطة برباط إيمانى وعقدى آتت أكلها كل حين بإذن ربها، ولأمر ما نرى أن الله سبحانه وتعالى دائمًا ما يُقدِّم التذكير بالإيمان قبل أن يأمر بأمر أو ينهى عن أو يرشد إلى خلق كقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾.

وأيضًا ينبغى أن نفعل كافة المؤسسات والهيئات فى المجتمع المدنى كى تؤدى دورها فى مجال ترسيخ ثقافة البر بالوالدين والإحسان إليهما ، فلو أن كل فرد وكل جهة حكومية أو أهلية أدوا دورهم فى هذا الصدد، لحققنا نجاحات ملموسة وأدينا رسالتنا خير ما يكون الأداء.

هوامش ومراجع الفصل الرابع

١) نورة بنت عبد الله بن عدوان، صورة المرأة المسلمة فى الإعلام الغربى، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٣م.
http://www.lahaonline.com/index

٢) جابر عصفور، صورة المرأة العربية فى وسائل الإعلام العربية، ٢١/ ٦/ ٢٠٠٧م.
http://wwwl.islammemo.cc/articlel.aspx?

٣) آمنة نصير، تصريحات وزير الثقافة حول الحجاب تفجر أزمة فى مصر، أخبار الخليج، ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦م.
http://www.akhbar-alkhaleej.com/home.asp

٤) يحيى هاشم حسن فرغل، حجاب وزير الثقافة وخطر التفسير التطويرى للشريعة الإسلامية، الشعب، ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦م. http://www.alayam.com

٥) حسن صبرا، أيها المسلمون: لو أراد الله فرض غطاء الرأس لفعل، روزا اليوسف.
http://rosaelyosef.blogspot.com/

٦) يحيى هاشم حسن فرغل، البابا والوزير والحجاب، دماء حول الذاتية الإسلامية، الشعب، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦م.

٧) زنيفى باريل، الحرب على الحجاب والأزمة السياسية فى تونس، أخبار الخليج، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

٨) إسحاق الشيخ، تونس الخضراء وظلام الحجاب، الأيام، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

٩) ناصر يحيى، انتصار الحجاب فى مواجهة الجنون العلمانى، الصحوة، ٦/ ١٢/ ٢٠٠٦م.
http://www.alsahwa-yemen.net

١٠) محمد حسين فضل الله، مسألة الحجاب الإسلامى بين الشرع والقانون، الحياة، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

١١) مسعود صبرى، بيان المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث، ارتداء الحجاب أمر تعبدي وواجب شرعى، الأمان، ٨/ ٢/ ٢٠٠٧م.
http://www.al-aman.com/subpage.asp?cid=4004

الإعلام والقضايا الخارجية

الإعلام والمسلمون فى أمريكا

بدأ الإسلام غريبًا وانتصر على المعادين له، وسيعود غريبًا وسينتصر على كل من يحاربونه، ويضعون العراقيل فى طريق انتشاره، هذه قضية مبدئية، المسلم يؤمن بها باعتبارها جزء من فهمه الصحيح لطبيعة الإسلام وتصوره للأشياء والأحياء على حد سواء.

ولقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى حديث فحواه أن هذا الدين سينشر فى بقاع الأرض المختلفة فلا يدع مكانًا إلا ودخله بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يُعز الله الإسلام وأهله وذلًّا يذل الله به الكفر وحزبه.

واليوم نرى بشرى رسولنا الكريم تتحقق فى دنيا الناس فنرى الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، فى مشارق الأرض ومغاربها، حتى الأمريكان الذين يقودون حملة العداء ضد الإسلام والمسلمين، وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر دفعت الأمريكان دفعًا نحو اتخاذ موقف سلبى من الدعاة إلى الإسلام فى أمريكا نفسها أو من الدعاة الوافدين إليها من بلاد العرب و المسلمين .

الأمريكان اليوم الذين يقبلون على التعرف على الإسلام ويشترون بشكل واضح النسخ المترجمة للقرآن الكريم، وهذا ما تتناقله وسائل الإعلام من هنا وهناك، ولقد حدثنى أحد العلماء الثقات أنه فى آخر زيارة له بأمريكا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر أنه كان يفد إلى المركز الإسلامى بالولاية كان فيها عشرات من الأمريكان يطلبون الدخول فى الإسلام وإشهار إسلامهم، كل ذلك يحدث من غير أن تكون هناك جهود ملموسة للدعاة، ولكن الإسلام ينتشر ذاتيًا ويقبل الناس عليه من تلقاء أنفسهم رغبة فى الخير ورهبة من مقت الله وغضبه.

ولذلك نرى أن المسلمين فى أمريكا كل يوم فى ازدياد ملحوظ، وأن الجالية المسلمة

هناك تعتبر من أكبر الجاليات، ولكن هذه الأعداد الغفيرة من المسلمين لا تعنى أنهم بلا مشكلات أو أنهم لا تواجههم صعوبات أو تحديات، والواقع والحقيقة أن المسلمين فى أمريكا رغم ازدياد عددهم وانتشارهم فى جميع الولايات الأمريكية، تواجههم بعض الصعوبات يمكن أن تنغص عليهم عيشهم أو تهدد وجودهم ومستقبلهم، ولقد زار أخى وصديقى الدكتور «عبد الجواد قنصوه» مملكة البحرين مؤخرًا والتقيته فحدثنى عن بعض المصاعب التى تواجه المسلمين فى أمريكا و يمكن رصدها فى النقاط التالية:

١- الحملة الضارية من الإعلام الأمريكى ورجال الكنيسة والمعابد على الإسلام والمسلمين؛ لأسباب كثيرة من أبرزها اليوم شدة إقبال الناس على الإسلام والدخول فيه وهؤلاء المعادون للإسلام خرجوا إلى الشوارع والأسواق يهاجمون الإسلام وأهله غير مكتفين بما يفعلونه فى كنائسهم وبيعهم، وهؤلاء المهاجمون على الإسلام لا يجدون من يرد عليهم إلا واحدًا من اثنين:

الأول: من يجيد الإنجليزية وليس لديه إلمام كافٍ بالشريعة الإسلامية وأساليب الحوار والجدل والمناظرة فيخرج من ساحة الحوار منهزمًا أمام الناس.

الثانى: من لديه إلمام بالشريعة الإسلامية ولكن لا يجيد لغة القوم ومن ثم لا يستطيع أن يوصل ما عنده أو يقنع الناس فيخرج منهزمًا أيضًا وتكون المحصلة اتهام القرآن والرسول والإسلام وأهله.

٢- عدم قدرة العلماء والدعاة والمربين القادمين من الشرق فى الحصول على تأشيرات دخول للولايات المتحدة فى الآونة الأخيرة.

٣- مطالبة إدارة الهجرة العلماء الذين ليس معهم إقامة أن يغادروا البلاد وهم أعداد كبيرة وفعلًا حدث وتركوا البلاد.

٤- رجوع طائفة كبيرة من الدعاة إلى الشرق مرة أخرى بعد أن جلسوا فترة وعندما بدؤوا يتفهمون المجتمع وقضاياه ومشكلاته وبدؤوا العطاء، تركوا مواقعهم ليتمكنوا من تربية أولادهم فى الشرق.

٥- العجز الحاد فى مدرسى اللغة العربية والتربية الإسلامية فى المدارس الإسلامية.

٦- العجز الحاد فى الأئمة والمربين والمرشدين الدينيين فى المساجد والمراكز الإسلامية لدرجة أن الجالية فى كثير من الأماكن والمساجد لا تجد من يصلى بهم أو يخطب لهم الجمعة.

٧- قطاع الشباب فى الجالية يزيد عن ٦٠٪ ولا يجد من يوجههم ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، وتلك هى أهم المشكلات مما يؤدى إلى:

- اقتناع الشباب بالذى يعرض عليهم ليل نهار من المبشرين والقنوات التبشيرية والوالدة النصرانية أو اليهودية أو البوذية تزوجها والده لسبب من الأسباب.
- ممارسة فريق منهم للرذيلة وأخلاق الأمريكان (ما يتعارض معنا) دون حياء أو خوف من الله.
- زواج الجنسيين ممن لا يجوز لهم الزواج منهم كالولد من بوذية والبنت من مسيحى أو يهودى.
- غيرنا يدخل الإسلام وأبناؤنا يخرجون منه.

٨- ضياع معالم الحلال والحرام وسط الجالية نظرًا لندرة العلماء والمرشدين.

٩- انتشار الأفكار المنادية بعصرنة الإسلام والتطاول على الثوابت الفقهية والعقدية بحجة تمحيص وغربلة التراث، وفى الجهة الأخرى الرواج للأفكار المتنطعة.

١٠- المدارس الحكومية تُعلِّم الإلحاد والفسوق والعصيان والتمرد على القيم وعدم احترام الآباء وأن الطالب حر فى بلد الحريات من حقه أن يفعل ما يشاء.

١١- المشكلات الاجتماعية والأسرية والخلافات التجارية بين المسلمين، لا حصر لها ولا تجد من يسهر عليها ويعالجها بروح الإسلام وصولًا بالأسر والشركاء إلى بر الأمان وإلى ما يرضى الله ورسوله، وهذه وحدها تستغرق وقت وجهد جيش من الدعاة ولا يوجد.

وإذا كانت هذه التحديات تواجه المسلمين فى أمريكا اليوم، فإن هناك العديد من المبشرات التى تثلج قلب المسلم فى كل مكان ولقد قال صلى الله عليه وسلم: «سيبلغ

هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وليدخلن الله هذا الدين كل بيت مضر أو وبر» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وإن من عظيم قدرة الله تعالى ولله الحمد والمنة - والكلام للدكتور «عبد الجواد قنصوة» - ما نراه فى أمريكا، وعلى الجالية المسلمة هناك والمتمثل فيما يلى :

١- يدخل الإسلام فى أمريكا كل يوم العشرات بل المئات ومن كل الأجناس وحتى الذين حاربوا منهم فى العراق والخليج والحمد لله نأخذ أفضل ما عندهم ويأخذون أسوأ ما عندنا إن وجدوه.

٢- يقرأ اليوم عن الإسلام كل الأمريكان ويسألون عنه وبذلك يفتح أبواب القبول للدخول فيه وتفهم قضاياه.

٣- إقبال الناس على معرفة الإسلام حتى لا تكاد تجد مصحفًا فى مكتبة من المكتبات فالكل مباع.

٤- اللغة العربية أصبحت إلزامًا يدرسها الطلاب فى الجامعات الكبرى كلغة سامية والمعاهد تدرسها حتى أصبحت فى كل مكان.

٥- عدد الطلاب والأساتذة الذين يكتبون أبحاث عن الإسلام أصبح ظاهرة فى الجامعات ومراكز البحث، ويُسلم من هؤلاء أعداد لا بأس بها.

٦- كثرة الوفود الطلابية والأساتذة ورواد الكنائس والمعابد الزائرة للمركز لدرجة أصبحنا لا نستطيع أن نحصيهم أو نجد لهم أوقاتًا للقاء.

٧- البرامج تتحدث عن الإسلام سلبًا وإيجابًا أصبحت ظاهرة فى الإعلام الأمريكى.

٨- أصبح للجالية الإسلامية نائبًا فى البرلمان وأقسم على القرآن بدلًا من الإنجيل عند القسم الدستورى وأمام الجميع.

٩- أصبح كثير من النواب يتفهم الأوضاع ويعترض على ما يحدث من الحكومة الحالية وذلك بفضل الله سبحانه ثم بفضل المجهودات يبذلها قادة الجالية فى توصيل وجهة النظر الأخرى.

١٠-أصبحت الحكومة ومراكز صنع القرار فى اتجاهين متضادين فى كيفية التعامل مع قضايا المسلمين الكبرى خارج أمريكا وهذه البداية.

١١-المراكز والمدارس الإسلامية فى كل مكان حتى المطارات، المحلات الكبرى والمستشفيات أصبحت تجد فيها أماكن مخصصة للصلاة فيها.

١٢-الأعياد والمناسبات الإسلامية يأخذ المسلمون فيها إجازات من أعمالهم دون حرج.

١٣-إصدار هيئة البريد الفيدرالى طوابع بريد تحمل الطراز والزخارف الإسلامية ومكتوب عليها باللغة العربية (عيد مبارك) وتوزع على مستوى الدولة وفى كل المكاتب.

١٤-اعتماد اللغة العربية كلغة ثانية يدرسها الطلاب بالمدارس فى الولايات بها جالية مسلمة كبيرة كنيويورك، وكاليفورنيا، وشيكاغو، والينوى، وميسوتا وغيرها من الولايات.

هذه بعض ملامح الواقع الذى يعيشه المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية بآلامه وآماله، ولكن من الأشياء التى تدعو إلى التفاؤل والأمل، سعى الجالية المسلمة هناك إلى تحصين المسلم والمحافظة على هويته والقيام بإنشاء العديد من المؤسسات الدعوية والتعليمية التى تحقق لهم ذلك، ومن بين هذه المشروعات التعليمية التى يقوم بها المسلمون فى إحدى الولايات - كما حدثنى المشرف على المشروع الدكتور «عبد الجواد قنصوة» - مؤسسة علمية شرعية متخصصة لتخريج جيل من الدعاة والعلماء ومدرسى اللغة العربية من أبناء الجالية والذين يتحدثون لغة القوم وعرفوا حضارتهم وأن يكون دراسة هؤلاء على أيدى علماء أكفاء داخل أمريكا، الأمر الذى دعا إلى إشهار وتسجيل مؤسسة المركز الإسلامى للتعليم فى ولاية نورث كارولينا بمدينة شار لولت لاستكمال المشروع الذى يحتاج إلى تكلفة إجمالية ١٢ مليون دولار أمريكى، فهل يقوم أغنياء المسلمين وأصحاب الأموال منهم بدعم هذه المشروعات الدعوية ؟

وهل يقوم الإعلام العربى والإسلامى بما يجب عليه تجاه هؤلاء المسلمين الذين يتحملون الكثير فى بلاد الغرب والغربة لكى يبقى الإسلام موجودًا على الساحة ويبقى المسلمون متمسكون بدينهم ولا يقعون فريسة للإعلام الغربى ؟.

تداعيات أحداث ١١ سبتمبر على الدعوة

تمر علينا كل عام ذكرى جديدة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر والتى وقعت فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١م وذلك بتدمير برجى التجارة العالمية بنيويورك وضرب مبنى البنتاجون (وزارة الدفاع) بواشنطن، ولا شك أن هذه العملية من أخطر العمليات والضربات التى وجهت إلى الولايات المتحدة فى عقر دارها، ولها من المعانى والدلالات ما لها !

ونحن هنا لن نسعى إلى الإجابة عن السؤال التقليدى الذى طُرِحَ ولا يزال فى هذا الصدد، وهو من المسئول عن هذا العمل الإجرامى، الذى أوقع الولايات المتحدة الأمريكية ومعها دول العالم أجمع فى جو من الاضطراب والاختناق والشك والاحتقان، لدرجة أن تحول شكل العالم بعد وقوع هذه الأحداث الجسَام، وصار هذا الحدث علامة بارزة فى تاريخ العالم كله، وأثر تأثيرًا بالغًا، ليس على أمريكا فحسب، ولكن قد بلغ تأثيره مداه حتى أثر بشكل ما على مجريات الأحداث فى بلدان العالم أجمع؟.

ولكن الذى نسعى إليه فى هذه الأسطر المتواضعة، أن نستكشف بشكل ما ونستوضح التداعيات والآثار التى أحدثتها هذه الأحداث على الدعوة الإسلامية، فى الداخل والخارج، ولا شك أن هذه الأحداث قد وقعت فى وقت عصيب كانت تمر به الدعوة الإسلامية خارجيًّا وداخليًّا، ونقصد بالداخل، أى حال الدعوة فى البلاد العربية والإسلامية، ونقصد بالخارج، أى حال الدعوة فى البلاد غير الإسلامية والعربية، أى المجتمعات الأوربية والأمريكية، ففى الداخل كانت الدعوة الإسلامية تعيش ظرفًا صعبًا من المضايقات الأمنية والحصار الغليظ الذى يُفرض على حركة الدعاة إلى الإسلام سواء أخذ صورة المنع والإبعاد أو صورة التضييق والمحاصرة،

ولكن رغم ذلك كله كانت الدعوة تسير سيرًا ملحوظًا فى أوساط لم تكن تعهدها من قبل، ومن الملاحظ أيضًا فى مسار الدعوة على المستوى الرسمى قبل أحداث سبتمبر أن البُعد الدولى لها والعالمى لم يكن يأخذ حظه من الذكر أو التعريف به، وكان حال الدعاة الرسميين من خلال أحاديثهم وخطبهم يميل إلى محلية الخطاب والتقوقع حول قضايا ومسائل نقلت بحثًا وخطبًا.

ولكن الملاحظ والمراقب والمتابع الجيد لسير الدعوة الإسلامية فى الداخل وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى عام ٢٠٠١ يستطيع أن يسجل ما يلى:

أولًا: زيادة درجة الملاحقات الأمنية، الأمر الذى صاحبه حالات من المداهمات.. والاعتقالات وتلفيق الاتهامات وتقديم العديد من أصحاب الفكر والدعوة إلى المحاكمات، وصدور أحكام على البعض منهم تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات.

ثانيًا: تصاعُد صور الاعتداءات الإسرائيلية على أبناء الشعب الفلسطينى الأعزل، وتعددت هذه الصور ما بين قتل وتدمير واعتقال وتهجير وتجريف وتخريب، كل ذلك حدث أمام عين العالم أجمع، ولكن لا مجير ومغيث، بل إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح وسط هذا الغبار الكثيف وفى ظل هذه الاعتداءات الإجرامية الوحشية للجنود الصهاينة، بأن وصف مجرم الحرب شارون بأنه «رجل سلام»، ولقد كتب الدكتور «عصام العريان» فى جريدة آفاق عربية العدد (٥٧٤) بعنوان «الحصاد المُر.. سنة على أحداث سبتمبر» يقول: تزامن صعود انتفاضة الأقصى المباركة وبداية أزمة الكيان الصهيونى الكبرى مع وقوع أحداث سبتمبر، وبدأ الربط الخبيث بين ما وقع وبين الانتفاضة، والإيحاء لدى المواطن الأمريكى العادى بأن اليهود هم ضحية العرب والمسلمين كما كان هو ضحية العرب الذين قاموا بالهجوم الغادر الإرهابى فى سبتمبر، وأن المسلم هو إرهابى بطبعه، ونجح «شارون» فى الحصول على تأييد كامل من الرئيس الأمريكى «بوش.. الابن» فليراجع هذا المقال من يريد أن يقف على أخطر ما مُنيت به القضية الفلسطينية من خسائر بسبب تداعيات سبتمبر.

ثالثًا: استشعار الكثير من المسلمين لحقيقة وطبيعة الصراع بين الشرق والغرب وبين الإسلام والصهيونية والمسيحية العالمية التى يؤمن بها قادة أمريكا، وازدياد حالة الكراهية لدى العرب والمسلمين لكل من الصهاينة وإدارة الأمريكان، الأمر الذى

جعل هذا السؤال يفرض نفسه على الساسة والخبراء والصحافة والإعلام.. لماذا يكره العرب والمسلمون أمريكا ؟!

رابعًا: تغيير لغة لخطاب الرسمى، السياسى والدينى الموجه إلى العالم الخارجى بعد أحداث سبتمبر، فقد ظهر كبار المسئولين فى العالم العربى والإسلامى يدافعون عن الإسلام المتهم بالإرهاب وينافحون عن التاريخ والحضارة والأمة الإسلامية المتهمة بالتخلف والهمجية وفتحت وسائل الإعلام أبوابها وصفحاتها لكبار العلماء والأدباء والمثقفين والمفكرين والمسئولين والمهتمين لشرح حقيقة الإسلام وبيان عظمته وسماحته وقبوله للآخر وبيان الدور التاريخى والحضارى الناصع للأمة الإسلامية التى قدمت للإنسانية عطاءً زاخرًا فى العلم والثقافة والفنون والأدب، لولاه لتأخر درب الإنسانية قرون طويلة.. وشارك فى هذه الحملة الخطباء فى المساجد، فتناولوا قضايا وموضوعات تتسم بالعالمية لا المحلية والإقليمية، هذا بالإضافة إلى شعور الجماهير المسلمة بحقيقة الأخوة الإسلامية العالمية.

خامسًا: تحرك القيادات الدينية الرسمية تحركًا عالميًّا، وإن كان يتسم بالبطء وضعف الإمكانات والخبرات والقدرات، وكان ذلك واضحًا فى إقامة مواقع لكثير من الهيئات والمؤسسات الدينية على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب وتقديم الصورة السليمة التى عليها الدين الإسلامى الحنيف للآخر، هذا بجانب قيام مؤسسة كبرى مثل الأزهر الشريف بترجمة النتائج والتوصيات التى توصل إليها مؤتمر «هذا هو الإسلام» الذى أقامه مجمع البحوث الإسلامية، إلى كل اللغات الحية فى العالم من إنجليزية إلى فرنسية وألمانية وروسية وصينية... إلخ، والقيام بوضعها على موقع الأزهر على «الإنترنت» وإرسالها إلى جميع التجمعات والسفارات والجامعات فى العالم أجمع.

هذه هى بعض الآثار التى نجمت عن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الدعوة الإسلامية فى الداخل بحلوها ومُرِها وإيجابياتها وسلبياتها، وقد يكون هناك آثار أكثر وأخطر لم تظهر فى الأفق الآن ولكن عندما يكشف الستار عن بعض المواقف الخفية والوثائق السرية، فسوف يمكن للباحثين أن يقفوا على المزيد منها مستقبلًا.

أما عن الآثار التى نجمت عن أحداث ١١ سبتمبر على الدعوة الإسلامية فى الخارج فيمكن رصدها فى النقاط التالية:

أولًا: لقد وقعت هذه الأحداث الخطيرة والدعوة الإسلامية فى الغرب، تشهد صحوة وتناميًا متصاعدًا لدرجة جعلت البعض يقولون بأن النصر للإسلام قادم بين الغرب، وفجأة وقعت الواقعة، فتوقف البعض عن المُضى فى السعى نحو أهدافه المرسومة ليتابع الموقف عن كثب وليتعامل معه وفقًا للمقتضيات المطلوبة.

ثانيًا: تحرك أصابع الاتهام الأمريكى تجاه العرب والمسلمين، واتهامهم بأنهم مدبرو الحادث ومنفذوه، وذلك بلا تريث ولا إثبات أو تحقيق !!

ثالثًا: وصم العرب والمسلمين بأنهم إرهابيون، يجب محاسبتهم، وإن كان هذا الموقف تراجع عنه الكثيرون من أهل الغرب وخاصة الساسة منهم وعلى رأسهم الرئيس الأمريكى «بوش الابن» على الرغم من قول البعض بأن هذا صك ذات أهداف سياسية، نقول: إننا فى حاجة إلى هذا الصك السياسى، فى هذه المرحلة بالذات، لأننا نملك بالفعل صكًا شرعيًا من الله تعالى بأننا براءٌ من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

رابعًا: الهجوم على التاريخ والحضارة الإسلامية ووصفها بالنقائص كما فعل رئيس وزراء إيطاليا «سلفيو بيرلسكونى» وإن قام بعد ذلك بالاعتذار وأنه لم يكن يقصد الإساءة للإسلام.

خامسًا: التضييق على العرب والمسلمين فى أمريكا وأوربا فى السفر والعودة والإقامة وافتعال المشاحنات معهم والمضايقات لهم ومحاولة التهجم على حجاب نسائهم، وإن لم يخل المشهد من صور مضادة ومغايرة لما سبق ذكره من محاولات بعض الأمريكان من الدفاع عن الأسر المُسلمة والقيام بزيارتهم فى منازلهم.

سادسًا: الهجوم الأمريكى الغاشم على أفغانستان، بزعم أنها تأوى رءوس الإرهاب وعناصره المتمثلين فى تنظيم القاعدة الذى يقوده «أسامة بن لادن».

سابعًا: محاولة الإدارة الأمريكية الضغط على الحكومات العربية والإسلامية، لتقليص الدور الذى تقوم به المدارس الدينية بزعم أن هذه المدارس هى التى تُفَرِّخ

الإرهاب، ودعوة تلك الحكومات لمراجعة لغة الخطاب الدينى لديها ومراجعة المناهج الدينية فى المدارس العامة.

ثامنًا: فى إطار المحاولات الأمريكية لمواجهة ومحاربة الإرهاب تم تضليل الرأى العام عندما خلطت الإدارة الأمريكية بين الإرهاب المزعوم وبين الجهاد المشروع، وبين حق الشعوب فى المقاومة والدفاع عن عرضها وأرضها ومقدساتها وبين سلب ونهب الحقوق واغتصاب الأرض والعرض من قِبل المحتلين المستعمرين والغاصبين المجرمين.

تاسعًا: فى ظل هذه الأجواء المكفهرة، تساءل كثير من الغربيين عن حقيقة الإسلام وسارعوا على اقتناء الكتب الإسلامية المترجمة وعلى قراءة معانى وتفسير القرآن الكريم المترجمة أيضًا لدرجة خلت معها أرفف المكتبات داخل أروقة المراكز الإسلامية وخارجها من الكتب والمجلات التى تتحدث عن الإسلام، وفى هذه الأجواء أيضًا حدث ما لم يكن متوقعًا، فقد زاد على المقبلين على الإسلام، حتى لا يكاد أن يمر يوم فى أمريكا وأوربا إلا ويدخل فيه عشرات الإسلام من أهل البلاد الأصليين.

عاشرًا: اكتشفت الإدارة الأمريكية أن لديها جالية عربية وإسلامية، بل اكتشفت أن لدى هذه الجالية مؤسسات وجمعيات وأنشطة وفعاليات، وأن هذه المؤسسات كفيلة بأن تقدم الصورة الواقعية والصحيحة عن العرب والإسلام والمسلمين، كما اكتشفت الإدارة الأمريكية أن ملف الإسلام والمسلمين لا يجب أن يترك للصحافة والإعلام بل يحتاج إلى مجهود كبير داخل أمريكا ذاتها قبل البحث عن مترجم من الحكومات العربية والإسلامية.

حادى عشر: لأول مرة تعامل الإدارة الأمريكية المؤسسات والمنظمات الإسلامية والعربية على أنها مؤسسات محترمة.. ولأول مرة يزور رئيس أمريكا مركزًا إسلاميًّا ويستقبل وفدًا يمثل هذه المنظمات.

ثانى عشر: خروج العديد من المفكرين والكُتاب الأمريكيين عن الصمت وطالبوا حكومتهم بالتعرف على الإسلام من مصادره الصافية والطبيعية وليس عبر وسطاء.

ثالث عشر: تحول الآلة الإعلامية الغربية من موقف العدو إلى موقف لم يرق إلى مستوى الصداقة وإن ابتعد عن مستوى العداء السافر وخرجت تصريحات كبار الساسة فى عموم أوربا لتؤكد على تقديرهم للإسلام وللدور الذى يقوم به على حد قول الدكتور «حمزة زوبع» فى مقاله بعنوان: «وضع المسلمين والإسلام بعد أحداث سبتمبر مصائب تنتهى بفوائد».. وبعد، فهذا ما وقفت إلى الوقوف عليه فى هذا الموضوع، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يكفر عنا الخطايا والسيئات..

الإعلام والحرب على غزة

من هؤلاء الخاسرون فى ملحمة الفرقان على أرض غزة ؟ لاشك أن هؤلاء كثيرون، ونحن لن نتحدث عن خسارتهم التى سيمنون بها فى الآخرة، وسنقصر حديثنا عن خسارتهم فى الدنيا، أما خسارة هؤلاء فى الآخرة فإننا نكلها إلى الله يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم لا ينفع ما ل ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، فالمقت والغضب فى الدار الآخرة لهؤلاء الخاسرين الظالمين الذين أفسدوا وأهلكوا النسل والحرث.

إن أول هؤلاء الخاسرين هم الصهاينة المعتدون. الذين شنوا هجومًا شاملًا غادرًا على أهل القطاع، إذ صب عليهم الصهاينة نيرانهم من الجو بالطائرات ومن البر بالمدافع والمصفحات والدبابات ومن البحر بالغواصات والقاذفات، واستخدموا القنابل العنقودية والفوسفورية المحرمة دوليًّا، وتقف من ورائهم فتاوى دينية شيطانية تبارك صنيعهم وتؤيد جرائمهم، وتبرر أفعالهم الإجرامية، فلقد صدرت عدة فتاوى من مرجعيات دينية يهودية تبارك ما يقوم به جيش الصهاينة من أعمال قتل فى غزة، وتبيح وتبرر له قتل النساء والأطفال، ورأى أحد الحاخامات أنه لا مشكلة فى القضاء على الفلسطينين فى القطاع حتى لو قتل منهم مليون أو أكثر، وبعث الحاخام «مردخاى إلياهو» – الذى يعتبر المرجعية الدينية الأولى للتيار الدينى القومى فى الكيان الصهيونى – برسالة إلى رئيس وزرائهم «إيهود أولمرت» ذكر فيها، قصة المجزرة التى تعرض «شكيم بن حمور» والتى وردت فى سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التى تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعى لأعدائهم وفقًا لأخلاقيات الحرب، وقال «إلياهو»: إن هذا المعيار نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث فى غزة، حيث يتحمل جميع سكانها المسئولية، لأنهم لم يفعلوا شيئًا من شأنه وقف إطلاق صواريخ القسام، ودعا إلى مواصلة شن الحملة العسكرية على غزة معتبرًا أن المس بالمواطنين الفلسطينين الأبرياء أمر شرعى!!.

أى شرع هذا وأية شريعة تلك التى تبيح لأتباعها القتل والعدوان بغير الحق، إنها حقًّا شريعة الغاب.

فهذه الحرب غير المتكافئة، والتى شنها الصهاينة على أهل غزة، وباركتها الحاخامات المتطرفة وأيدها القادة العسكريون والساسة وغيرهم من القوى السياسية داخل الكيان الصهيونى، وهدفوا من وراء حربهم تركيع أهل غزة والقضاء على المقاومة، وإعادة تقسيم القطاع بعد احتلاله، وإنهاء نفوذ السلطة الشرعية بقيادة إسماعيل هنية، إلى غير ذلك من أهداف معلنة وغير معلنة، ولكن ماذا حدث ؟

لقد توقفت الحرب، وقام الجيش بما لديه من آليات عسكرية غاشمة، بقتل النساء والأطفال والشيوخ وهدم المساجد والمدارس والمستشفيات وتدمير البنية التحتية للقطاع، ولكنه لم يحقق شيئًا من أهدافه العديدة التى ظل يعلن عنها ويغير فيها إبان فترة العدوان، فلا أهل غزة ركعوا أمام بطش الاحتلال أو تحت سطوة النيران، بل رآهم العالم كله أكثر تماسكًا وثباتًا، ولم نسمع ولو لمرة واحدة، من واحد من شعب غزة، أنه غاضب من المقاومة أو رافض لها أو ساخط على حكومته، بل كل من شاهدناهم على شاشة التلفاز أو سمعناهم عبر الأثير أو قرأنا عنهم الصحف، يحتسبون قتلاهم شهداء عند الله، ويعلنون تمسكهم بحقهم بالحياة وعيشهم على تراب أرضهم ويصبون جام غضبهم ونقمتهم على العدوان والاحتلال الذى هو أس البلاء وسبب الخراب والدمار.

ألا يصب كل ذلك فى غير مصلحة دولة الاحتلال، ويعظم من خسارتهم، ويعجل برحيلهم عن أرض الإسراء التى دنسوها منذ وطئتها أقدامهم، ويؤكد على أن مقاومة أهل غزة لهم، قد جدعت أنوفهم، وأذلت كبرهم، وأثبتت بالقول والفعل بأن الجيش الذى لا يقهر وقوة الردع الصهيونية، أكذوبة كبرى، وخاصة عندما يوجهها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولهذا نسمع من كبرائهم أنهم ما أوقفوا عدوانهم وحربهم على أهل غزة إلا لأنهم تعبوا، ولأن إدارة الحرب مهمة ليست سهلة بالمرة، وتحمل فى طياتها الكثير من الصعاب، وأنا أقول: ليس التعب وحده الذى لحق بالصهاينة المعتدين، وإنما كذلك الخزى والعار والشنار.

وهذا وزير خارجية الكيان الصهيونى الأسبق «شلومو بن عامى» يقول: إن قرار

شن الحرب على غزة كان خطأ منذ البداية ولم يكن لها أى داع بتاتا، ووصف ما حدث فى غزة بالدراما والمأزق السياسى الذى وقعت فيه الحكومة اليهودية، والحل أمامها سيكون سياسيًّا وليس عسكريًّا، وإن دولتهم خسرت الكثير على الصعيد السياسى والدبلوماسى وأمام الرأى العام الدولى، حيث سيدرك القادة الأمر لاحقًا.

كما قالت صحيفة «كرونكل هيرالد» الكندية: إن قوات الاحتلال الصهيونى رغم كل الدمار والمذابح التى أحدثتها فى غزة، لم تستطع القضاء على حماس، كما كانت تأمل، بل تلطخت صورتها أمام العالم ولاقت احتجاجات واسعة النطاق ضد الحملة العسكرية الشرسة فى قطاع غزة ذى الكثافة السكانية الهائلة. ألا يكفى ذلك تدليلًا على مدى الخسارة التى لحقت بالكيان الصهيونى جراء قيامه بالعدوان الغاشم على أهل غزة، وأن قادة الاحتلال لم يكونوا فى وعى كامل بحقيقة الموقف، وأنهم ظنوا أن عدوانهم على غزة والانتهاء منه لا يستمر أكثر من ثلاثة أيام معدودة، ولكن المفاجأة كانت لديهم مذهلة إذ مرت عشرة أيام وعشرون يومًا ولم يحققوا شيئًا من أهدافهم سوى التخريب والتدمير والهدم والقتل فى النساء والشيوخ والأطفال، فماذا يكون ذلك ؟ وبما نسمى ذلك التسمية الحقيقية له ؟ أليس ذلك هو الانهزام والانكسار والخسارة، بكل ما تعنيها الكلمة ؟

وهذا شاهد آخر على هزيمة الكيان الصهيونى وخسارته فى عدوانه وحربه على قطاع غزة، صحيفة «هاآرتس» العبرية قالت: إنه مع عودة آخر جندى إسرائيلى كان دون جدوى، وأن هذه الحرب انتهت بالفشل الذريع لإسرائيل، وأن هذا يتجاوز الفشل الأخلاقى العميق، الذى يعد الأخطر فى حد ذاته.

وتقول الصحيفة العبرية: إنه بالنظر إلى الهدف الأول من الحرب، وهو وضع حد لإطلاق صواريخ القسام، فإن الصواريخ لم تتوقف، حتى آخر يوم من الحرب.. كما يقدر مسئولون فى وزارة الحرب اليهودية أن حماس ما زالت تمتلك آلاف الصواريخ، وبالنسبة للهدف الثانى من الحرب وهو منع التهريب، فلم يتحقق أيضًا حيث أوضح رئيس جهاز الأمن «الشين بيت» أن عملية التهريب كما كانت فى غضون شهرين، كما أوضحت الصحيفة أن قدرة الكيان الصهيونى على تحقيق الهدف الثالث أيضًا مشكوك فيها، فالردع الذى من المفترض تحقيقه لم يكن له أى تأثير على حركة حماس، وأن حماس

لم تضعف، فالغالبية العظمى من مقاتليها لم تتضرر، والتأييد الشعبى لها قد تزايد، وأن هذه الحرب كشفت روح المقاومة وقدرتها على التحمل.

(لقد سبق أن قلنا، إن الخاسرين فى ملحمة الحرب على غزة كثيرون، فليس الصهاينة المحتلون المعتدون وحدهم، هم الذين خرجوا من هذه الحرب فى خسارة وخذلان، بل ينضم إليهم كل من تواطأ معهم أو أيدهم أو دعمهم، أو صمت على جرائمهم أو برّر عدوانهم، أو نافقهم أو حسب لهم حسابًا، أو أنزلهم من نفسه منزلًا، كل هؤلاء خرجوا من هذه الحرب صفر الوجوه واليدين، بل سود الوجوه واليدين، هذه الدول أو تلك الهيئات التى باركت العدوان وأيدت الاحتلال، بل و دعمته وساندته، إن لم يكن عسكريًّا فسياسيًّا، هؤلاء جميعًا، انكشفت سوءاتهم وبانت خدعهم، وأضحت شعوبهم لا تصدقهم ولا تثق فيهم، وأنا أقصد بالدول والهيئات، الحكام والمسئولين، لا الشعوب والجماهير، وهذا تحديد لا بد منه؛ لأن الفارق شاسع بين الحكومات والحكام وبين الشعوب والجماهير، والحقيقة أن شعوب العالم فى معظمها تخالف نهج حكامها، الذين تحالفوا مع الاستعمار الجديد وتعاونوا مع قوى الاحتلال والعدوان، وإن كان ذلك على حساب مصالح دولهم وشعوبهم؛ لأنهم فهموا خطأ أن ذلك يصب فى مصالحهم الشخصية ويسند كراسيهم المائلة والمرتعشة، ولكن هذا وهم كبير، وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح ، والعاقبة للمجاهدين والمقاومين والخزى والخسران للمنبطحين والمنافقين من الإعلاميين والسياسيين والمحللين الذين يقولون ما لا يفعلون ويهرفون بما لا يعلمون ولا يعرفون، وغدًا سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.



الإعلام فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة

يتميز العقد الأول من القرن الحادى والعشرين بحدوث ثورات ثلاث متداخلة لكل منها صلة بالأخرى وتأثرت كل منها بالثورتين الأخريين.. وهذه الثورات هى ثورة التكنولوجيا وثورة المعلومات والثورة الديمقراطية، وما من بلد أو شعب فى عالمنا إلا وطاله تأثير هذه الثورات جزئيًا أو كليًا فى ضوء ظروفه ومرحلة تطوره.

ولعل ثورة الاتصال والمعلومات التى نعيشها هى نتاج حتمى لهذه الثورات وواحدة من آثارها المباشرة، قد دخلت وسائل الاتصال ـ وخاصة وسائل الإعلام ـ كل بيت وأخذت تلعب دورًا مهمًا فى وعى المتلقى والتأثير فى مفاهيمه وقيمه وعاداته وتقاليده وطغت على مكونات الوعى الأخرى، كالأسرة والمدرسة والمجتمع، وغدت الوسيلة الأهم فى تكوين الفرد ومزاج المجتمع والمشارك الرئيسى فى تحديد ملامح سلوك الناس وحياتهم اليومية ولعل هذا الطغيان الاتصالى لم يكن يمثل هذا الاتساع والشمول وقدرة التأثير والمشاركة فى أية مرحلة من مراحل التاريخ الإنسانى كما هو اليوم، والمحصلة، أن وسائل الإعلام ووسائله أصبحت جزءًا من نسيج المجتمع وحياته وذات تأثير مباشر فى التكوين الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى للمجتمعات فضلًا عن تشكيل الوعى وتحديد مسار سلوك الأفراد والجماعات[١].

ولما كانت وسائل الإعلام لها هذا القدر الهائل من التأثير، فقد اعتمدت شتى المذاهب والتيارات المعاصرة على هذه الوسائل الإعلامية فى نشر أفكارها والترويج والدعاية لآرائها ومعتقداتها، ولا شك أنه بدون تلك الدعاية لا يمكن أن تنهض فكرة أو يسمع لها صوت، واستطاع أصحاب تلك المذاهب والتيارات المعاصرة أن يحققوا نصرًا كبيرًا على خصومهم؛ لأنهم زوروا وزوقوا كثيرًا وافتنوا فى عرض ما عندهم على أوسع نطاق فى العالم كله مستترين وراء دعاوى الإصلاح والوعود الناعمة[٢].

ولذلك إذا أردنا أن نكشف عن حقيقة هذه التيارات الفكرية ونبين أغراضها ونفند شبهاتها، فعلينا أن نكون على مستوى الفعل، وأن تكون سبل مواجهتنا لهذه الأفكار

التى تحملها تلك التيارات تتناسب مع خطورتها وتأثيرها، ومن ثم، فلا بد من استخدام أحدث وسائل التأثير وأكثرها فاعلية فى الجماهير ولا شك أن الإعلام بتقنياته ووسائله يعتبر أهم وأخطر سلاح يمكن استخدامه فى مواجهة هذه التيارات الفكرية المعاصرة بجميع فصائلها وتجمعاتها ومذاهبها.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تعالج قضية من أهم القضايا فى واقعنا المعاصر ويمكن للباحث أن يقدم بعض النقاط التى تشير إلى ذلك والتى يمكن أن تتمثل فيما يلى:

١ - أن الإعلام الحديث أثبت بما لا يدع مجالًا للشك قدرته الهائلة فى التأثير والتغيير لدى الجماهير.

٢ - أن الإعلام الإسلامى وخاصة الذى يمتلك منه الحرفية والمصداقية له أثره الكبير فى غرس القيم والمعتقدات الصحيحة فى نفوس الجماهير المسلمة، مما يجعلها فى حصانة من التأثر بمخاطر تلك التيارات الفكرية.

٣ - تنامى تأثير التيارات والمذاهب الفكرية فى عقلية الكثير من الشباب والمثقفين.

٤ - اعتماد تلك التيارات الفكرية على العديد من وسائل الإعلام فى الوصول إلى أهدافهم وتحقيق أغراضهم ولا يفل الحديد إلا الحديد.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ - الوصول إلى إبراز وتحديد الدور الذى يمكن أن يؤديه الإعلام الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة.

٢ - العمل الجاد لحماية الهوية الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية وذلك من خلال وضع تصور لخطة إعلامية يمكن تنفيذها على مراحل مختلفة.

٣ - الكشف عن طبيعة الدور الخطر الذى تلعبه هذه التيارات فى محاولاتها المستمرة لطمس الثقافة الإسلامية وتشويه ملامحها، خاصة فى هذه الفترة الحرجة من تاريخنا المعاصر الذى شهد أكبر حركة فكرية مضادة لفكرنا

وثقافتنا وحضارتنا العربية والإسلامية، حسب ما تشير إليه العديد من الدراسات والأبحاث العلمية والتى تؤكد على أن النصف الثانى من القرن العشرين قد شهد عملية تدميرية تختلف عن الشواهد التاريخية السابقة، وتعمل هذه العملية على تهديد التنوع للأنظمة الثقافية، فقد انطوى هذا القرن على ظاهرة غير مسبوقة فى التاريخ البشرى كله، إذ لم يحدث فى تاريخ الإنسانية أن كان لأمة من الأمم أو لنموذج ثقافى تلك الأبعاد الدولية وهذه الطبيعة الشاملة على الذى تبدو عليه الثقافة الأوربية والأمريكية، ولم يحدث من قبل أن تمت عملية التأثير الثقافى التدميرى بهذا الحجم وعلى هذا النحو الهادئ ودون إراقة نقطة من الدماء(٣).

تحديد مفاهيم الدراسة:

لا شك أن تحديد المفاهيم والمصطلحات أمر له أهميته فى كل الأبحاث والدراسات العلمية، وهذه الدراسة التى نحن بصددها تشتمل على مفاهيم أساسية وهى:

١ـ إستراتيجية:

لقد تعددت التعريفات لهذا المصطلح، ولكن يمكن أن يستخدم على اعتبار أنه: الخطط أو الطرق التى توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد، اعتمادًا على التكتيكات والإجراءات الإعلامية فى استخدام المصادر المتوفرة فى المدى القصير، ويعود أصل الكلمة إلى التعبير العسكرى، ولكنها الآن تستخدم بكثرة فى سياقات مختلفة، وكذلك هى أيضًا: مجموعة من الوسائل التى تستخدم لإدراك وتحقيق الوصول إلى غرض محدد(٤).

٢- الإعلام الإعلامى:

لقد ذهب الباحثون الإعلاميون فى تعريفهم إلى وجهات متعددة، نذكر منها على سبيل المثال ما ذهب إليه الدكتور «إبراهيم إمام» من أن الإعلام الإسلامى هو: إعلام شامل يهتم بجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان؛ لأن الإسلام دين يصبغ جميع تصرفات المسلم ولا يمكن الزعم بأن ثمة أمور خارجة عن نطاقه؛ لأن الدين يحكمه فى كل شأن من شئونه، وهو إعلام هادف ملتزم ومسئول يسعى إلى حمل الرسالة الإسلامية وتبليغها للناس ويسهم فى تزويد الناس بالأخبار والمعلومات المفيدة التى

تساعدهم على إعمار الأرض وتجميع الطاقات وترقية الحياة والسمو بها وليس الإعلام الإسلامى مجرد مرآة للواقع يعكس ما فيه، وإنما هو قيادة وترقية وسمو[٥].

ويعرف «محيى الدين عبد الحليم» الإعلام الإسلامى بأنه: تزويد الجماهير بصفة عامة، بحقائق الدين الإسلامى، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها، وذلك بغية تكوين رأى عام صائب، يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعبادته ومعاملاته[٦].

ويشير محمد سيد محمد إلى أن الإعلام الإسلامى هو: الإعلام العام غير المتخصص لمجتمع مسلم أو دولة مسلمة أو حكومة إسلامية[٧].

أما التعريف الذى يميل إليه الباحث ويأخذ به فى هذه الدراسة هو ما ذهب إليه محمود كرم سليمان من أن الإعلام الإسلامى هو: عملية الاتصال التى تشمل جميع أنشطة الإعلام فى المجتمع الإسلامى وتؤدى جميع وظائفه المثلى، الإخبارية والإرشادية والترويحية على المستوى الوطنى والدولى والعالمى، وتلتزم بالإسلام فى كل أهدافها ووسائلها وفيما يصدر عنها من رسائل ومواد إعلامية وثقافية وترويحية وتعتمد على الإعلاميين الملتزمين بالإسلام قولًا وعملًا وتستخدم جميع وسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة والعامة[٨].

٣ـ التيارات الفكرية المعاصرة:

ويقصد بها تلك الأفكار والمبادئ والآراء والفلسفات التى قامت عليها ودعت إليها المذاهب والدعوات والتيارات المختلفة واتخذها أنصار الغزو الثقافى منافذ لهم وأدوات ووسائل لنشر سمومهم، والتى قد تبدو متباينة، ولكنها تلتقى جميعها فى محاربة الإسلام والمسلمين، ومن هذه التيارات على سبيل المثال لا الحصر[٩].

أ ـ الاستشراق: وهو يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بشكل عام[١٠].

ب ـ التنصير: حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب

الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة فى دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب[١١].

ج ـ **التغريب**: هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب وغرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين، حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم، وحتى تجف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامى ومبادئ الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله، وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الإنسانية، ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة، أو محاولة إنكار القيم الإسلامية والحط من قدر اللغة العربية، وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب الإسلامية والعربية[١٢].

د ـ **العلمانية**: تعنى فصل الدين عن الدولة، وهو مبدأ بمقتضاه تعتبر الأديان متساوية ولا يفرض دين معين على المواطنين، وهكذا يحرم على الدولة أن تأخذ بدين واحد هو دينها فتضطر إلى اعتناقه والاعتراف به مع استبعاد الأديان الأخرى، وقد تطور الوضع الآن فى معظم الدول فالدين فى ضمائر المواطنين والدولة لها نظمها التى يتعين احترامها فى غير نطاق الدين واتجهت القوانين وجهة علمانية أى بفصل الدين عن الدولة[١٣].

ويذهب أحد الباحثين إلى أن العلمانية هى خلاصة المذاهب والنظريات الفكرية والإلحادية الضالة[١٤]، ولا شك أن هناك العديد من التيارات الفكرية المعاصرة كالصهيونية والماسونية والقاديانية والبهائية والوجودية وغيرها من المذاهب والفلسفات التى لها تأثير ضار على الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية، ويستخدمها دعاة الغزو الثقافى والفكرى فى شن هجومهم وتحقيق أهدافهم المشبوهة فى بلاد العالم الإسلامى.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث فى هذه الدراسة منهج المسح الذى يستخدم فى الدراسات الوصفية، وهو محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعى أو جماعة أو بيئة معينة وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة كما أنه

يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة منها فى المستقبل(١٥).

أدوات الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الأدوات فى جمع المعلومات والبيانات التى فرضتها طبيعة الدراسة وتمثلت هذه الأدوات فيما يلى:

أ- الملاحظة المباشرة: وقد استفاد منها الباحث فى رصد ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة من خلال متابعتها والمعايشة الفعلية لها عن طريق الإسهام بالعمل بها والكتابة لها.

ب- المقابلة غير المقننة: وهى التى تتم بدون إعداد مسبق للأسئلة بطريقة دقيقة وتفصيلية، كما تترك فيها الحرية للمبحوث فى الاسترسال فى عرض خبراته وآرائه وأفكاره ووجهات نظره، وقد استخدمها الباحث فى الحصول على بعض المعلومات الأولية والأساسية التى أفادته فى التعرف على طبيعة الدراسة، وتعتبر هذه الأداة من الأدوات المهمة كذلك فى جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتعرف بأنها المحاولة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها أو أنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها فى بحث علمى، وهى أيضًا عبارة عن أسئلة مفتوحة للمستجوبين يقومون خلالها بالإجابة بأسلوبهم الخاص وتعطى للمبحوث درجة من الحرية لتقديم المعلومات طبقًا لظروفه(١٦).

محاور الدراسة:

أولًا: التيارات الفكرية المعاصرة وخطرها على الحضارة الإسلامية:

فى الواقع إننا نرى فى مسار الواقع الحضارى للأمة الإسلامية منحدرات سحيقة ومنعطفات خطيرة أحدثتها التيارات الفكرية المعاصرة بهدف تضليل الأمة وتعميتها، فلم تعد معالم الطريق السوى واضحة الرؤية، لما غشيها من ضباب المسخ والتشويه والتشكيك والتذويب والاستيلاب الحضارى وتمييع الشخصية وطمس الهوية الإسلامية، وذلك عن طريق الغزو الثقافى، هذا الغزو الذى خطط له الأعداء من أمد

بعيد بدقة وإحكام، صحيح أنه اختلفت جهاته، من تنصير واستشراق وعلمانية وصهيونية وبهائية، لكن قد اتحدت غاياته من استلاب وفرض تبعية ومحاولة تطبيع وتطويع وتذويب الروح الإسلامية والسيطرة على العقول والقلوب والأوطان والثروات والتحكم فى الاتجاهات والآراء والأفكار(١٧).

ولا يخفى على أحد أن التيارات الفكرية المناوئة للإسلام تعمل بكل ما تملك من إمكانات على غزو المجتمعات الإسلامية غزوًا يفتت الأمة ويضعف من انطلاقها ويقيد حركتها ويبعدها عن الواقع، وأصحاب هذه التيارات المعادية للإسلام ما سكتوا عن الإسلام منذ أشرق نوره على الأرض، ولا يزالون يتحركون ليكيدوا للإسلام والمسلمين، ولا يزال الغزو الفكرى يستهدف الجذور ويركز على تشويه الأصول، والحركات الهدامة والتيارات المختلفة تحاول جهدها أن تعيق العمل الإسلامى كى لا ينطلق المسلمون إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بالأيدى إلى التنمية والإنتاج والتقدم، وقد لا يكون المرء مجانبًا للصواب إذ تأكد لديه أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية هو نتيجة حتمية لتغلغل الحركات الهدامة التى تنخر فى عظام الأمة، ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامى، هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار نظرًا إلى موقعه وخطورة موقفه، والهدف من تصدير الأفكار واحد لدى مراكز الإنتاج، وهو أن تبقى مجتمعات الأمة الإسلامية على اختلافها مفتقرة إلى غيرها، وأن يحال بينها وبين أفكارها الأصيلة، ومن حق مجتمعات الأمة الإسلامية أن تنتبه للأخطار الفكرية والتيارات الهدامة التى تحدق بالأمة، ومن حق الأمة أن تبصر المواقع وتتعرف على الصواب لتتمكن من المواجهة، والمواجهة لن تأتى إلا بعد معرفة هذه التيارات وذلك الغزو، ومما يلاحظ أن الإنسانية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعًا كان فيه للغزو الفكرى خبراء ومتفلسفون كما تشهد فى هذا العصر الذى اتخذت فيه الحركات الغازية نظريات وفلسفات بعيد عن الصواب(١٨).

ومن هنا فإننا نلاحظ أن قضية الغزو الفكرى الذى تمارسه تلك التيارات، أصبحت اليوم من أشد القضايا خطرًا وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر فى قلوب وعقول كثير من مثقفينا فى هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذى يتخذه الغزو

الفكرى مدمر وقتال، يؤثر فى الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلى هذا الميدان ويعظم خطره حين تخفق وسائل الحديد والنار فى تحقيق الهدف للوصول إلى الغاية، والخطر الذى يحققه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذى يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم والخديعة فى العرض، وقد وضع أعداء الإسلام لغزوهم أهدافًا لا تتحقق إلا بعد فترة ليست بالقصيرة من الزمن ليتم إبعاد المسلم عن دينه بأسلوب هادئ لا إثارة فيه ولا استفزاز، فتتم المؤامرة الخطيرة التى قلما يشعر بخطرها وأبعادها أحد فى أول الأمر، وقد حرص هؤلاء على أن يكون التغيير، بل الهدم الذى يريدونه على أيد أبناء من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا؛ لأن هؤلاء أكثر تأثيرًا من غيرهم، فيعملون أولًا فى هدم العقيدة الإسلامية ثم فى فساد الأخلاق والعادات الإسلامية، وبهذا يتحقق هدف الغزو الفكرى من مسخ لشخصية الأمة المسلمة، وقبر منابع الأصالة والابتكار والإبداع فيها وتحريف مقومات أمتنا الحضارية، وإثارة العجز فى نفوس المسلمين، وبهذا يتوقف النمو الحضارى حين يشعر المسلم بالتخلف وعدم قدرته على مسايرة حضارة العالم، وكذا نقل المسلم من عقيدته وشريعته وروحيته وقيمه وفكره إلى عقيدة الغرب وقانونه وفكره وثقافته ونمط عيشه لينقطع المسلم عن مصدر قوته المعنوية التى تمده بأسباب القوة وتبعث فيه الشجاعة والبسالة، لتصير الأمة الإسلامية ضعيفة عاجزة عن المقاومة والدفاع عن كيانها ووجودها[١٩].

وإذا كانت جبهات الصراع بيننا وبين الاستعمار قديمًا ميدانها الأرض وأدواتها الغزو المسلح الذى زلزل جوانب العالم الإسلامى بوحشيته التى لم تر الدنيا لها مثيلًا، فإن هذه الجبهات تغيرت الآن إلى معركة فكر وأصبح ميدانها هو عقول أبناء أمتنا ومشاعرهم وأفكارهم وأدواتها هى وسائل النشر والإعلام المختلفة، ولذلك فإن أساليب مجابهتهم ومواجهتهم يجب أن تعتمد على سلاح من نوع سلاحهم؛ لأن الفكرة لا تُواجَه إلا بالفكرة[٢٠].

ولذلك رأينا الدكتور «عبد الحليم محمود» شيخ الأزهر الأسبق يرحمه الله، يحذر من

خطر الغزو الفكرى ويطلب محاربته ومقاومته، ويشير إلى أن هذا الغزو له مجالات مختلفة، فهناك الغزو الفكرى فى مجال العقائد، ويتمثل فى كل هذا الميراث الضخم الذى نقل إلى اللغة العربية، فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، وهو تراث مختلف متعارض، بل متناقض، وهو نتاج بشرى، بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال، وأيضًا الغزو الفكرى فى نظام المجتمع الذى حاول أن يفرض علينا نظام المجتمعات الأوربية، وإذا نحن سرنا فى تياره فإننا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتية، ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا بتبليغها للناس ونشرها، وهى رسالة الإسلام، التى من أجلها كانت الأمة الإسلامية وبدونها تصبح هذه الأمة لا مبرر لوجودها، وكذلك كان الغزو الفكرى فى مجال التشريع والذى توجد أسسه وأصوله بصورة مشروعة فى مختلف الأقطار العربية ممثلة فى كليات الحقوق التى تنفق عليها الدولة، وتعتمد شهاداتها، وكليات الحقوق هذه دراستها غزو فكرى واستعمار فكرى ودراستها أثر من آثار الاستعمار التى لم تزل بعد أن زال الاستعمار العسكرى، وإذا كانت الأمم الواعية تحاول جاهدة أن تتخلص من وصمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام، فإن الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصمة الاستعمار الصارخة الممثلة فى هذه الكليات[٢١].

ويوضح الشيخ «عبد الحليم محمود» مقصودة بقوله: إن الكثير من هذه الكليات تخصص عشرين ساعة فى الأسبوع للقوانين الأوربية أى للفكر الأوربى فى التشريع وتفرض على الطالب أن يذاكره ويستوعبه ويحفظه ويتمثله وينجح فيه فى الامتحان، أى أنها تفرض على الطالب أن يستعمل فكرة الأوربيين فى مجال التشريع، وأن يلغى ذاتيته الإسلامية فى هذا المجال، مقلدًا لهم، تجره عجلتهم، مستسلمًا لغزوهم، وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة أسبوعيًّا للفكر الأوربى فى التشريع إذ بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الإسلامى[٢٢].

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الغزو الثقافى الذى تقوم به وسائل الإعلام المختلفة فى الدول الغربية للدول العربية والإسلامية هو أخطر أشكال الاستعمار الحديث، وهذا الغزو الذى يمتد تاريخه المعاصر إلى ما قبل حركات التحرر والاستقلال فى

منتصف القرن العشرين هو أحد العوامل التى ساعدت وتساعد على استمرار حالة التدهور الحضارى التى تعيشه الشعوب النامية[٢٣].

والواقع أن ما نراه اليوم من السيطرة الغربية على المعلومات ووسائل الإعلام ومراكز الإنتاج التليفزيونى والسينمائى بدعوى «السوق الحرة» وتحت شعار «حرية الصحافة والمعلومات» هى الصورة الجديدة للاستعمار؛ لأن الدول الصناعية الغربية تستخدم هذه السيطرة بشكل مباشر وغير مباشر، لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسخر هذه السيطرة لتحقيق أهدافها التوسعية بغزو أفكار الشعوب المستضعفة، وإضعاف شخصيتها وتخريب ثقافتها وإبعادها بشتى الوسائل عن الاهتداء إلى شخصيتها المستقلة والاعتزاز بحضارتها المتميزة[٢٤].

ولهذا نلحظ أنه مع التوسع العالمى فى صناعة الاتصال (التليفزيونى، ووكالات الأنباء، وشركات الإعلان، ودور النشر، والإنتاج السينمائى) فإن الهيئات الاتصالية أصبحت هيئات عالمية، وأصبح مجال الاتصال أحد المجالات المهمة لاستثمارات العديد من الشركات الصناعية الكبرى، فما بين ١٠٪-١٥٪ من أكبر الشركات العالمية لها اهتماماتها بتجارة الاتصال الدولية، وقد شهدت صناعة الاتصال مثل بقية أفرع النشاط الاقتصادى الصناعى مزيدًا من تركيز القوة الاقتصادية، فنحو ٧٠٪ من سوق الاتصال الدولى تسيطر عليه ٨٠ هيئة عالمية، هذه الهيئات تنتج أنساقًا قيمة Value Patterns تتفق مع الواقع الثقافى للدول الكبرى ولا ترتبط بالاحتياجات الاجتماعية الحقيقية للدول المستقبلة بأى رابط، وقد لاحظ أحد المحللين فى أمريكا اللاتينية أن أنظمة الراديو والتليفزيون التى تخضع للسيطرة الأجنبية تحمل قيمًا غريبة على احتياجات هذه المجتمعات، فخلق الأساطير والأبطال الخرافيين والتأكيد المبالغ فيه على الترفيه والعنف كلها أدوات للتغريب وفقدان الهوية الثقافية[٢٥].

وتأسيسًا على ما سبق، نرى أن التيارات الفكرية المعاصرة كان خطرها شديدًا على الهوية والثقافة الإسلامية، مما جعلها ـ بحق ـ تهدد هويتنا واستقلالنا السياسى والحضارى، وتأكيدًا لهذا الذى ذهبنا إليه وجدنا أن التيارات الفكرية الضالة والمناوئة للإسلام والتى تنتمى فيما بينهم إلى أيديولوجيات مختلفة، قد التقوا مؤخرًا على الدعوة

إلى العلمانية، مما يشكل تحديًا خطيرًا لروح هذه الأمة وعقيدتها وحضارتها، فقد تعانق كل هؤلاء وتحالفوا ووقفوا فى خندق واحد مع المعاديين للدين ـ الإسلام خاصّة ـ ورفضه منهجًا وتطبيقًا، وفى هذا المجال كثر حديثهم عن العلمانية والدعوة إلى علمنة المجتمع تحت ذرائع مختلفة أهمها، أن الشعب يضم أقلية غير مسلمة ترفض الحكم الإسلامى وأن تطبيق الشريعة الإسلامية سيعرض الوحدة الوطنية للخطر، وسيدفع الوطن إلى التمزق، وسيحرض الدول الكبرى على التدخل، ويؤدى إلى تهديد الاستقلال الوطنى، ومع تهافت هذه الذرائع، إلا أن القوم استثمروا سيطرتهم على المنابر الثقافية والإعلامية إلى جانب المناخ السياسى الراهن لتحقيق أهدافهم(٢٦).

ثانيًا: الهوية العربية الإسلامية وضرورة العمل على حمايتها:

الهوية فى عُرف حضارتنا العربية الإسلامية مأخوذة من «هُوَ.. هُوَ» بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، فهوية الإنسان أو الثقافة، أو الحضارة هى جوهرها وحقيقتها، ولما كان فى كل شيء من الأشياء ـ إنسانًا أو ثقافة أو حضارة ـ «الثوابت والمتغيرات» فإن هُوية الشيء هى «ثوابته» التى لا تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلى مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، تتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الغبار وعوامل الطمس والحجب، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات(٢٧).

والصحيح أن الإسلام، منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة، فهو الذى طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتنا بطابعه وصبغته، فعادتها وتقاليدها، وآدابها وفنونها وسائر علومها الطبيعية والتجريبية، ونظرتها للكون وللذات وللآخر وتصوراتها لمكانة الإنسان فى هذا الكون، من أين تأتى؟ وإلى أين تنتهى؟ وحكمة هذا الوجود وغايته؟ كل ذلك، وما ماثله قد انطبع بطابع الإسلام، واصطبغ بصبغته، حتى لنستطيع أن نقول، ونحن مطمئنون كل الاطمئنان: إن ثقافتنا ثقافة إسلامية، وإن معيار الدخول والخروج فى ميدان ثقافتنا والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامى(٢٨).

وإذا كانت الثقافة هى الشخصية التاريخية للإنسان فهى سجله الحضارى ومستودع

قيمه ومنطلق تطلعاته، فيجب على أصحاب تلك الثقافة أن يحموا حماها ويزودوا عنها ويحفظوا لها مقوماتها وجذورها من الخلع أو التشويه، ومعلوم أن لكل مجتمع بالضرورة ثقافته وشخصيته، ومن هذا التنوع الثقافى الخلاق تكونت عبقرية الحياة وتعددت الرؤى.. ومن هنا، كانت الحفاظ على الذاتية الثقافية، هو فى واقع الأمر إغناء للحياة نفسها، هو ليس انغلاقًا، ولكنه على العكس من ذلك، هو التفتح الخلاق الذى يعين على العطاء والمشاركة، فالتبادل الثقافى ككل تبادل آخر، لا يكون بين المتماثلين وإنما يكون بين المتمايزين، والثقافة القادرة تأخذ من الثقافات الأخرى وتستوعب ما تأخذ وتصوغه فى سياقها وفى بنائها، فلا يكون ذلك إضافة كمية مغتربة، وإنما يكون إغناء لنوعياتها، ومن هنا فإن الأمن الثقافى يتضمن الحفاظ على مقومات وثوابت هذه الثقافة فى أبعادها ومجالاتها ومظاهرها وتعبيراتها المختلفة وتأهيلها من خلال سعى قومى مشترك لأداء دورها التاريخى والحضارى[٢٩].

ولا بد أن نوضح أن الدعوة للمحافظة على هويتنا وتراثنا المضىء ليس انغلاقًا أو جمودًا أو تحجرًا ـ كما يدعى أنصار التبعية الثقافية ـ ولكنه عقيدة لا يستطيع المثقف الشريف أن يخلعها ويمشى بدونها أو أن يكون مرتديًا ثوبًا مستعارًا، ومن يفرط فى عقيدته وتراثه وهويته المضيئة لا يملك إلا أن يكون تابعًا ذليلًا فى سوق النخاسة الدولية، لأنها حينئذ يكون قد فقد العنصر الرئيسى الذى يمكنه من الحوار مع الآخر والتفاعل معه[٣٠].

ومن أجل ذلك ينبغى علينا ألا نسمح للغزو الفكرى التغريبيى أن يعبث بخصوصيتنا الحضارية، فيمسخ وينسخ ويشوه هويتنا العربية الإسلامية فتكون تبعيتنا الحضارية للغرب، الذى يؤيد، بل ويؤيد تبعيتنا له فى السياسة والأمن والاقتصاد، وحتى لا تقودنا هذه التبعية الحضارية إلى المأزق الذى قادت الحضارة الغربية إنسانها إلى طريقه المسدود، عندما حققت له القوة الغاشمة والوفرة المادية، وأفقرته فى الروحانيات والمثل، فأصبح عبدًا للآنية، واللذة والشهوة، فاقدًا للتوازن، الذى هو شرط ـ بل حقيقة ـ سعادة الإنسان فى هذه الحياة، وحتى لا يكون مصير إسلامنا ـ وهو جوهر هويتنا الحضارية، كمصير التوحيد المسيحى الأول، الذى «غبشه» الغزو

الفكرى الهلينى بالغنوصية الباطنية، فيتحول إسلامنا ـ بالتغريب ـ إلى كهانة بابوية، تقدس وتجمد المتغير.. أو علمانية تجرد الدولة والدنيا وعلومها من إطار الشريعة وروح الإيمان، وتتحول عروبتنا إلى عصبية عرقية جاهلية، وتتحول المرأة العربية المسلمة إلى «غانية رومانسية» أو «مسترجلة أسبرطية» أو صورة غلاف وإعلان سلعة رأسمالية أو جارية مملوكية، وحتى لا تذبل فينا رغبة الإبداع، عندما يرضى ليبراليونا بليبرالية الغرب، وشموليونا بشمولية الغرب، وتقدميونا بتقدمية الغرب، ورجعويونا برجعية الغرب، فنقنع بدونية المستهلكين لسلع الفكر والمادة معًا، حتى لا يحدث لنا ذلك، علينا أن نميز فى تفاعلنا مع الحضارة الغربية بين ما هو «خصوصية حضارية» وما هو «مشترك إنسانى عام» فتلك بداهة الفكر ومنطقه، وهذه هى شهادته، وأيضًا شهادة التاريخ، عندما سجل، عمل قانون، التفاعل بين الحضارات(٣١).

ثالثًا: موقف الإعلام الإسلامى من التيارات الفكرية المعاصرة:

لقد أصبح الإعلام اليوم المؤثر الطاغى فى كافة أمور حياة البشر، وفى العلاقات بين الدول، إنه يصنع العقول، يحركها، يتلاعب بها، يوجهها أينما شاء، إنه يصنع الأحداث، يغير الاتجاهات، يثبت الأفكار، ينشر الخير والحكمة أو ينشر الشر والجهل، يبيع الوقت ويبيع الأشخاص لحساب الآخرين، تقوم على أساسه دول، وتسقط أخرى، لقد غدا الإعلام موردًا رئيسيًّا من موارد المجتمع، فلئن كان المجتمع الصناعى قد اتسم لفترة طويلة بسيطرة الإنسان على الأشياء وعلى الطبيعة، فإنه يبدو الآن فى طريقه لأن يغدو ما يسميه البعض «مجتمع الإعلام» وهو مجتمع يتسم بنمو هائل فى قدرة الإنسان على توسيع معارفه وخزنها وترتيبها، وعلى إنتاج المعلومات وخزنها والاحتفاظ بها ونشرها على الفور واسترجاعها وفى قدرته على إنشاء هيئات تحكم قبضتها على كل جوانب حياة المجتمعات، ولقد كانت المعلومات دائمًا عنصرًا أساسيًّا من عناصر التنظيم البشرى هيئات تحكم قبضتها على كل جوانب حياة المجتمعات، ولقد كانت المعلومات دائمًا عنصرًا أساسيًّا من عناصر التنظيم البشرى وتلاحم المجتمعات، ومن ثم، فسوف يترتب على ثورة المعلومات فى الآن القريب أو البعيد نتائج عميقة الأثر على التنظيم الاجتماعى(٣٢).

وإذا كان الإعلام بشكل عام صار يحتل هذه المكانة، وأصبح يلعب هذا الدور الكبير فى التأثير والتغيير ونقل الآراء والأفكار والمذاهب والفلسفات، فثمة مجموعة من التساؤلات ينبغى طرحها فى هذا الصدد وهى: أين الإعلام الإسلامى من هذا التأثير الهائل لوسائل الإعلام الأخرى؟ وما موقف الإعلام الإسلامى من هذه التيارات الفكرية؟ وهل أدى الإعلام الإسلامى الدور المناط به فى هذا الصدد؟ أم أن الإعلام الإسلامى لا يزال يحبو ويتحسس موقع قدميه فى هذا المحيط الفسيح الجنبات؟

ونجيب عن هذه التساؤلات فنقول: إن الإعلام الإسلامى فى المجال الطباعى أدى دورًا مهمًّا فى حماية العقل المسلم وصيانته من عوامل الاختراق والتزييف، ونافح عن ثوابت هذه الأمة فى مجالات شتى، وكان عامل صد قوى للعديد من القوى الفكرية والمذهبية والحملات التغريبية المتكررة، وذلك منذ نهاية القرن التاسع عشر، عندما صدرت مجلة «العروة الوثقى» عام ١٨٨٤م، والتى أحدثت أثرًا قويًّا فى العالم الإسلامى على امتداده، وخاصة فى طبقة المثقفين الذين حملوا دعوتها من بعدها، ويذكر السيد «رشيد رضا» أن تأثير العروة الوثقى عليه كان شديدًا وأنها غيرت مجرى حياته تمامًا[٣٣].

منذ ذلك الحين والصحافة الإسلامية بل والصحافة ذات الاتجاه الإسلامى، ترابط على ثغرة من ثغور هذه الأمة، تدافع عن دينها، وتصوب سهامها نحو المتربصين به، وتواجه الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر، وتكشف الوجه الكالح للصهيونية والماسونية، فبالرغم من تغلغل الماسونية فى الحياة المصرية فى تلك الفترة وظهور صحافة لها، فقد كان صوت الصحافة الإسلامية يرتفع هنا وهناك لكشف زيفها وبيان خطرها[٣٤].

ولقد ظلت الصحافة الإسلامية، ثابتة فى مواقعها تحاور وتجادل، بالتى هى أحسن أصحاب الأفكار والتيارات المذهبية، صحيح أن الصحافة الإسلامية لم تكن تملك ـ حتى اليوم ـ من الأسباب المادية ما يجعلها تقوم بدورها خير قيام، إلا أن هذا العجز المادى كان يجبره قوة الحق الذين تنطق به وتدعو إليه تلك الصحافة، ومن هنا نقول

بحق: إن الصحافة الإسلامية منذ صدورها قامت بدور فاعل فى التصدى لحملات الغزو الفكرى المدمر وتياراته المناوئة للحضارة والثقافة والهوية الإسلامية، ولا تزال الصحافة الإسلامية تقوم بهذا الدور وإن قل الجهد وزاد العجز، وذلك لأن وسائل إعلام تلك التيارات زادت وتنوعت ولم تعد قاصرة على صحيفة أو كتاب، يمكن متابعته وكشفه بالرد عليه بالطريقة نفسها، ولكن اليوم لم تعد هذه الوسائل وحدها على الساحة، فهناك الإذاعة والتليفزيون والفيديو والسينما والمسرح والقنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت وغير ذلك من الوسائل الاتصالية المختلفة، كل هذه الوسائل تستخدمها التيارات العلمانية والتغريبية والاستشراقية، بشكل أو بآخر فى الدعوة إلى أفكارها ومبادئها وإذا ما بحثنا عن الإعلام الإسلامى وسط هذا الطوفان الهائل من وسائل الإعلام الحديثة، تكاد لا تسمع له صوتًا وإن لم يسرع أنصار الإعلام الإسلامى ويعملوا جاهدين كى يكون لهذا الإعلام موقعًا على الخريطة الإعلامية الدولية، وأن يحاولوا توجيه وتوظيف مستحدثات العصر لخدمة قضاياهم، فإنهم بذلك يكون قد قصروا فى أداء رسالتهم وتركوا الساحة لغيرهم يعبثون فيها، ليس من المعقول ولا من المقبول أن يظل الإعلام الإسلامى حبيسًا للكلمة المكتوبة تاركًا الكلمة المسموعة مع مالها من أثر وخطر، وهنا أذكر مقولة قالها الإمام «محمد عبده» وهو من أعلام الصحافة الإسلامية، ذكرها فى معرض حديثه عن الكلام المقروء والمسموع قال: إن الكلام المسموع يؤثر فى النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء؛ لأن نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته فى الكلام، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع أن يسأله عما يخفى عليه منه، أما إذا كان مكتوبًا فمن يسأل؟هذا فضلًا عن المستجدات الحديثة التى لا تقل أثرًا عن غيرها[٣٥].

وليس من المعقول ولا من المقبول أن يكون أنصار التيارات الفكرية المناوئة للإسلام يستخدمون أحدث تقنيات العصر فى مجال الاتصال والإعلام ويستفيدون منها بقوة وجسارة لنشر مبادئهم والدعوة لفلسفتهم والعمل على هيمنتها على العقول والقلوب فى الداخل والخارج ونحن فى مجال الصحافة الإسلامية لا نكاد نجد «ورق الدشت» نكتب عليه، وإن وجدناه فبشق الأنفس!

إذن لا بد من إعادة النظر ـ إذا كنا نريد عزًّا لديننا وحماية لهويتنا ـ فى هذه الأوضاع القائمة والتى عليها الإعلام الإسلامى اليوم، لا بد من تغييرها وإصلاحها ما أمكن الإصلاح، ومشكلة الأمة الإسلامية لا تتبدى فقط فى ضعف وفقر الإعلام الإسلامى فحسب، ولكن المشكلة الأكبر والعقدة الأخطر تكمن فى بعض وسائل الإعلام فى بعض بلدان العالم الإسلامى التى تستورد التقنيات والبرامج والأشخاص، ومن ثم تحسب الشحم فيمن شحمه ورم، فتعيش على الورم والانتفاخ، وتظن أنه نمو وسمنة طبيعية فتسىء لنفسها فى استعمال هذه التقنيات فتتحول إلى وسائل طبيعية فتسىء لنفسها فى استعمال هذه التقنيات فتتحول إلى وسائل لهز الثوابت وتوهين القيم وكسر الموازين واغتيال مواثيق الأمة وأعرافها والاعتداء على حُرماتها وتقاليدها باسم حرية الرأى[٣٦].

فبدل أن تمارس وسائل الإعلام فى دول العالم الإسلامى رسالتها فى التحصين الثقافى والوعى الحضارى، وتقدم النماذج التى تبنى الشخصية وتحمل الرسالة، وتثير الاقتداء، وأداء التعامل مع الإعلام الغازى، وتشعر الأمة بالاستفزاز والتحدى الذى يجمع طاقاتها ويبصرها بطريقها ويساهم بصمودها، تحولت إلى وسائل هدم تساهم بتكسير أسلحة الأمة وإلغاء حدودها الفكرية والثقافية لتمكن لمرور «الآخر» وقد يتجاوز أكثر من ذلك حيث تصبح أداة «الآخر» فتبرز العمالة الإعلامية اليوم كحال العمالة الثقافية والسياسية والاقتصادية فى مراحل تطور الدولة التاريخى[٣٧].

هذه بعض الملامح التى عليها الإعلام الإسلامى ووسائل الإعلام فى بعض البلاد الإسلامية، فى الوقت الذى نرى فيه الإعلام العلمانى المعادى يفتح ذراعيه لكتاب ورموز العلمانية ليسودوا صفحات الصحف وغيرها من وسائل الإعلام بأفكارهم وآرائهم، إن متابعة دقيقة ونظرة متأنية لما يسمع فى الراديو ولما يشاهد على شاشة التليفزيون بصفة خاصة، يؤكد وجود موقف علمانى معاد لا ريب فيه، حيث طمس الهوية، وهدم القيم واختلال المعايير، وإصابة الشباب بما يُسمى الأنومى «Anomi» وتعنى افتقار المجتمع إلى القيم والمعايير الواضحة والضرورية لتحقيق درجة من التوافق المقنع مع هذا المجتمع، تجعلهم يسلكون السلوك الصحيح، أو أنهم يعيشون فى

مجتمع توجد فيه قيم ومعايير، ولكن هذه القيم والمعايير تتعارض مع بعضها البعض، فيصعب عليهم الوصول إلى الحكم الصحيح والتصرف السليم، ولا يشعرون بالانتماء إلى مجتمعهم، بل باللامبالاة والسلبية وعدم المشاركة فى حل مشكلات مجتمعهم، بل وربما التعالى على هذا المجتمع، والشعور بأن مجتمعهم عاجز عن تقديم خبرات ذات قيمة لهم[٣٨].

ومن هنا، فإن الإعلام الإسلامى عليه أن يخرج من حالته تلك وأن يكون على مستوى العصر الذى نعيشه، فيستخدم كافة وسائل الاتصال المتاحة بكل ما لحق بها من تقدم تقنى من أجل تبليغ رسالة الإسلام والتصدى لكل فكر منحرف يحاول النيل من هذه الرسالة الربانية العليا، والإعلام الإسلامى من أجل تحقيق هذه الغاية، مطالب بأن يلحق بركب العصر من كافة جوانبه العلمية التكنولوجية والبشرية والاقتصادية، وتسليح الإعلاميين الإسلاميين بالتوجهات السلمية والمعلومات الكافية والتربية والثقافة الإسلامية الصحيحة، وتمكينهم من أحدث تقنيات وسائل الاتصال مستخدمين كافة وسائل الجذب الإعلامى، ولا يجوز للإعلام الإسلامى أن ينسحب من الساحة، التى نعتبرها ساحة نزال لا بد أن يخوضها، فالانسحاب من الساحة الإعلامية الواسعة بما فيها من كل جديد من وسائل الاتصال بحجة أن استخدام التليفزيون أو الراديو أو أشرطة الفيديو كاسيت والراديو كاسيت أو أسطوانات الليزر أو المسرح أو السينما أو المعارض أو المتاحف أو غيرها يخرج بنا عن السلوك الإسلامى الصحيح، لا ينم عن فقه سديد أو فهم رشيد لأصول ومقاصد التشريع، إذ يمكننا استخدام كل ذلك دون الخروج عن الإطار الإسلامى القويم، ونحن نرى أن فكر وعقل الإنسان المسلم دائمًا قادر على الإبداع ويمكنه استيعاب كل جديد، وتسخير كافة إنجازات العصر لخدمة دينه والمسلمين دون أن يكون فى أى من كل ذلك خروج عن قواعد الدين الحنيف[٣٩].

ويستطيع الإعلام الإسلامى حينئذ أن يواجه باقتدار أصحاب المذاهب الفكرية المناوئة للإسلام بنفس أسلحتهم، فيكون قد أدى ما عليه من الإعداد المطلوب فى إطار قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٤٠].

رابعًا: نحو إستراتيجية للإعلام الإسلامى لمواجهة التيارات الفكرية المعاصرة:

إذا سلمنا بداية بأن هذه التيارات الفكرية المعاصرة معادية للإسلام، وأنها تمثل خطرًا جسيمًا على الدعوة الإسلامية والثقافية والحضارة والهوية الإسلامية فى آن واحد، يصبح أمر مقاومة هذه التيارات وكشف هذه المذاهب واجب على الإعلام الإسلامى، يتحتم عليه أداؤه والقيام به، إذ تمثل هذه المقاومة عنصر بقاء وضرورة حياة لهذا الإعلام، خاصة إذا تأكد لدينا أن هذه التيارات تهدد ثوابت الدين، وتبث سمومها فى أرجاء العالم الإسلامى، فيكون تركها تعبث بهويتنا وتوهن من عقيدتنا، خيانة للأمانة التى حملنا الله تعالى إياها وهى أمانة المرابطة والدعوة والبلاغ عن دين الله عز وجل مصداقًا لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[41].

ولكن هذه المواجهة من الإعلام الإسلامى لتلك التيارات ما لم تكن مدروسة بعمق ومخططًا لها بمنهاجية سليمة، فلن تستطيع الصمود فى مواجهة ما هو أقوى منها عدة، وأحكم خطة، وبذلك تفقد الفاعلية فى محو الأثر وإزالة الخطر، ولا شك أن هذا العمل النضالى الإعلامى يتطلب طول النفس وتضافر الجهود وإعداد الطاقات الإسلامية، فى إطار مخطط متكامل، ودراسة ميدانية علمية وعملية، وإن خطة المواجهة الإعلامية لا تؤتى ثمرتها المرجوة إلا بالكشف الدقيق عن خطة الفكر الغازى والتتبع الميدانى للمنهج الذى سلكوه بمهارة ودهاء ومكر شديدين حتى نسد الطريق أمامهم[42].

والتخطيط الإعلامى الإسلامى إنما يعنى، حشد كافة الطاقات الإعلامية البشرية والمادية وكافة المؤسسات الإعلامية الجماهيرية والشخصية، بدءًا من النشرات الصغيرة والملصقات والشعارات إلى المؤسسات الصحفية الكبرى، من الإذاعات المحلية الصغيرة إلى الشبكات الإذاعية والتليفزيونية الكبرى، إلى مختلف الفنون التى يتم إخضاعها لما يأمر به الإسلام دون الخروج على ما جاء فى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم، إلى الاتصالات الشخصية واتصالات قادة الرأى الإسلاميين والقيادات الشعبية والمحلية، ويدخل فى ذلك الكتاب والمسرح، والتخطيط، يعنى بالضرورة وضع خطة من أجل المستقبل بعد القيام بالدراسات والأبحاث اللازمة قبل

البدء فى التنفيذ، وأن ننطلق من مفهوم إسلامى، وهدفنا الأسمى خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة ديار الإسلام(٤٣).

والتخطيط الإعلامى الإسلامى بهذا المعنى الذى نرجوه، هو التخطيط الذى ينبثق من إستراتيجية ثابتة ممثلة فى صدق الدعوة الإسلامية، وفى توفير العناصر البشرية من الإعلاميين أو الدعاة الإسلاميين، وإعداد الوسائل والرسائل، وتحديد الأولويات ووضع خطط التحرك الإعلامى من أجل مواجهة الأخطار المختلفة التى تواجهنا، ومن أجل الدعوة ذاتها، من حيث عرض الإسلام ذاته والدعوة إليه والدفاع عنه والتصدى للحملات المعادية له(٤٤).

ويرى أحد خبراء الإعلام الأمريكيين أن التخطيط للقيام بأى عمل إعلامى يتطلب:

١ـ نظرة باحثة إلى الخلف لتحديد العوامل المؤدية إلى الموقف المطروح.

٢ـ نظرة متعمقة إلى الداخل للتعرف على الحقائق والآراء التى يجب أخذها فى الاعتبار على ضوء أهداف المؤسسة الإعلامية.

٣ـ نظرة واسعة إلى الظروف المحيطة بالمؤسسة لدراسة المواقف المشابهة فى المؤسسات الأخرى والإفادة منها.

٤ـ نظرة طويلة جدًّا إلى الأمام حتى يمكن تحديد الأهداف ووضع البرامج المطلوب تنفيذها لتحقيق هذه الأهداف.

ولقد حدد الخبير الأمريكى مجموعة من العوامل لنجاح أية خطة إعلامية تتمثل فيما يلى:

١ـ دراسة دقيقة لجميع عناصر المشكلة بحيث تتضح العوامل التى أدت إلى الموقف المطروح.

٢ـ تحديد الموارد المتاحة لمواجهة احتياجات الخطة وحجم هذه الموارد ومصادرها.

٣ـ قبول مسئولية العمل مهما كان حجمها، والالتزام بالوقت والنفقات التى يتطلبها.

٤ـ أن يتوافر لتنفيذ الخطة عدد كافٍ من المتخصص الأكفاء فى المجالات المطلوبة.

٥ـ أن تكون هناك رغبة وعاطفة قوية لدى جميع المشتركين فى الخطة لتنفيذها على الوجه الأكمل.

٦ـ القدرة على التعلم من الأخطاء والاستفادة من الإخفاق لتحقيق النجاح[٤٥].

ولقد تميز النصف الثانى من القرن العشرين بالأخذ بالتخطيط الوقائى Preventive Planning، وذلك فى عدد من المؤسسات الإعلامية، التى أصبحت تستعين به فى أنشطتها المختلفة، أما التخطيط العلاجى Remedial Planning الذى يتصف بالسرعة والحزم، فإنه يختلف باختلاف طبيعة عمل المؤسسة وأنواع الأخطار التى يحتمل حدوثها فى أى وقت، وهذا يتطلب إعداد خطة علمية محددة لمواجهة الأزمات عندما تحدث، وإذا تطلب الأمر إضافة بعض اللمسات الإضافية تبعًا للموقف الذى يحدث، فسوف يصبح من اليسر وضع هذه اللمسات وتنفيذ الخطة بسرعة ودقة، دون أن تتعرض المؤسسة الإعلامية للارتباك، وإذا استعرضنا التاريخ المعاصر، وقمنا بتحليل موضوعى للهزائم والنكسات التى أصابت أمة العرب والإسلام، سوف يتأكد لنا أن غياب التخطيط العلمى كان وراء كل المصائب التى حاقت بها، وتسببت فى تخريب البلاد وإفساد العباد[٤٦].

ومن ثم فإنه إذا تم وضع خطة علمية سليمة، وإعداد حملات إعلامية متكاملة الأبعاد ومتناسقة التخطيط، تخاطب عقل الإنسان، فإن إستراتيجية الدعوى والإعلام الإسلامى ستتمكن من تشكيل رأى عام عالمى مناصر للإسلام ومؤيد له، وتخلق وعيًا عامًّا لدى المتلقى المسلم يصونه من الوقوع فى براثن الأفكار الضالة والدعوات والمذاهب والفلسفات المنحرفة البعيدة عن منهج الإسلام، وهذه العملية فى حاجة إلى إعادة نظر فى كل ما يكتب أو يذاع عن الإسلام والمسلمين، وإعداد الردود المناسبة، وتوضيح الحقائق أو تصحيحها أو تعديلها، وهذا يتطلب ترجمة الإصدارات المتميزة من المطبوعات الدولية والبرامج والفقرات التى تتناول الإسلام بصورة موضعية وأمنية، وإعداد الأعمال الجيدة لتكون جاهزة لكل الناس فى كل مكان بمختلف اللغات؛ لأن كثيرًا من الناس لا يعرفون عن الإسلام سوى اسم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يعرفون عن القرآن شيئًا ولا عن النظام الإسلامى سوى معلومات محدودة أو مشوهة أو غير صحيحة[٤٧].

ولاشك أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب التوسع فى إقامة أجهزة دولية قوية للإعلام الإسلامى، تأخذ على عاتقها وضع الخطط، وإعداد البرامج، وتهيئة المناخ الصحى لتنفيذها ومتابعتها فى مختلف المراحل لجذب اهتمام الجمهور وكسب تأييده والحصول على تعاطف الرأى العام، وإنشاء جسور من الثقة والتعاون المتبادل بينه وبين مختلف المؤسسات والقوى الضاغطة فى مختلف المجتمعات، وبينه وبين مختلف الأمم والشعوب، لا سيما أن كافة الظروف الدولية مهيأة الآن لتمكين هذه الأجهزة وإعطائها الفرصة لممارسة دورها بنجاح وفاعلية، فإذا توفرت الرغبة الأكيدة، والنوايا الصادقة، والاستعداد الفعلى لتصحيح الصورة، وبسط وجهة النظر الإسلامية فى القضايا المعاصرة؛ ولذلك فإن أجهزة الإعلام الإسلامى يمكن أن تنطلق لتوظيف الإمكانات المتاحة من خلال نظام دقيق لعرض ما لديها بلباقة وذكاء، لقرع الآذان، وتفتيح الأعين، لعرض الصورة الصادقة والأمنية لرسالة الإسلام ولبيان مدى الزيف الذى عليه الأفكار المعادية والمذاهب الضالة عن الدين الحنيف[٤٨].

ويحدد الدكتور «إبراهيم إمام» مراحل التخطيط الإعلامى لمواجهة أى ظاهرة أو مشكلة فيقول: والركيزة التى يعتمد عليها التخطيط الإعلامى هى المعلومات والبحوث التى تنير الطريق، وتبدد الظلام، وعن طريق البحوث الدقيقة والمعلومات الصحيحة يمكن تحديد الأهداف، ثم أتى دور وضع الخطة العامة أو المنهج أو الإستراتيجية التى تُتبع لبلوغ هذه الأهداف، ومن الطبيعى أن تترجم الخطة العامة إلى برامج تنفيذية وتكتيكات عملية للاتصال بالجماهير، وأخيرًا يأتى دور التقويم لمعرفة مدى النجاح أو القصور فى تنفيذ الخطة وتحقيق الأهداف المنشودة، يضاف إلى ذلك كله، ضرورة تنسيق الخطة الإعلامية مع سائر الخطط الأخرى، لكى تكون فيما بينها خطة شاملة متكاملة[٤٩].

فالمرحلة الأولى فى عملية التخطيط الإعلامى، تتمثل فى جمع المعلومات وإجراء البحوث القبلية؛ وذلك لأن البرامج الإعلامية الناجحة لا تبنى على الحدس والتخمين، وإنما تبنى على الحقائق والمعلومات التى تؤكدها التحريات، فينبغى أن نكون على بينة من الجمهور الذى نتصل به، فالدراسة الجادة للجمهور المستهدف قد توضح لنا أن قنوات الاتصال التى نستخدمها ليست مناسبة له، وبالتالى فيجب علينا حينئذ أن نستبدلها بالقنوات المناسبة[٥٠].

والمرحلة الثانية تتمثل فى تحديد الأهداف، التى منها الثابت ومنها المرن المتطور ومعلوم أن لكل دعوة ناجحة هدف، وتتمايز الدعوات فى نسبة النجاح علوًّا وانخفاضًا تبعًا لأصالة الهدف وصلته بالمدعوين أنفسهم، وإذا بحثنا بعض الدعوات التى لم يكتب لها النجاح، نجد أن السبب الرئيسى لفشلها: إما لعدم وجود هدف حقيقى لها، وإما لأن الأهداف التى يتوخاها أصحابها تمركزت حول أشخاصهم ومنافعهم، أما المدعوون فكانوا فى نظرهم آلات حاولوا استخدامها للوصول إلى أغراضهم ومطامعهم، والدارس لرسالات الأنبياء جميعًا، وهم خير الدعاة فى هذا الوجود، تبرز أمامه حقيقة ناصعة، تلك هى وضوح الهدف وتحديد الغاية، وتؤازرها حقيقة أخرى، لا تقل عنها وضوحًا، وهى أن الهدف لا يتعلق بشخص الرسول فى كثيرٍ أو قليلٍ وإنما المنفعة كلها فى قبول الدعوة، تعود على المدعوين وتحقق لهم السعادة، عن طريق تثبيت إنسانيتهم وتوثيق العلاقة بينهم وبين خالقهم واستخدام ما وهبهم الله من نعمة العقل والإدراك فى المجال الذى طلب إليهم أن يستخدموا هذه النعمة فيه(٥١).

وتأتى المرحلة الثالثة، التى تتضمن وضع الإستراتيجية أو الخطة الإعلامية ويمكن أن تتمثل فى النقاط العشر التالية:

١ـ تحويل الأهداف إلى مضامين للرسالة الإعلامية ومحتويات لها، بما يتمشى مع الجمهور المستهدف.

٢ـ تحديد مجالات التنفيذ، سواء أكانت الصحافة المكتوبة أو الإذاعة المرئية أو المسموعة.

٣ـ تحديد أساليب التنفيذ سواء أكانت أخبارًا أو مقالات أو صورًا.. إلخ.

٤ـ تحديد توقيت التنفيذ، بمعنى الأخذ فى الاعتبار، مثلًا ساعات الذروة فى التليفزيون.

٥ـ تحديد تتابع وتوافق التنفيذ يعنى الاستمرارية والتنسيق.

٦ـ تحديد مستقبل الرسالة الإعلامية، الجمهور من حيث تباينه وتنوعه.

٧ـ تحديد المتطلبات المادية والبشرية، حتى لا يكون هناك مفاجآت عند التنفيذ.

٨ـ تحديد مسئولية التنفيذ.

٩ـ تحديد مسئولية المتابعة.

١٠ـ تحديد الفاعلية، ومدى التأثير فى الجمهور المستهدف[٥٢].

أما المرحلة الرابعة من مراحل التخطيط الإعلامى، فتتمثل فى أن تترجم الخطة العامة إلى برامج تنفيذية وتكتيكات عملية للاتصال بالجماهير، تشتمل على فنون الدعاية الناجحة والشائعات المؤثرة والاتصال الشخصى المباشر الذى يعتبر من أقوى الوسائل الفعالة فى الدعوة والإعلام، ومهما كان التكتيك المستخدم، فلا بد من افتراض أن الإنسان كائن له عقله وكرامته التى لا يجوز الاعتداء عليها، وله قيمه التى لا يقبل الاستهانة بها أو التحقير من شأنها، وكل محاولة لفرض قيم معينة على مجتمع آخر، لا بد وأن تصطدم بأشد العقبات، وكثيرًا ما تبوء بالفشل[٥٣].

وتأتى المرحلة الخامسة والأخيرة من مراحل التخطيط الإعلامى، وهى طور التقويم، لِما تم إنجازه من أهداف الخطة، واستكشاف الإيجابيات والسلبيات التى نجمت أثناء التنفيذ، ووضع النقاط على الحروف لدعم الإيجابيات وتلافى السلبيات للاستفادة منها فى المراحل اللاحقة، وتقدير المقترحات التى تعالج مختلف جوانب الخلل ودفع عجلة العمل وتحقيق استمرارية النشاط والأداء المتميز[٥٤].

وتأسيسًا على ما سبق ذكره، يمكن للإعلام الإسلامى من خلال رسم خطة إعلامية، يتبناها قد تكون هذه الخطة طويلة أو متوسطة أو قصيرة المدى، تتناسب مع كل بيئة وفترة زمنية حسب ظروفها، وقد بين الباحث المراحل والخطوات التى يمكن الاهتداء بها والسير عليها[٥٥].

ولا يزعم الباحث أن ما سجله فى هذه الدراسة، لا يجوز الحذف منه أو الإضافة إليه، بل هى وجهة نظر، اجتهد قدر وسعه فى رصدها وتسجيلها علّ فيها ما يفيد إعلامنا الإسلامى فى الحاضر أو المستقبل فى كيفية مواجهته للتيارات الفكرية المناوئة للإسلام والمعادية للمسلمين، ليصل إلى حماية الهوية الإسلامية من التشويه والطمس، وليكشف عن مدى السخف العقدى والضلال والانحراف الفكرى الذى تحمله هذه التيارات بين طياتها، وليحدد معالم الطريق أمام المسلمين حتى لا ينخدعوا بشعارات الغزو الفكرى الخبيثة الماكرة، والحقيقة أن مواجهة الغزو الثقافى لن يكتب لها النجاح إلا من خلال تحصين الجماهير المسلمة ضد هذا الغزو، وإصلاح أجهزة الإعلام فى

العالم الإسلامى، لتكون فى الوضع الذى يمكنها من الوقوف فى مواجهة عمليات الإبهار والجذب الشديدين الذى تمارسه قنوات البث الفضائية الأجنبية بكل ما تملك من تقنيات عالية وتكنولوجيا متقدمة، وذلك كله من خلال خطة وإستراتيجية إعلامية محكمة قابلة للتنفيذ، وهذا كله لن يُجدى إلا إذا توفر لدينا عنصر الإخلاص والصدق لخدمة ديننا وأوطاننا وشعوبنا.

التوصيات

ويرى الباحث فى ختام هذه الدراسة أن يعرض بعض التوصيات والمقترحات، التى يمكن أن تسهم فى تدعيم أداء الإعلام الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة وتتمثل هذه التوصيات فى النقاط التالية:

١ــ على الإعلام الإسلامى أن يسعى إلى إثبات الوجود الحقيقى للإسلام والمسلمين، كما هو بصورته المثلى وبيان قدرة الإسلام الفذة على إنقاذ البشرية من ارتكاساتها المتردية.

٢ـ الخروج عن حالة رد الفعل إلى حالة الفعل، واكتساب صفة المبادأة، حتى لا يترك الإنسان المسلم فريسة للأفكار والثقافات الضالة أن تفتك به من غير أن تكون لديه الحصانة الثقافية التى تحميه عند التعرض للغزو.

٣ـ إعداد فريق من الإعلاميين والمختصين لمتابعة كل ما ينشر عن الإسلام والمسلمين فى وسائل الإعلام المحلية والأجنبية، ورصده والعمل على كشفه أو تقديمه لأهل العلم لبيان ما فيه من أخطار وأضرار.

٤ـ على الإعلام الإسلامى أن يسعى بصفة دائمة نحو الحصول على المعلومات عن الآخر على النحو الذى يمكنه من فهمه ومتابعة سيره وعمله وهذه المعلومات ينبغى أن تكون شاملة سياسية، اجتماعية، عسكرية، ثقافية، اقتصادية،... إلخ.

٥ـ يجب على الإعلام الإسلامى أن يتخلى كلية عن الارتجالية والعشوائية ويتحلى بالقدرة على الإعداد والتحضير والتخطيط العلمى السليم.

٦ـ على الإعلام الإسلامى أن يعمل جاهدًا فى الدعوة إلى أسلمة الحياة فى كل جوانبها داخل البلاد التى تنتمى إلى الإسلام.

٧ـ على الإعلام الإسلامى أن يكشف للرأى العام المسلم رموز ورءوس العلمانية والتغريب الماسخ والغزو الفكرى الماكر وذلك فى الداخل والخارج.

٨ـ على أجهزة الإعلام الإسلامى المحلية والدولية أن تعمل جاهدة للتكامل فيما بينها بما يحقق لها الانسجام والتوافق التام.

٩ـ أن يسعى الإعلام الإسلامى لتحفيز وإطلاق أيدى الهيئات والمؤسسات والقوى الشعبية والأهلية، للوقوف يدًا واحدة للعمل بما يخدم مصالح الدين والوطن ويحمى شباب الأمة من الانحراف الفكرى أو من الانحلال الخلقى.

١٠ـ أن يحذر الإعلام الإسلامى من الوقوع فى براثن الهيمنة الإعلامية أو التبعية الثقافية، وفى الوقت نفسه عليه أن يأخذ بكل معطيات العصر ومنجزاته فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

هوامش ومراجع الفصل السادس

١) حسن العوادات، كيف يمكن أن نجعل القنوات الفضائية العربية أداة للتعريف بالثقافة العربية الإسلامية، المجلة العربية للثقافة، العدد (٣٣) السنة (١٦) سبتمبر ١٩٩٧، صـ٢٦.

٢) جمعة على الخولى، دور الصحافة الإسلامية فى العصر الحديث، مجلة «الأمة» القطرية، العدد (٤) السنة الأولى، صـ٥٩.

٣) راجع على سبيل المثال: حمدى حسن، التزامن الثقافى بين الإعلان الدولى وتكنولوجيا الاتصال، دراسة فى الاستقلال الثقافى، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد الخامس، ١٩٨٧، صـ١٨٧.

4) http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=0a673b680196e4a3

http://forums.saudistocks.com/t288637.html

٥) راجع التفاصيل كاملة حول ماهية الإعلام الإسلامى وحقيقته وأهدافه: إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامى، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، صـ٣١ وما بعدها، وأيضًا: إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامى، المرحلة الشفهية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، صـ٥ وما بعدها.

٦) محيى الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، صـ١٤٠.

٧) محمد سيد محمد، المسئولية الإعلامية فى الإسلام مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، صـ٣٦ وما بعدها، ويلاحظ أن المؤلف بعد أن ذكر أن الإعلام الإسلامى هو الإعلام العام طالما أنه يصدر عن دولة مسلمة، رجع عن هذا القول وأشار إلى أن الظروف المعاصرة تحتم علينا أن نصور الإعلام الإسلامى بأنه: صورة من صور الإعلام المتخصص وهو الإعلام الدينى!!

٨) محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، صـ٦٢.

٩) راجع: شعيب الغباشى، التحرير الصحفى فى صحافة الإخوان المسلمين، دراسة تحليلية، فى الفترة من يونيو ١٩٣٣م وحتى أغسطس ١٩٥٤م، أطروحة دكتوراه، قسم الصحافة والإعلام ـ كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة ١٩٩٦، غير منشورة، صـ٣٩٠، وأيضًا: أحمد عبد الرحيم السايح، فى الغزو الفكرى، كتاب الأمة، العدد (٣٨) سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى الخاصة بمصر ١٩٩٤، صـ٧٢.

١٠) محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، كتاب الأمة، العدد (٥)

سلسلة شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، صـ١٨.

١١) راجع: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياضى، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، صـ ١٥٧.

١٢) أنور الجندى، أهداف التغريب فى العالم الإسلامى، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، صـ١٣.

١٣) أحمد سويلم العمرى، معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، صـ١٤٧ ـ ١٤٨.

١٤) محمد عبد الله الخطيب، فوق أطلال الماركسية والإلحاد، دار المنار الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، صـ٢٨.

١٥) سمير حسين، مناهج البحث العلمى، بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب، طبعة شعبان ١٤٢٧هـ، سبتمبر ٢٠٠٦م، ص ١٢٣ وما بعدها.

١٦) محمد عبد الحميد، البحث العلمى فى الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ص ٣٠٢ وما بعدها.

١٧) البعض يتصور أن أى حديث عن أعداء للأمة المسلمة، ضرب من التهارج ونوع من الخبال ولون من السفسطة وصرف للجهود فى غير طائل والحقيقة التى لا محيص عنها ولا مفر منها، أن ثمة أعداء للأمة لا نحصى لهم عددًا يتآمرون ضد مصالح وحضارة هذه الأمة، وهذه حقيقة.يعلمها علم اليقين كل من له صلة بالقرآن الكريم، الذى ذكر هذه الحقيقة فى أكثر من موضع كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ...﴾ [الممتحنة ـ الآية (١)]

١٨) أحمد عبد الرحيم السايح، الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى، كتيب ملحق لمجلة الأزهر، القاهرة، عدد جمادى الأولى، ١٤١٤هـ، صـ٣، ٤.

١٩) إبراهيم النعمة، كلام فى الغزو الفكرى، مجلة «الأمة» القطرية، العدد (١٣) السنة الثانية، نوفمبر ١٩٨١، صـ٧٤، ٧٥.

٢٠) جمعة على الخولى، دور الصحافة الإسلامية فى العصر الحديث، مجلة «الأمة» مرجع سابق، صـ٥٩.

٢١) راجع التفاصيل: عبد الحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩، صـ١٥٩.

٢٢) عبد الحليم محمود، المرجع السابق، صـ٦٠.

٢٣) راجع بالتفصيل مراحل الغزو الفكرى فى: عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧، صـ٣١ وما بعدها، حيث يشير على أن الغزو الفكرى فى ديار الإسلام مر بمرحلتين أساسيتين تبعتها النتيجة الطبيعية لكل غزو

متقن الأساليب، المرحلة الأولى أطلق عليها مرحلة الانحلال: وهذه مرحلة تمهيدية، قصد بها تجهيز الفريسة ليسهل الانقضاض التام عليها، والاستيلاء الكلى على مقدراتها.
المرحلة الثانية أطلق عليها مرحلة الاحتلال: أى تلك الأحقاب النكدة التى كان للكفار الأجانب فيها وجود عسكرى ثابت على أرض الأمم المسلمة، وما يتبعه من وجود جالياتهم ورعاياهم وتفردهم بالنفوذ والسلطان.

٢٤) عبد القادر طاش، الغزو الثقافى الصورة الجديدة للاستعمار، مجلة «الأمة» القطرية، العدد (١٠) السنة الأولى، أغسطس ١٩٨١، صـ٣٠، ٣٢.

٢٥) حمدى حسن، التزامن الثقافى، مرجع سابق، صـ١٩٠، ١٩١.

٢٦) حلمى محمد القاعود، ثقافة التبعية، المنهج ـ الخصائص ـ التطبيقات، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، صـ٢٥.

٢٧) محمد عمارة، الهوية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة مجلة «الهلال» القاهرة، مايو ١٩٩٧، صـ٣٣.

٢٨) محمد عمارة، الهوية الثقافية...، المرجع السابق، صـ٣٤.

٢٩) محيى الدين صابر، الأمن الثقافى، مفهومه ومقوماته ومتطلباته ووسائله، المجلة العربية للثقافة، العدد (٥) السنة الثانية، سبتمبر ١٩٨٣، صـ١٥، ١٦.

٣٠) حلمى محمد القاعود، ثقافة التبعية، مرجع سابق، صـ٩.

٣١) محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة؟، قضايا إسلامية معاصرة، تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، صـ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

٣٢) أحمد مختار أمبو، الاتصال فى خدمة البشر، مجلة «رسالة اليونسكو» العدد (٢٦٢) مارس ١٩٨٣، نقلًا عن: عبد المجيد شكرى، دور الإعلام فى مواجهة العلمانية المعادية، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، صـ٤١.

٣٣) راجع: سامى الكومى، الصحافة الإسلامية فى مصر فى القرن التاسع عشر، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، صـ٨٠، ٨١.

٣٤) سامى الكومى، الصحافة الإسلامية، المرجع السابق، صـ١٩٩.

٣٥) أنور الجندى، تاريخ الصحافة الإسلامية، جـ١، دارة الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، صـ١١٥.

٣٦) راجع: عمر عبيد حسنة فى تقديمه لـ: محيى الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية، كتاب الأمة، العدد (٦٤) سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤١٩هـ، السنة (١٨)، صـ٢١.

٣٧) عمر عبيد حسنة، السابق نفسه، صـ٢٢.

٣٨) عبد المجيد شكرى، دور الإعلام فى مواجهة العلمانية المعادية، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، صـ٤٩ وما بعدها.

٣٩) عبد المجيد شكرى، المرجع السابق نفسه، صـ٦٠، ٦١.

٤٠) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

٤١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

٤٢) فاروق عبد الرحمن مراد، طرق إحكام الرقابة على وسائل الغزو الفكرى والخلقى، جـ١، موضوعات الدورة التدريبية السابقة، المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، صـ١٤.

٤٣) عبد المجيد شكرى، دور الإعلام فى مواجهة الغلمانية المعادية، مرجع سابق، صـ٦٠.

٤٤) عبد المجيد شكرى، السابق نفسه، صـ٦١.

٤٥) راجع التفاصيل: على عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، صـ١٠٦ وما بعدها.

٤٦) محيى الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية، مرجع سابق، صـ١٥٧.

٤٧) محيى الدين عبد الحليم، السابق نفسه، صـ١٥٨.

٤٨) محيى الدين عبد الحليم، السابق نفسه، صـ١٥٩.

٤٩) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩، صـ٣٢٦.

٥٠) إبراهيم إمام، السابق نفسه، صـ٣٥٢.

٥١) أحمد إبراهيم مهنا، الإنسان فى القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١، صـ٢١٩.

٥٢) محمد على العوينى، الإعلام الإسلامى الدولى بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، صـ٢٥٢ وما بعدها.

٥٣) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مرجع سابق، صـ٣٣٦، ٣٤٨.

٥٤) محيى الدين عبد الحليم، الإعلام عن الإسلام فى غير ديار الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، صـ١٤.

٥٥) راجع بالتفصيل عددًا من مشروعات لخطط إعلامية فى: محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام، مرجع سابق، صـ١٥٦ ـ ١٩٠.

الخطاب الإعلامى الموجه للشباب العربى

مقدمة:

لا يخفى على أحد ما للإعلام فى وقتنا الراهن من تأثير طاغ على الأفراد والجماعات وعلى الهيئات والمجتمعات وعلى الدول والحكومات، إذ أصبح الإعلام هو الأساس للثورات والفاعل الرئيس فى الحكومات ولا ينكر تأثير الإعلام أحد على وجه الأرض، فالإنفاق قائم ومعقود بين الجميع على عظم تأثيره وخطره ولكن الاختلاف يمكن أن يكون فى شكل هذا التأثير أو مستواه أو نوعه.

ولقد تعددت لغة الخطاب الإعلامى وتنوعت أساليبه وآلياته وأصبحنا نعيش وسط أجواء تموج وتمور بالعديد من الوسائط الاتصالية والوسائل الإعلامية المختلفة بدأ من الإشكال والوسائل القديمة التقليدية كالصحافة والإذاعة والتلفاز وانتهاء بمواقع التواصل الاجتماعى على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت ومرورًا بالقنوات الفضائية والهواتف النقالة وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة.

وإذا كانت قد اجتمعت كلمة الباحثين على حتمية تعرض جميع شرائح المجتمع - أى مجتمع - لوسائل الإعلام المختلفة وتأثرهم بما يقدم لهم أو يعرض عليهم عبر تلك الوسائل وخاصة شريحة الأطفال الذين يكون تأثرهم بالغًا وخطيرًا بما يتلقونه من الإعلام وخاصة التلفاز، لما لهم من طبيعة تجعلهم متلقين أكثر منهم مقاومين أو معترضين على ما يقدم لهم، وإذا كان الشأن كذلك بالنسبة للأطفال فإن فئة الشباب كما أثبتت الدراسات والبحوث العلمية من أكثر فئات المجتمع تعرضًا لوسائل الإعلام وتعاطيًا لها وتأثرًا بها وخاصة وسائل الإعلام الجديد الذى يلبى الكثير من احتياجات الشباب من حيث إثبات الذات والتواصل والتعارف من الآخرين، ولهذا كان من الضرورى الوقوف على طبيعة الخطاب الإعلامى الموجه للشباب من حيث آلياته وأساليبه ومن ثم تأتى هذه الدراسة التى نحن بصددها وتحمل هذا العنوان، لتشتمل على أربعة محاور أساسية:

أولًا: مفهوم الخطاب الإعلامى.

ثانيًا: أهمية مرحلة الشباب واحتياجاتهم.

ثالثًا: تأثير وسائل الإعلام على الشباب.

رابعًا: الأساليب الإعلامية المستخدمة فى مخاطبة الشباب.

أولاً: مفهوم الخطاب الإعلامى:

يعرف الخطاب الإعلامى لغة بأنه مراجعة الكلام، وهو الكلام والرسالة، وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه ويقتضيه الجواب، وهو مقطع كلامى يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه.

(أو المستمع أو المشاهد أو القارئ) ويكتب رسالة ويفهمها الآخر بناء على نظام لغوى مشترك بينهم، وبذلك يكون المعنى الذى توصلنا إليه المعاجم متمثلًا فى «الحوار» الذى يرتبط بدوره بوجود ثلاثة عناصر: المرسل، المستقبل، الرسالة(١).

والخطاب من حيث الاصطلاح له مفهومان:

المفهوم الأول أصيل، ثابت، بسيط، غير مركب، عرفته العرب وورد فى القرآن الكريم، وفى حديث الرسول ﷺ وفى المعاجم الغوية الأولى.

أما المفهوم الثانى، فإنه معاصر وذو طبيعة تركيبية يتعدى بها الدلالة اللغوية، إلى الدلالة الفلسفية، والدلالة السياسية، والدلالة الإعلامية، وتتضح الفروق بين الدلالات حسب السياقات التى تورد خاطبه، وعلى مستوى المفهوم اللغوى: جاء فى لسان العرب الخاطب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخاطبًا وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضدهُ والخطاب كما ورد فى كتاب الكليات هو: الكلام الذى يُقصد به إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذى لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يُسمى خطابًا أما على مستوى المفهوم القرآنى فقد تعدد فى القرآن الكريم لفظ «خطب» تسع مرات وورد بصيغة «خطاب» ثلاث مرات فى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ وفى قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ كما وردت هذه الصيغة فى قول الله عز وجل: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ وفى معجم ألفاظ

القرآن الكريم، خاطبه مخاطبة وخطابًا، تكلم معه، والخطب: الشأن الذى تقع فيه المخاطبة ونلاحظ فى سياق ورود لفظ (خطاب) فى الآيات القرآنية الثلاث، أن الخطاب يقرن دائمًا بالعزة، وشدة البأس، وبالحكمة، وبالعظمة والجلال لله تبارك وتعالى، وهناك مجال فسيح للتأمل والاستبصار والتدقيق فى اكتناه المعنى العميق للفظ (خطاب) مما يخرج به عن المفهوم اللغوى بحسبانه مراجعة للكلام، أو الكلام الذى يقصد به الإفهام، ويرتقى به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعانى سامية تتفاوت بين العزة ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ والحكمة ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ والعظمة الربانية والجلال الإلهى ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ويتلاقى المفهومان اللغوى والقرآنى فى التأكيد على الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن (فصل الخطاب) لا يتم على الوجه الأفضل، إلا إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق[٢].

ولقد ظهرت فى مطلع الثمانينات مدارس تحليل الخطاب التى انتشرت وأصبح لها وجود وتأثير ملحوظ فى الدراسات الأجنبية والعربية، ومع ذلك فإن هناك غموضًا وعدم اتفاق بين هذه المدارس حول مفهوم الخطاب الإعلامى ومكوناته، وبغض النظر عن هذه الاختلافات فإنه يجب التسليم بأن الخطاب الإعلامى ممارسة اجتماعية متغيرة، ويتعرض دائمًا للتغير والتطور، لكن الأمر الأكثر أهمية هو أن نفهم أن الخطاب الإعلامى ليس شيئًا واحدًا بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة أو المتعاونة، كما أن هناك تداخلًا أو تعايشًا بين أكثر من خطاب.

وتعكس هذه الخطابات المتداخلة حقائق اجتماعية ومصالح متعارضة ومع ذلك فقد يحدث استعراض فى المفاهيم والأطروحات فى إطار محاولة كل خطاب أن يواكب الواقع ويحظى بقدر أكبر من التأثير الاجتماعى، وعلى سبيل المثال قد يتبنى الخطاب الإعلامى لحكومة ما بعض المقولات أو المفاهيم لحزب معارض ويدمجه فى إطار بنيته الخطابية، بهدف التأثير فى الجمهور وحرمان المعارضة احتكار هذا التأثير. كما أن خطابات أحزاب اليمين قد تتبنى بعض مقولات أو مفاهيم خطابات أحزاب من أقصى اليسار، أو العكس، مثل هذه التداخلات الخطابية والتى يجدها الباحث على المستوى النظرى بين مدارس واتجاهات تحليل الخطاب المختلف، إذ برز فى السنوات الأخيرة تيار بين العلماء والباحثين يدعو إلى التأليف بين مدارس تحليل الخطاب أو

استعارة بعض المفاهيم التحليلية واستخدامها أو إعادة تعريفها أو استخدامها فى سياقات جديدة، لكن ما زال عدم الاتفاق هو الوضع المسيطر على المشهد العلمى لتحليل الخطاب الإعلامى، ويبدو أن غياب الاتفاق بين مدارس تحليل الخطاب يرجع إلى اختلاف وتباين تخصصات ومجالات الدراسة والمنطلقات الفكرية والمعرفية للمنتمين لهذه المدارس، أو ربما أصبح الاختلاف وعدم الاتفاق أحد مظاهر عصر ما بعد البنيوية أو عصر ما بعد الحداثة الذى نعيشه من جانب آخر فإن منهج تحليل الخطاب يمنح الخطاب الإعلامى أهمية خاصة، وفى الوقت نفسه يراعى خصوصيته من زاوية تتعدد أشكاله ومضامينه سواء كان مكتوبًا أو مذاعًا أومرئيًّا بالإضافة إلى علاقة الجدلية بالمجتمع، فهو لا يعكس الواقع أو علاقات القوة والهيمنة فى المجتمع فقط وإنما يساهم فى بنائها عبر عمليات لإدراك الواقع، وتحديد الهويات الاجتماعية، وتكوين الخطاب، واختيار المفردات وكذلك عمليات التناص بين الخطابات والتفاوض بينهما لا سيما التفاوض بين منتج الخطاب والجمهور الذى يستقبله، كما يلعب الخطاب الإعلامى دورًا مؤثرًا فى بناء العلاقات الاجتماعية وتحديد الهويات الاجتماعية والثقافية، فهو عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التى يعيشها(٣).

ويرى بعض الباحثين أن الاتصال هو أساس كل تفاعل إعلامى ثقافى حيث يتيح نقل المعارف والمعلومات، وييسر التفاهم بين الأفراد والجماعات، ومن هنا كان الاتصال فى مفهومهم نشاطًا يستهدف تحقيق انتشار أو ذيوع معلومات أو أفكار أو آراء بين أفراد أو جماعات، باستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين، ولا يتحقق الانتشار المطلوب إلا إذا تم الاتصال عن طريق بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة ومفهومة من قبل جميع المشتركين فى العملية الاتصالية، فعملية الاتصال لا تتحقق بطريقة مبسطة؛ لأنها تتطلب العديد من الخطوات العقلية مثل التفكير والتذكر والتخيل واختيار الطريقة التى سيتم بها الاتصال واختيار الألفاظ والوقت والتقمص الوجدانى (أى) قدرة الإنسان على تخيل نفسه مكان الآخر، لذلك فإنه لا بد من توافر التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل وهذا يعنى وجود معانٍ وخبرات مشتركة بين المرسل والمستقبل، وكلما كان المرسل

والمستقبل متفاهمان فى إطار دلالى واحد كان ذلك أقرب ما يكون إلى الفهم ويمكن القول: إنه عند إرسال الرسالة الإعلامية هناك احتمال كبير فى أن يفهم المستقبل (أ) رسالة المرسل فهمًا تامًّا، ولكن المستقبل (ب) لن يتمكن من فهم الرسالة بشكل تام؛ لأنه لا يجمعه بالمرسل إطار دلالى واحد، وربما يعود ذلك لعدم إجادة هذا المستقبل لغة المرسل، وهذا الانقطاع يمثل ما يُسمى بالتشويش الدلالى، والذى يعنى عدم وجود معانٍ وخبرات مشتركة بين المرسل والمستقبل أو هما لا يشتركان فيها أبدًا، أما المستقبل (ج) فلا يشترك مع المرسل فى الإطار الدلالى (فهو خارج الإطار الدلالى تمامًا) لذا لن يفهم الرسالة الموجهة من المرسل وقد يرجع ذلك لعدم معرفته بلغة المرسل، إن آلية الاتصال والاستقبال مرهونة بالمرسل والمستقبل فكلما كانت المرتكزات الأساسية بينهما مشتركة مثل الخبرات، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية والثقافية والجغرافية والتاريخية والوجدانية كانت عملية الاتصال أوضح وأسرع وأبعد عن التشويش، ويتحكم فى علو نسبة التشويش أو انخفاضها فى عملية الاستقبال «قالب الرسالة» إذ لا بد للمرسل أن يضع رسالته فى شكل معين أو صيغة محددة من الرموز والكلمات فإن كان المرسل ضعيفًا فى كتابته أو غير واثق من نفسه أو ليست لديه معلومات كافية عن موضعه، فإن ذلك يؤثر سلبًا على الاتصال، وكذلك تلعب الوسيلة التى تنقل الرسالة دورًا مهمًّا فى عملية الاتصال إذ لا بد أن تكون من القوة والمتانة والمرونة بحيث تصل الإشارات إلى المستقبل فى الوقت المناسب والمكان المناسب مهما حدث من تداخل أو تنافس مع الوسائل الأخرى، وأيضًا للمستقبل دوره - كما رأينا - فكلما كان كان قادرًا على فك رموز رسالة المرسل بالطريقة المطلوبة، ارتفعت نسبة نجاح العملية الاتصالية[٤].

ويمكن استخدام تحليل الخطاب فى مجالات البحوث الاجتماعية كافة وفى مقدمتها البحوث الإعلامية، فعملية تأصيل الخطاب الإعلامى وموقعه وتشكيلاته والتغيرات التى تصاحبه فى الممارسة ضرورة لفهم الخطاب الإعلامى وموقعه من اللغة الاتصالية كنظام عام، وقد تحول الخطاب الإعلامى فى عصرنا الراهن إلى خطاب رئيسى، وهو الخطاب السائد والشائع الذى يهدف إلى الإخبار والتأثير على المشاهدين والمستمعين والقراء[٥].

ثانيًا : أهمية وخطورة مرحلة الشباب

الشباب فى كل أمة من الأمم، هم عماد نهضتها وقيام دولتها وأمل مستقبلها، لهذا نرى كافة الدول تعتنى بشبابها عناية خاصة، فتوفر لهم الإمكانات وتخصص لهم الأندية وأماكن التجمعات وتنفق على تعليمهم وإعدادهم الكثير من الأموال، لأن الأمة التى تمتلك شبابًا ولا توليه الاهتمام المستحق أمة تكتب شهادة وفاتها بنفسها، ومرحلة الشباب من أهم المراحل التى يمر بها الفرد حيث تبدأ شخصيته بالتبلور وتنضج معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف ومن خلال النضج الجسمى والعقلى والعلاقات الاجتماعية التى يستطيع الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر وتعتبر فئة الشباب فئة مؤثرة وفعالة فى المجتمع، ولكنها أيضًا تتأثر بصورة مباشرة بطبيعة الأنظمة السياسية والاجتماعية والتربوية القائمة فى المجتمعات، ومن هنا يولى علماء الاجتماع أهمية خاصة لدراسة ظروف وأوضاع وعادات وتقاليد وسلوكيات الشباب لوضع التوجيهات المستقبلية المناسبة لهم، وذلك وفق أبحاث علمية وميدانية تجرى على العديد منهم(٦).

ومن المعروف أن الشباب يمثلون فى البلدان النامية أسرع شرائح سكان العالم نموًّا، كما يشكل الشباب تحت سن الخامسة والعشرين أكثر من نصف سكان البلدان النامية البالغ عددهم أكثر من خمسة بلايين نسمة، ومن ثم فإن الشباب لا يمثلون المستقبل فحسب، بل هم الحاضر أيضًا ونتيجة للعولمة والتقدم التكنولوجى ازداد التواصل فيما بين الشباب عن ذى قبل، وأصبح صوتهم مؤثرًا على نحو أكبر فالشباب يشكلون مصدرًا لم يُستغل بعد لتحقيق التنمية والتغيير والتقدم، مع أن هذه الفئة العمرية هى المعنية بعصر العولمة وقضايا ومشكلاته، فالعولمة مشروع كونى للمستقبل، كما يطمح واضعوه ومفكروه والداعون إليه، لذا فإن الجيل الجديد هو الأسبق بالتعاطى مع هذه العولمة وأدواتها، فالكمبيوتر والإنترنت أصبحت فى متناول أيدى الشباب فى سهولة

ويسر، بينها تعتبر هذه الأشياء بالنسبة للأجيال الأكبر سنًّا معضلة لا حل لها، كما أن أنماط المعيشة التى تطرحها العولمة من مأكل ومشرب وعادات ثقافية موجه بالدرجة الأولى لأجيال الشباب؛ لأنهم الأقدر على الاستجابة والتقبل السريع لأى مفاهيم جديدة خارجة عن المألوف، خاصة إذا كانت تقدم لهم بوسائل باهرة وبطرق تقنية تؤثر فى نفوسهم[٧].

ولذلك يراهن كل الساسة على حصان الشباب ومن يخططون لإستراتيجية التنمية المستدامة وهم ما زالوا خارج حلبة السباق أى قبل أن ينخرطوا فى العملية الإنتاجية للمجتمع، يراهنون على حصان جاس فوق مقاعد الدراسة، يحلم بسباق مجهول وماراثون طويل وصعب وتحديات عديدة ومتنوعة فى كل مجال وحقل.

فهل نعزل الشباب ونهمله خوفًا من طيشه وعاطفيته وفلتانه ؟ أم نفهم طبيعته العمرية وأحلامه وعنفوانه وغضبه ؟ فنستوعبها ونهضمها، فنلجم ذلك الحصان الحرون فى داخله ونروضه لكى يصبح دخول هذا الحصان سباق الحياة بوعى وقوة وطاقة منتجة خلاقة[٨].

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن نشير إلى أن هناك احتياجات عديدة للشباب يسعى إلى تلبيتها، وأن هناك الكثير من المشكلات والأزمات التى يعانى منها الشباب، وينبغى أن يحرص على حلها، وتعتبر أزمة الهوية فى رأى الدكتور «السيد عليوة» أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان من أهم الأزمات التى تواجه الشباب ويقف وراء هذه الأزمة مجموعة من الأسباب منها:

١- سرعة التغيير حيث يتغير العالم بصفة عامة بسرعة كبيرة فى كل مناحى الحياة.
٢- البلبلة والتشتيت التى يصاب بها الشباب وعدم القدرة على التكيف مع هذه المتغيرات تكنولوجيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا.
٣- التشتت النفسى بين الهوية والخصوصية وبين الحضارة الغربية وقيمها ورموزها وطريقة حياة الشعوب فيها.
٤- التنازع فى الهويات فى الهوية العالمية التى تموج بها المؤثرات الخارجية عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٥- التأثر بالوافد الأجنبى فى ظل غياب التربية الإسلامية وغياب الدور التربوى للمدرسة والجامعة.

٦- فقدان وسائل الإعلام لدورها المنوط بها تجاه الشباب وعدم قيامها بالدور المطلوب من حيث التوجيه والتوعية.

٧- الغزو الثقافى الغربى الذى يسعى لسلب الآخرين إرادتهم وطمس هويتهم (٩).

ويتفق المتخصصون فى العمل الشبابى على الحاجات التالية باعتبارها حاجات عامة تنطبق على جميع فئات الشباب وهى:

١- الحاجة إلى تقبل الشباب ونموه العقلى والجسمى حيث يسعى لإدراك ما يدور حوله.

٢-توزيع طاقات الشباب فى نشاط يميل إليه، وخصوصًا أن الشباب لديه طاقات هائلة وعدم تفريغها فى أنشطة بناءة يزيد من الاضطراب والملل والتوتر لديه.

٣- تحقيق الشباب لذاته بما يعنيه من اختيار حر وواع لدوره ومشاركته المجتمعية وشعوره بالانتماء لفكرة أو مجموعة اجتماعية لها أهداف عامة.

٤- تقديم الرعاية الصحية والنفسية الأولية للشباب والتى من شأنها أن تجعل من نموه نموًا متوازنًا وإعطائه ثقافة صحية عامة تمكنه من فهم المتغيرات الجسدية فى مرحلة المراهقة كمرحلة حرجة.

٥-توفير المعرفة والتعليم للشباب لما لهما من دور أساسى فى حياة الفرد ولكونها توسع الآفاق والمدارك العقلية وهو حق مكتسب وضرورى مثل الماء والهواء فى عصر ليس فيه مكان للجهلاء.

٦- إعطاء الشباب الاستقلال فى إطار الأسرة كمقدمة لبناء شخصيته المستقلة وتأهيله لأخذ قراراته المصيرية فى الحياة والعمل والانتماء بطرق طوعية بعيدًا عن التدخل.

٧- تلبية الحاجات الاقتصادية الأساسية للشباب من مأكل وملبس ومسكن والتى بدونها سيصبح مشردًا ومتسولاً.

٨- توفير الترفيه والترويح للشباب، فحياة الشباب ليست كلها عمل ونشاط

جدى بل يحتاج الشباب إلى توفير أماكن للترويح ومراكز ترفيهية ثقافية كـدور السينما والمسرح والمتنزهات والمعسكرات الشبابية وغيرها.

٩- تحصين الشباب بالثقافة الجنسية السليمة خصوصًا فى بداية تفتح الشباب، ومعرفة المتغيرات الجسدية فى مرحلة المراهقة، وتوفير الحد الأدنى من الثقافة الجنسية من قبل مراكز الإشراف الشبابى والمجتمعى؛ لتوفير حماية للشباب من الانحراف وتلقى ثقافة جنسية مشوشة ومشوهة.

١٠- بناء الشخصية القيادية الشابة من خلال تنمية القدرات القيادية وصقلها بالمواهب الواعدة وهذه العملية لا تتم بقرار إجرائى بقدر ما تحتاج إلى سياسات تربوية مقرونة بخبرة عمل ميدانى تعزز ثقة الشباب القياديين بقدراتهم وتضعهم أمام الاختيار الجدى(١٠).

أما عن الرؤى المستقبلية لتفعيل دور الشباب العربى فتتمثل فيما يلى:

١-الإعداد الجاد لجيل الشباب من خلال وضع خطط تربوية واقعية تُدار وتنفذ بأيدى طواقم مؤهلة ومدربة وفق معايير عصرية يستطيع من خلالها المجتمع أن يكسب الشباب الوعى والإعداد الكافيين.

٢- نشر المعرفة والثقافة لدى فئة الشباب والذى بات فى عصرنا الراهن على درجة عالية من الأهمية.

٣- جذب الشباب نحو ساحة العمل السياسى؛ نظرًا لأهمية الشباب والآمال المعلقة عليهم من قبل مجتمعهم وحتى تحقق عملية التربية السياسية النجاح المطلوب منها فيفترض فيها أن تراعى احتياجات الشباب ورغباتهم وتطلعاتهم مثل ما يفترض بها أن تغذى طموح الشباب وميوله.

٤- غرس القيم الديمقراطية لدى الشباب من خلال تكريس تقاليد النقاش وأسس الحوار الحر وإبداء الرأى بين المجموع العام.

٥- تعزيز المواطنة لدى الشباب من خلال بث الروح الوطنية وتعميق روح الانتماء لقضايا الوطن واحتياجاته والحفاظ على كينونته والاستعداد والدفاع عنه فى حال تعرضه للخطر.

٦-إعادة بناء الذاكرة لدى جيل الشباب بما يؤكد التواصل الثقافى والحضارى بين الأجيال ومعرفة حقائق التاريخ والجغرافيا السياسية وكل ما يتعلق بالقضية الوطنية القومية.

٧-استجماع طاقات الشباب وتوحيدها نحو الأهداف والأولويات الوطنية والاجتماعية فى كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع وتوظيف هذه الطاقات بأفضل السبل نحو هذه الأهداف والأولويات.

٨-رفع حس المسئولية والانضباط للشباب من خلال عملية التربية والتهذيب الخلقى والقيمى والتعريف بأسس النظام وقوانينه ودولة القانون.

٩- تعزيز قيم التعاون والتسامح بين أفراد المجتمع خصوصًا الشباب منهم بما يؤكد التكاتف والتماسك الاجتماعى وإطلاق المبادرات الشبابية لتقديم خطوات توعية تسهم فى تقدم المجتمع.

١٠- عقلنه التمرد العفوى لدى الشباب من خلال ضبط قيم رفض الظلم والتمسك بالقيم الإنسانية السامية الواردة فى المواثيق الدولية(١١).

ثالثًا: تأثير وسائل الإعلام على الشباب

أقر الباحثون والمنظرون لوسائل الإعلام بما له من تأثير وسيطرة على الجماهير المختلفة، وخصوصًا فئة الشباب، فهى تحدد لهم الأولويات وترسم لهم الأجندات وهى البوابة التى من خلالها يتواصل الشباب مع العالم ويسمع أخباره ويشاهد إبداعاته، فمن خلال القائمين عليها تمارس دور حارس البوابة بما يمررون ما يريدون ويمنعون ما يريدون، وهى تلون المعلومات تارة وتضخمها تارة وتعتم تارة كيفما شاءت، ووسائل الإعلام ترسم من خلال الإيقاع السريع والموسيقى الصاخبة والموضات؛ من تقليعات فى اللبس أو تسريحات فى الشعر أو الإيحاءات الجسدية وحركة اليدين والجسد وإبراز مفاتن الفتيات، وتقدم وسائل الإعلام رسائل مختلفة سواء فى نشرات الأخبار أو البرامج المختلفة أو حتى من خلال الدراما (مسلسلات وأفلام) وتقوم بتسويق وتمرير عشرات المفاهيم والصور الخاطئة، والتى للأسف يتشربها الشباب دونما تفكير أحيانًا أو مقاومة أحيانًا أخرى(١٢).

وبالتالى فإن الإعلام يمكن أن يؤدى دورًا مهمًا فى توعية الشباب ويمكن أن يسهم فى تقويم مادة ثقافية وعرفية هائلة وهو قادر على تحريك العقول، وإلقاء أكثر من حجر فى البركة الراكدة وبإمكانه كذلك أن يقوم بدور هدام فيكرس السلبية بدلًا من الإيجابية ويدعو إلى الرذيلة بدلًا من الدعوة إلى الفضيلة ويمكن أن يكون معول هدم لا عامل بناء، فالإعلام بكافة وسائله وآلياته سلاح ذو حدين وبناء على ذلك لا بد من توعية الشباب بمخاطر الإعلام وتدريبهم على اكتشاف ثقافة الشعوب والأمم المعاصرة، ليتمكنوا من التعامل والتفاعل مع هذا العالم الذى أصبحت ثقافته ثقافة كونية واحدة، وكذلك التعامل مع الإعلام بشفافية ومنطقية ومحاكاة عقلية للحدث والاستفادة من وسائله بما يخدم قضاياه الوطنية والقومية وتوعية الشباب بأهمية الانتقاء والاختيار من خلال تحريره من الأمية الإعلامية والأمية التكنولوجية المتطورة، وكذلك إلى ضرورة التنسيق الثقافى بين الأجهزة التربوية والإعلامية والهيئات والمنظمات الشبابية فيما يتعلق بثقافة الشباب من خلال برامج التوعية والإرشاد الهادفة التى تعمل على خلق التواصل والتفاهم بين الشباب بكونهم الفئة الأكثر استعمالًا لوسائل الإعلام، ولعل هذا يدعونا إلى تبنى فكرة ضرورة التربية الإعلامية للشباب والتى تعرف بأنها المبادئ والأحكام التى يكتسبها الفرد من وسائل الإعلام عن طريق تحصين الجماهير فى مواجهة الانفلات الإعلامى، وتعريفهم بالأسلوب الصحيح للتعامل مع هذه الوسائل، وقد كشفت الدراسات العلمية عن أهمية التربية الإعلامية فى المجتمعات العربية الإسلامية بعدما هيمنت وسائل الإعلام على الساحة الدولية، وأصبحت تشكل خطورة على الجمهور المتلقى، وبعد أن أصبح المتلقى ضحية لكل ما يقدم له دون أن يميز بين ما يضره وما ينفعه فى عصر ثورة العلم والمعرفة التى نعيشها بفضل التقدم الهائل فى تكنولوجيا الاتصال لا سيما الإعلام الفضائى لما يتمتع به من سعة فى الانتشار وقوة فى التأثير لدى الجماهير يومًا بعد يوم[١٣].

وفى إطار هذا الواقع الثقافى الجديد بإيجابياته وسلبياته والذى أفرزته لنا تكنولوجيا الاتصال الحديثة يكون من الضرورى أن نفكر فى الأسلوب المناسب الذى يحمى الأجيال الجديدة من الشباب والمراهقين والأطفال من التأثيرات السلبية للرسائل الضخمة المنقولة عبر الفضائيات والإنترنت، ولهذا ينبغى أن نهتم بنشر وتعليم مبادئ التربية الإعلامية، وهى تعد ثورة جديدة فى مجال الإعلام، وهذه الثورة تضع أسس

التعامل مع الرسائل التى يتعرض لها الجمهور على مدى اليوم من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ولقد حرصت منظمة اليونسكو فى إطار مسئوليتها الثقافية على نشر وتعليم مبادئ التربية الإعلامية، وذلك سعيًا لتطوير مضمون المواد الإعلامية فى الصحف والإذاعة والتليفزيون والإنترنت من أجل المساعدة على تجنب الجمهور الآثار السلبية لهذه الوسائل، وفضلًا عن ذلك تطوير مهارات التفكير النقدى نحو مضامين وسائل الإعلام لدى قطاعات الجماهير المختلفة حتى يمكنهم حسن التعامل والاستخدام مع ما تقدمه وسائل الإعلام، وإرساء أسس استخدام المضامين المتعددة التى تتيح فرص الاختيار أمام الجماهير مع دعم فكرة تدريس مبادئ التربية الإعلامية ومهارات الاتصال فى المناهج الدراسية، وكذلك تدعيم دور الأسرة والمدرسة فى نشر مفاهيم التربية الإعلامية لدى الأبناء والطلاب، إن الغرض الأساسى للتربية الإعلامية ليس فقط تكوين الوعى النقدى ولكن تكوين الحكم الذاتى المستقل بشأن الرسائل المختلفة فى وسائل الإعلام، بمعنى تعلم عملية تكوين الأحكام الذاتية التى تمكنه من مواجهة وسائل الإعلام طيلة حياته، كما أن التفكير النقدى فى بعض المهارات يجعل الأفراد يناقشون القضايا العامة بوسائل الإعلام، حتى يقوموا بردود أفعال حاسمة تجاه هذه الوسائل(١٤).

وهذا لا يعنى أننا ندعو الشباب إلى اتخاذ موقف سلبى من وسائل الإعلام، وذلك لأن الواقع التاريخى للبشرية يؤكد بأن الإعلام لم يختص بحضارة من الحضارات أو شعب من الشعوب، ولا بمكان ولا زمان معين، فالإنسان بطبيعته محب للاستطلاع، ولا يكتفى بمعرفة أخباره فقط بل يحاول محاولات شتى من أجل معرفة أخبار المجتمع المحدود، الذى يعيش فيه كمجتمع الأسرة أو القبيلة أو القرية.. إلخ، فالحياة ستكون شاقة وصعبة إذا انعدم الاتصال بين الناس، ولهذا ساهم الاتصال فى وصول الحضارة الإنسانية إلى ما هى عليه، وفى هذا السياق الحضارى نرى أن الإعلام هو على الحقيقة كأى سلاح حضارى شامل له حدان، فإما أن يوظف التوظيف الأمثل لخدمة مصالح الأمة كما سبق وأن ذكرنا من خلال الإعداد العلمى الدقيق لبرامجه، حيث تكون ملتزمة بمبادئ الأمة وأهدافها وحضارتها، وإما أن يكون مجرد إعلام للإعلام غير واضح الأهداف حيث ينشر من خلاله كل ما تقع عليه أعين الإعلاميين وفى هذا الاتجاه يكون الإعلام سلاحًا فتاكًا، بيد أعداء الأمة(١٥).

ومن هنا يمكن القول بأن المطلوب من رجل الإعلام الحق فى واقعنا الثقافى المعاصر، ضرورة الانطلاق المباشر والحيوى فى آن واحد من ثوابت هذه الأمة والعمل على ترجمة معطيات هذه الثوابت إلى سلوك حضارى راشد، وذلك لأن التغريب الذى يمثل فى منطلقاته الأساسية الانسلاخ عن هوية الأمة، قد شكل خطرًا كبيرًا على ثقافة المجتمع الإسلامى، بل على كيانه السياسى ذاته[١٦].

ومن الانعكاسات السلبية للإعلام المعاصر بروز النزعة الاستهلاكية فى المجتمع، والتطلع إلى ما هو فوق القدرات المالية والاقتصادية للأسرة، ولقد أثر ذلك على الصعيد الثقافى والقيمى داخل الأسرة وانعكس على سلوك أفرادها فى المجتمعات العربية، فقد ساهم الإعلام المعاصر وتكنولوجيا المعلومات على تشكيل وعى الشباب بضرورة التكيف مع ثقافة العولمة، سواء استند هذا التكيف على نمط الاستهلاك المادى للسلع أو اكتفى بالاستهلاك المعنوى للصور و المعانى، وهو ما يعنى تأسيس نوع من الوعى الزائف الذى يقف فى مواجهة نمو الوعى الموضعى، ويرتبط هذا بثقافة الجنس الزائف والتى أصبحت عنصرًا مهمًّا فى حياة الشباب، وهى ليست بالجنس الطبيعى، حيث يتحقق الإشباع من خلال المعاشرة، ولكنه جنس التكنولوجيا الحديثة المقدم على أطباق الفضائيات الشهية أو حتى ممغنطا على أشرطة الفيديو أو الذى تقدمه شبكات الإنترنت، ولا مانع من جنس المحادثة من خلال (حكى التليفون) والمحمول أكثر نجاحا فى ذلك بعد إدخال خصائص متطورة فيه، فالشباب من أبناء الأغنياء نهارهم فى المطاعم الفخمة، وليلهم فى سياراتهم المسرعة التى لا تخلو من المخدرات، أما أبناء الطبقات الوسطى فيعيشون سياق مشكل لا عمل ولا دخل ولا زواج، الحياة لا تكاد تكون متوقفة، إن الشباب الأغنياء يستهلكون الجانب المادى للسلع لأنهم يدفعون المقابل والفقراء يستهلكون الصور فى مقابل أنهم لا يدفعون شيئًا، نوعٌ من العدالة يفرضه الإعلام المعاصر والعولمة، إن انتشار ثقافة الصورة بين الشباب أصبح من الظواهر المعاصرة للعولمة، فمن خلال تكنولوجيا الإثارة والتشويق التى تعتمد على الإمبراطوريات الإعلامية أصبحت تستطيع تقديم مادتها للمتلقى فى قالب مبهر ويجذب الانتباه ويلغى العقل أحيانًا، ويثير الغرائز والشهوات حيث يتقبل المتلقى جميع القيم والمواقف السلوكية دون اعتراض عقلى أو ممانعة نفسية فى وضعية شديدة الشبه بوضع السم فى العسل[١٧].

ولقد جاءت الدراسات العلمية لتؤكد على خطورة وسائل الاتصال الحديثة وانعكاساتها السلبية على الشباب، ففى دراسة حول الآثار الاجتماعية لاستخدام الهاتف المحمول على الشباب جاء ما يلى:

١- أظهرت نتائج الدراسة أن أكثر الخدمات استخدامًا فى الهاتف المحمول هى المكالمات، الرسائل القصيرة، الرنات .

٢- هناك أسباب مختلفة تدفع الشباب لاستخدام الهاتف المحمول أهمها إنجاز أعمال ومهام تتطلب السرعة، الإنقاذ فى المواقف الصعبة، الاتصال بين الأصدقاء.

٣- أوضحت النتائج أن غالبية عينة الدراسة تقوم باستخدام الهاتف المحمول فى العلاقات الاجتماعية بنسبة (٦٢،٢ ٪).

٤- كما كشفت نتائج الدراسة أن (٤٣،٨٪)من إجمالى عينة الدراسة تقوم باستخدام الهاتف المحمول فى العلاقة مع الجنس الأخر.

٥- كما أوضحت النتائج أن الهاتف المحمول يؤدى إلى تدعيم الثقافة الاستهلاكية للشباب وأنه لا يؤثر على الحرية الشخصية لمستخدميه بنسبة (٦٦،١٪) ولا يؤثر فى اعتماد مستخدميه على الآخرين بنسبة (٥٨،٨٪) كما أن غالبية عينة الدراسة ترى أن الهاتف المحمول يؤثر على أخلاقيات الشباب بنسبة (٦٩،٥ ٪) مضايقة الآخرين من خلال المكالمات والعبارات الجارحة، معاكسة الآخرين من خلال الصور والرسائل الإباحية، الكذب من خلال تلفيق المكالمات[١٨].

واستهدفت دراسة التعرف على الآثار الاجتماعية والثقافية والتعليمية والقيمية سواء الإيجابية أم السلبية لاستخدام الشباب فى مصر للإنترنت وجاءت أهم نتائجها على النحو التالى:

١- تعتبر الفئة العمرية من ٢١ إلى أقل من ٢٧ سنة أكثر الفئات استخداما للإنترنت ويليها الفئة العمرية من ١٥ إلى أقل من ٢١ سنة ثم الفئة من ٢٧ إلى ٣٥ سنة وبصفة عامة فإن متوسط الاستخدام هو ٢٠ ساعة أسبوعيًا.

٢- يعتبر الشباب الجامعيون هم أكثر الفئات التعليمية التى تستخدم الإنترنت، يليهم الحاصلين على مؤهل ثانوى ثم ذوى المؤهلات فوق المتوسطة، وتزيد النسبة داخل الفئات السابقة فى حالة ارتفاع المستوى التعليمى للوالدين.

٣- يستخدم الشباب الأعزب شبكة الإنترنت أكثر من غيرهم، وكذلك الحال للشباب الذين ينتمون لأسر ذات مستوى دخول مرتفعة نسبيًّا.

٤- يزور الشباب المواقع العربية والأجنبية ويرون أن المواقع العربية لا تفيدهم كثيرًا، وتأتى مواقع البريد الإلكترونية، ثم مواقع خدمات بحث، ثم المواقع الترفيهية، فالمواقع الدينية، ثم مواقع المحادثة والدردشة كأفضل المواقع لدى الشباب وأكثرها زيارة.

٥- يعد هدف الاطلاع على البريد الإلكترونى والبحث عن معلومات مفيدة أكثر أهداف استخدام الإنترنت، وأغلب الشباب لديه بريد إلكترونى خاص ويداوم على استخدامه، وكذلك يعد برنامجًا Intemet Explorer أكثر برامج التصفح على الإنترنت كما أن محركات البحث الأكثر استخدامًا هى Yahoo ثم Google.

٦- يرى الشباب أن الإنترنت قد عمل على تحقيق قدر أكبر على الاتصال مع سهولة حفظ واسترجاع المعلومات، وسرعة الإنجاز، وكذلك هو وسيلة لزيادة المعلومات، وقد استفاد البعض منهم من الإنترنت فى مجال عمله أو مجال دراسته.

٧- يؤدى استخدام الإنترنت إلى التقارب بين الشعوب وعرض وجهات النظر المختلفة، فهو أحد وسائل حوار الحضارات والانفتاح على العالم بحسب رأى أفراد العينة، ولكنه فى ذات الوقت قد يؤدى إلى تبنى الشباب لأنماط ثقافية مغايرة لقيم المجتمع أو أنماط سلوكية شاذة، وإهمال القيم الأصلية للمجتمع.

٨- يعد الدخول إلى مواقع الجريمة، ومواقع لعب القمار، والمواقع الإباحية، أو حتى المواقع الدينية التى تروج لفكر معين من المخاطر المرتبطة باستخدام

الإنترنت والتى تتضمن أيضًا اختراق أجهزة شخصية عبر الإنترنت أو تحميل برامج ومواد إلكترونية بصورة غير مشروعة وانتحال شخصية آخرين أثناء دخول غرف الدردشة[١٩].

رابعًا: الأساليب الإعلامية المستخدمة فى مخاطبة الشباب

تتعدد الأساليب الإعلامية وتتنوع بتعدد وتنوع الجمهور المتلقى للرسالة الإعلامية أو على الأقل يكون الاختلاف فى طريقة تفعيل هذا الأسلوب أو ذاك عند مخاطبة مستوى ما من الجمهور، فطريقة مخاطبة الأطفال ولا شك تختلف عن طريقة مخاطبة الشباب، وإن كان أسلوب الخطاب الإعلامى واحد من حيث مسماه، ولكن طريقة توظيفه تختلف باختلاف الشريحة المخاطبة من الجمهور المتلقى، ومن ناحية أخرى فإن عملية تكوين المواقف أو الآراء ليست بالضرورة أن تكون وليدة الاتصال، فالإنسان من خلال الفطرة التى ولد عليها ، ومن خلال مراقبته للظواهر الطبيعية ومحيطه ونفسه يُكوِّن بعض الآراء ويتخذ بعض المواقف حول بعض القضايا المهمة فى حياته، ورغم هذه الحقيقة فمن المعروف أن هناك صعوبة بالغة فى اكتشاف الحقائق وتكوين الآراء من غير تعلم، ولا يمكن أن يكون تعلم من خارج العلاقات الاجتماعية والتى هى وليدة الاتصال، لذا فإن عملية الاتصال عامل مؤثر ومهم فى عملية التكوين هذه، فالإنسان مهما بلغت قدرته، لا يمكنه أن يراقب أو يشاهد إلا القدر اليسير مما يدور حوله فى العالم من أحداث وقضايا ، لكنه من خلال الاتصال، خصوصًا بعد التطور التقنى الهائل فى عصرنا الحاضر، يستطيع الفرد أن يلم ويتعرف بأهم ما يحدث فى العالم، وهذا ما يساعده فى تكوين آرائه واتخاذ قراراته، ولوسائل الإعلام تأثير مهم فى تكوين الآراء نتيجة المعلومات والحقائق التى يقدمها للأفراد والتى بدونها يستحيل تكوين الرأى، ويتلقى الفرد معلوماته أحيانًا من الأفراد المحيطين به أو الذين يعتبرهم قدوة لحياته، أو من الوسائل الإعلامية المباشرة، وبما أنه لا يمكن لجميع الناس مشاهدة أو متابعة نفس الوسيلة الإعلامية للحصول على المعلومات نفسها تنشأ آراء مختلفة حسب طبيعة المتلقى واهتمامه والمعلومات التى يحصل عليها[٢٠].

ولكى يصل أى إنسان وخصوصًا الإعلامى بفكرته إلى المتلقى يجب أن يصيغ

رسالته بأسلوب يشرحها ويسهلها، ويجعلها مشوقة، الأمر الذى يجعل المستقبل يقبل عليها وينجذب إليها، وحسن الأسلوب يجعل المتلقى يقتنع بالفكرة حتى لو كانت غير عادلة أو تعبر عن وجهة نظر غير صحيحة ولطرح أى فكرة فى وجه المتلقى ينبغى على الإعلامى أن يدعمها بالحجج والدلائل والبراهين التى تؤكد للمتلقى صحتها وواقعيتها وموضوعيتها، لذلك فإن للأسلوب أهمية بالغة فى وسائل الإعلام فالأسلوب هو الذى يوصل المعنى إلى المتلقى، ويجب على الإعلامى أن يستخدم الأساليب البسيطة والعبارات المتداولة ويتجنب العبارات المعقدة والأساليب الملتوية لأنه يخاطب أنواعًا مختلفة من المتلقين[٢١].

ولا شك أن الأساليب التى يمكن أن يخاطب بها الإعلاميون الجمهور متنوعة ومتعددة، ولكن ينبغى أن يعترف بأن لكل فئة من فئات الجمهور أساليب يمكن أن تكون أكثر تأثيرًا عليه وأكثر تجاوبًا مع طبيعته وشخصيته، ومن الأساليب الإعلامية التى يمكن أن تستخدم فى مخاطبة فئة الشباب وتكون أكثر تلاؤمًا معهم وأكثر تناسبًا لهم وأكثر تأثيرًا فيهم، الأساليب التالية:

١- الأسلوب الجدلى: ويطلق عليه الأسلوب السببى، وهذا الأسلوب يمكن استخدامه وتفعيله فى مخاطبة الشباب إذا إنه يعتمد على قوة البراهين والدلائل والحجج المناسبة لأطروحاته وأفكاره، ويقوم هذا الأسلوب على التأسيس على الأسباب للوصول من خلالها إلى النتائج، فعن طريق التسليم بأسباب وظروف معينة ينتج عنها حدوث نتائج لتلك الظروف أو لهذه الأسباب، ويعتبر هذا الأسلوب بهذه الطريقة بمثابة الخلفية التى يؤسس عليها الإعلامى البراهين والحجج التى تساعده فى تقوية طرحه، مما يؤثر بشكل جيد فى إقناع المتلقى، أو أن يتبع الإعلامى منهج الانطلاق من النتائج إلى الأسباب بهدف التأثير على المتلقى بقصد إثارة مشاعره نحو القضية.
٢- الأسلوب التجزيئى: وفيه يقوم الإعلامى بطرح القضية أو الفكرة الأصلية ويركز عليها، ثم ينتقل إلى أفكار أخرى فرعية، وذلك بالانتقال من حالة العمومية إلى حالة الخصوصية ومن حالة الكلية إلى حالة الجزئية، على اعتبار

أن الجماهير تأخذ الأمور بعمومها وأن ما ينطبق على الأصل ينطبق على الفرع ويمكن للإعلامى أن يعكس استخدامه لهذا الأسلوب بمعنى أنه بمقدوره أن ينتقل من حالة الخصوصية إلى العمومية، وهذا الأسلوب يعتمد على استخدام مثال محدد يتم تعميمه فيما بعد كقاعدة عامة.

٣- الأسلوب المقارن: ويعتمد هذا الأسلوب على المقارنة بين فكرتين أو طرحين، بهدف تحديد الفرق بينهما ، ويكون تحديد الفرق بعد معرفة الأسباب والظروف المحيطة بكل طرح وتحليل السمات والوظائف الخاصة بكل فكرة، ثم فى النهاية إصدار الحكم والوصول إلى النتائج.

٤- الأسلوب الدلالى: ويقصد به الاستشهاد بالأدلة المنطقية والحجج الواقعية والبراهين الموضوعية بالاعتماد على المصادر الموثقة والاستشهاد بالحوادث الحقيقية والأمثلة الواقعية أو الافتراضية واستخدام أقوال المشاهير والنجوم والاستدلال بالأدلة الشعرية والنثرية والحكم والأمثال.

٥- الأسلوب القصصى: ويعتبر هذا الأسلوب من أهم أساليب الخطاب على اعتبار أن المخاطب يستمتع بتتبع تفاصيل القصة، وفى الوقت نفسه يستفيد من العبرة المتواجدة بين طيات القصة[٢٢].

٦- الأسلوب الساخر: وهذا الأسلوب يعتمد على استخدام النكات للوصول إلى المتلقى والتأثير فيه، وهذا الأسلوب له تأثير كبير فى الرأى العام، وخاصة الشعوب التى تميل بطبيعتها إلى ذلك، ويدخل ضمن هذا الأسلوب استخدام الصور والرسوم الكاريكاتورية، للنفاذ إلى العقل بدون عناء.

٧- أسلوب التكرار: ويستخدم لتثبيت المعلومات المراد توصيلها بين الجماهير وتأكيدها، يقول «غوستاف لوبون»: إن التوكيد والتكرار عاملان قويان فى تكوين الآراء وانتشارها، وإليهما تستند التربية فى كثير من المسائل، والتوكيد لا يلبث ـ بعد أن يكرر تكررًا كافيًا ـ أن يحدث رأيًا ثم معتقدًا، والتكرار تتمة التوكيد، ومن يكرر لفظًا أو فكرة أو صيغة تكرارًا متتابعًا يحوله إلى معتقدًا[٢٣].

٨- الأسلوب الاحتوائى: وهو عبارة عن محاولة لإيهام المتلقى أنه على رأيه

ومذهبه، وبعد أن يطمئن إليه يبدأ المرسل ببث أفكاره شيئًا فشيئًا، فلا يجد معارض من المرسل.

٩- أسلوب الشعارات وهو عبارة عن عملية توظيف الكلمات البسيطة التى تصدر عن الزعماء فى كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددها الرأى العام، وربما تدخل الأناشيد والقصائد الشعرية والأغانى فيها[٢٤].

١٠-الأسلوب الإحصائى: ويعتمد هذا الأسلوب على الأرقام والإحصاءات ونتائج الاستفتاء، وهذا الأسلوب يضفى الكثير من المصداقية على المعلومات والأفكار والرسائل الإعلامية التى يراد تقديمها للشباب، وتعمد وسائل الإعلام الأمريكية على وجه الخصوص إلى دعم الكثير من الأخبار والإعلانات باستفتاءات وإحصاءات تنسب عادة إلى بعض الجهات المتخصصة ذات الصيت والشهرة.

١١-الأسلوب الموضوعى: ويعتمد هذا الأسلوب على طرح كافة الموضوعات وفى مناقشة كافة القضايا وذلك بلا تحيز أو انحياز ولكن بتجرد وشفافية وطرح كافة الآراء المؤيدة والآراء المعارضة، وكما يقال دائما الرأى والرأى الآخر، وقد ثبت علميًّا وعمليًّا صحة هذا الأسلوب فى التأثير والتغيير فى الشباب وغيرهم[٢٥].

١٢-الأسلوب الإقناعى: فلا شك فى أن طبيعة ونوعية أساليب عرض الرسالة الإعلامية تؤثر على عملية الإقناع لدى المتلقى، وهناك العديد من الاعتبارات التى تؤدى إلى اختيار أسلوب معين لتقديم النص الإعلامى واستخدام نوع معين من الاستمالات بما يتوافق مع طبيعة الموضوع وخصائص جمهور المتلقين[٢٦].

١٣-أسلوب الاستمالة: ويوجد ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالات المستخدمة فى الرسالة الإقناعية وهى: الاستمالات العاطفية والاستمالات العقلانية واستمالات التخويف[٢٧].

١٤-أسلوب المحاورة: وهذا الأسلوب من أنجح الأساليب فى مخاطبة الشباب

والتأثير فيهم، وقد اعتمده القرآن الكريم فى العديد من المواضع وطالبنا بأن نتحاور مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن ومن باب أولى أن يكون أسلوب الحوار بالتى أحسن مع أبنائنا وشبابنا لما يحقق من مكاسب وفوائد.

١٥- أسلوب الترغيب والترهيب.

١٦- أسلوب المصارحة والصدق وكشف الحقيقة.

هذه هى أبرز أساليب الخطاب التى يمكن أن تستخدم إعلاميًّا فى مخاطبة الشباب ويبقى الأمر متوقفًا على طريقة تفعيلها وكيفية توظيفها حتى تخدم الغرض وتحقق الهدف من ورائها ولا أجد فى ختام هذه الدراسة أفضل من كلمة قالها الشيخ «محمد الغزالى» عليه رحمة الله فى هذا الصدد، فحواها أن الشاب طاقة فوارة وعاطفة جياشة ومشاعر نبيلة وعلينا أن نحسن توظيفها والإفادة منها؛ لأن الدعوات الإصلاحية ما انتشرت إلا على أكتاف الشباب، والحضارات العالمية ما نهضت إلا بجهود الشباب، ولذلك فعلى الجميع أن يقوم بدوره المنوط به تجاه هؤلاء الشباب، فالأسرة والمدرسة والمعاهد والجامعات والإعلاميون والموجهون والتربويون كل هؤلاء عليهم أن يتقوا الله تعالى فى شباب الأمة فهم عماد حاضرها وأمل مستقبلها[٢٨].

هوامش ومراجع الفصل السابع

(١) محمد ناصر الخوالدة، الموقع الإلكتروني لمنتدى جريدة شروق الإعلامي الأدبي.

(٢) عبد العزيز التو يجري، سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، فجر الحرية ٢٥ يناير، صحيفة مصرية الكترونية مستقلة، ١٤ مايو ٢٠١١م.

(٣) محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ٢٠٠٧م.

(٤) أمين حسن عمر، حراس البوابة والخطاب الإعلامي، المدونة السياسية.

(٥) هبة عبد المعز أحمد، مدارس تحليل الخطاب الإعلامي موقع النور الإلكتروني، مركز إعلامي ثقافي فني مستقل ٢١/ ٨/ ٢٠٠٩م.

(٦) ورقة عمل حول الشباب البحريني بين الواقع والتحديات.

(٧) ورقة علمية بعنوان: تأثير الإعلام على ثقافة الشباب العربي.

(٨) بدر عبد الملك، الشباب قوة التطوير والتغيير في زمن الإصلاح، موقع المنبر الديمقراطي التقدمي -- البحرين صحيفة الأيام، ٢٠٠٧/ ٩/ ٤.

(٩) حمدى سعد، غول التغريب كسر قيوده، موقع إسلام ويب،٢٠٠٢/ ٦/ ١٢

(١٠) الشباب البحريني بين الواقع والتحديات، المرجع السابق.

(١١) بحث عن أثر وأضرار وسائل الإعلام على الشباب والمراهقات، الإنترنت.

(١٢) راميا الريحاني، تأثير الإعلام على الشباب العربي، إحباطات الواقع وآمال المستقبل، جامعة القلمون الخاصة، ص٢٧،٢٦.

(١٣) محيي الدين عبد الحليم، التربية الإعلامية في عصر الطغيان الإعلامي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٤٢٥.

(١٤) عدلى سيد رضا، التربية الإعلامية ضرورة في عصر الفضائيات والإنترنت، جريدة الأهرام، القاهرة ن ٢٠٠٩ / ٣ / ٢٤ .

(١٥) مصطفى محمد طه، الإعلام الإسلامي المعاصر عصر العولمة، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد (٣٨٤).

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) وجدى محمد بركات ومحمد منصور حسن: نحو إستراتيجية عربية لمواجهة تأثير الإعلام المعاصر على الأسرة والشباب، ديسمبر ٢٠٠٧، بحث غير منشور.

(١٨) رانيا رمزى حليم إلياس، الآثار الاجتماعية لاستخدام الهاتف المحمول على الشباب، دراسة ميدانية فى مدينة القاهرة، ماجستير قسم الاجتماع، كلية الآداب، عين شمس ٢٠٠٨.
(١٩) سامية ذكى يوسف أحمد، شبكة الإنترنت وآثارها على الشباب المصرى، دراسة سوسيولوجية، قسم الاجتماع، كلية الآداب، عين شمس ٢٠٠٨.
(٢٠) على رزق، دور الوسائل الإعلامية فى صناعة الرأى العام، نموذج حرب الخليج، مجلة المنطلق، العدد (١٠٧) ربيع ١٩٩٤-١٤١٥م، ص٢٩ .
(٢١) جلال فرحى، كيف تحقق النجاح فى المجال الإعلامى، بيروت، دار الفارابى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
(٢٢) المرجع السابق.
(٢٣) السابق نفسه.
(٢٤) الشائعات، الكلمة حين تصبح خطرًا على السلم الأهلى، صحيفة الأيام البحرينية العدد (٨٠١٤) ٠٢ مارس ٢٠١١ ص١٠.
(٢٥) أحمد دعدوش، أساليب الدعاية المعاصرة، الغاية تبرر الوسيلة، مجلة العصر الإلكترونية، ٢٠٠٦/١٠/٢٠.
(٢٦) للوقوف على المزيد عن أساليب الإقناع راجع: حسن عماد مكاوى وليلى حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠١ ص١٩٣ وما بعدها.
(٢٧) لمعرفة المزيد عن أنواع الاستمالات الثلاث راجع: حسن عماد مكاوى، السابق نفسه، ص١٨٨ وما بعدها.
(٢٨) محمد الغزالى، مرحلة الشباب قوة عاطفته عطاء للإسلام، الموقع الإلكترونى للشيخ الغزالى.

خطاب الصحف العربية
المهاجرة تجاه قضية التبعية

مقدمة:

الصحافة ظاهرة انفردت بها المجتمعات الإنسانية الحديثة، ولقد نمت هذه الظاهرة وتطورت، لتلبية احتياجات البشر من المعرفة والثقافة، والوقوف على آخر الأخبار التى تحدث فى كافة أنحاء الدنيا، مع تفسيرها والتعليق عليها وتحليلها، فهى قد أدت للبشرية وظائف عديدة ومهمة لا غنى لأى مجتمع عنها، ولا نكاد نجد الآن مجتمعًا يعيش بدون صحف، برغم وجود وسائل اتصال أخرى كالراديو والتليفزيون والسينما والكتاب، ودراسة مضمون هذه الصحف تحديدًا، تدلنا مباشرة على طبيعة المجتمع الذى تصدر فيه وتعطينا صورة مصغرة للحياة على مدى العصور المختلفة والمتعاقبة[١].

ولا شك أن دور الصحافة والإعلام عمومًا، يتسع فى الحياة المعاصرة ويزداد عمقًا يومًا بعد يوم، حتى بات يواكب كل مجالات الحياة الإنسانية وبات من الصعوبة بمكان تصور حياة الإنسان الراهنة والمستقبلية بدون صحافة وبدون إعلام[٢].

كل ذلك يؤكد أهمية الدور الذى تؤديه الصحافة فى المجتمعات المعاصرة، ولذلك عندما نمت الصحف فى البلاد العربية وأخذت فى التطور والنمو، وزاد تأثيرها، وأصبحت مصدرًا من مصادر التثقيف والتنوير المهمة فى الأقطار العربية، وعامل تهديد لمصالح بعض السلطات والحكام، ضيق عليها الخناق وتم إغلاقها أو مصادرتها الأمر الذى دفع ببعض الصحف والصحفيين أن يتركوا بلادهم ويهاجروا إلى الخارج لعلهم يجدوا فى مناخ الحرية التى تنعم بها البلاد الغربية، متنفسًا، ومجالًا لممارسة العمل الصحفى بشىء من الحرية حتى أضحت الصحافة العربية المهاجرة ظاهرة لا يمكن تجاهلها وتزاد أهمية هذه الظاهرة وتلك التجربة، بسبب كثرة عدد الصحف العربية المهاجرة المنتشرة فى البلاد الغربية، والهجرة الحالية للصحف العربية والتى أخذت شكل الظاهرة، لا يمكن فهمها بدون تتبع أصولها فى تاريخ الصحافة العربية، حيث إن

الهجرة ظاهرة قديمة عرفتها الصحافة العربية فى فترة مبكرة من تاريخها، فقد نشأت الصحافة العربية فى عام ١٨٢٨م، حيث صدرت جريدة الوقائع المصرية، أما أول صحيفة عربية مهاجرة، فقد ظهرت فى عام ١٨٥٥م عندما أصدر «رزق الله حسون الحلبى» صحيفة «مرآة الأحوال» فى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية، أى بعد سبعة وعشرين عاما فقط من نشأة الصحافة العربية[٣].

وهذا النوع من الهجرة يمكن تسميته بالهجرة من الداخل إلى الداخل؛ وذلك لأن تركيا فى هذا الوقت كانت تعتبر رأس العالم الإسلامى، حيث إنها كانت تمثل دولة الخلافة الإسلامية، ومن ثم فالانتقال إليها من دولة من الدول التابعة لها كمصر مثلا لا يمثل هجرة كالهجرة إلى البلاد الغربية.

ولكن الأمر المؤكد أن تاريخ الصحافة المصرية المهاجرة بدأ عندما هاجر يعقوب صنوع إلى فرنسا، حيث أعاد إصدار جريدته «أبو نظارة» فى باريس عام ١٨٨٧م، وبذلك تكون فرنسا هى أول دولة أوربية تصدر بها صحيفة مصرية مهاجرة، وقد صدرت صحيفة «أبو نظارة» أول مرة بالقاهرة فى عام ١٨٧٧م، تحت اسم «أبو نظارة زرقاء» وأعلنت فى صدر صفحتها الأولى أنها جريدة مسليات ومضحكات، وقد صدر من الجريدة بمدينة القاهرة خمسة عشر عددًا، وكان «صنوع» قد تجرأ وتناول فى جريدته بالنقد بعض تصرفات الخديوى إسماعيل، وهو الأمر الذى جعل الخديوى ينقم عليه بل وأن يفكر فى قتله، كما ادعى يعقوب فيما بعد، وهو ما دفعه إلى الهروب إلى فرنسا، حيث استقر فى مدينة باريس وقرر أن يعاود إصدار صحيفته فيها[٤].

وإذا كان يعقوب صنوع هاجر بصحيفته عام ١٨٨٧م، فقد سبقه رشيد الدحداح اللبنانى بإصدار صحيفة «برجيس باريس» فى فرنسا وذلك فى ٢٤ يونيو ١٨٥٨ وصحيفة «برجيس باريس» تعنى « مرآة باريس» صدرت سياسية نصف شهرية، وكان رسم النسر الإمبراطور الفرنسى يعلو عنوان هذه الجريدة، التى تعد باكورة الصحف العربية لكبر حجمها، وجودة حروفها، وإتقان طبعها واتساع موضوعاتها[٥].

ومن أهم الصحف العربية المهاجرة فى باريس صحيفة «العروة الوثقى» التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى ١٣ مارس ١٨٨٤م، وكانت مقالات

«العروة الوثقى» تركز فى الدفاع عن مصر، وتحرك الرأى العام الإسلامى ضد الاحتلال الإنجليزى، وتحث الدولة العثمانية على إخراج الإنجليز بالسياسة أو بالقوة ومحاولة إقناع فرنسا بمساعدة مصر، وتعتبر «العروة الوثقى» الحجر الأول لأساس النهضة الإسلامية الحديثة بما كانت تنشره من المقالات القوية الرنانة تعزيزًا للإسلام وتنديدًا بالسيطرة الإنجليزية فى الهند ومصر، وصدر منها ثمانية عشر عددًا فقط، بعد أن قامت الحكومة الإنجليزية أكثر من مرة بمصادرتها ومنع دخولها للهند ومصر وكان آخر عدد صدر منها فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٤.

وكانت «العروة الوثقى» ترسل إلى كبار العلماء والأمراء والزعماء فى جميع الأقطار الإسلامية، ولكن سياسة الإنجليز كانت لها بالمرصاد لدرجة أن الحكومة المصرية أعلنت أن كل من توجد عنده «العروة الوثقى» يغرم مبلغًا من خمسة جنيهات إلى خمسة وعشرين جنيها، وهى غرامة جسيمة حينئذ[٦].

ثم توالت الصحف العربية المهاجرة فى فرنسا وغيرها من الأقطار الأوربية وغير الأوربية، حتى بدأت الهجرة الثانية للصحافة العربية وذلك عند ما قام الصحفى الفلسطينى عبد الوهاب فتال بإصدار صحيفة «الشرق الجديد» فى لندن عام ١٩٧٣، ثم تتابعت الصحف العربية المهاجرة والتى صدرت من عواصم أوربية مختلفة، لتحقيق أهداف معينة، أو سعيًا نحو أجواء من الحرية قد لا تتوفر فى العواصم العربية، الأمر الذى أوقع بعض هذه الصحف فى فخ التبعية إما لنظام سياسى أو فكر غربى أو هيئة أو تنظيم عربى، ومن ثم تسعى هذه الدراسة للوقوف على الخطاب الصحفى للصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من حيث إنها تعنى بظاهرة مهمة فى تاريخ الصحافة العربية، وهى ظاهرة الصحف المهاجرة وخطابها الصحفى تجاه قضية التبعية وتتمثل مظاهر الأهمية تلك فى النقاط التالية:

١ - النقص الشديد الذى نلاحظه فى مجال البحوث والدراسات الصحفية التى تناولت ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة.

٢ - ضرورة وأهمية الوقوف على طبيعة خطاب الصحافة العربية المهاجرة، لما

يعكس هذا الخطاب من واقع عاشته وتعيشه تلك الصحف، ويبرهن عن توجهاتها وسياستها المختلفة.

٣- الدور الكبير الذى تلعبه الصحف العربية المهاجرة كوسيلة اتصال جماهيرية، خصوصًا فى الربع الأخير من القرن العشرين، حيث برزت كظاهرة قائمة بذاتها ولا يمكن تجاهلها، مسلحة بالمال والخبرة والتقنية الحديثة.

٤- قدرة الصحف العربية المهاجرة على الوصول إلى القارئ العربى فى بلاد المهجر على أن تطرق أبوابه وتقدم له الأحداث الساخنة التى تجرى فى الوطن العربى والعالم.

٥- محاولة الأنظمة العربية المختلفة شراء هذه الصحف بطريقة الدعم المباشر تارة والدعم غير المباشر تارة أخرى، كى تكسب تبعيتها لها وتستخدمها فى معاركها السياسية مع غيرها من الأنظمة العربية المخالفة لها فى التوجه والموقف.

٦- الطبيعة الخاصة لظاهرة الصحافة العربية المهاجرة وما يحيط بها من عوامل مختلفة قد تدفع بها إلى الأمام أو تقذف بها إلى الهاوية، سواء كانت العوامل سياسية أو اقتصادية أو مهنية.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على ملامح وطبيعة الخطاب الصحفى للصحافة العربية المهاجرة، تجاه قضية التبعية.

٢- الوقوف على أسباب ودوافع هجرة بعض الصحف العربية إلى الخارج.

٣- تحديد ملامح وماهية الصحافة العربية المهاجرة، والتفرقة بينها وبين الصحافة العربية الدولية.

٤- الوصول إلى فروق واضحة بين أنواع الصحف العربية المهاجرة وخاصة من حيث علاقتها بالأنظمة العربية.

٥- التعرف على مستوى وشكل التبعية التى مارستها الصحف العربية المهاجرة.

٦- الوقوف على حقيقة الاتهامات الموجهة إلى الصحافة العربية المهاجرة، والتى تشير بأنها، صحافة بالدرجة الأولى، دون مرعاه لأدنى سلوك أخلاقى مما يفرض على الباحثين الفصل فى هذه الاتهامات.

٧- تقويم الدور الذى تؤديه الصحافة العربية المهاجرة تجاه القضايا العربية والإسلامية المختلفة، وما يمكن أن تؤديه تلك الصحف من أدوار إيجابية لو أحسن توظيفها، وتخلصت من ربقة التبعية.

الدراسات السابقة:

إنّ الصحف العربية المهاجرة لم تحظ كثيرًا باهتمام الباحثين والدارسين، على الرغم من تعدد هذه الصحف وتنوعها ما بين جرائد ومجلات، ولم يستطع الباحث- فى حدود إمكاناته- أن يقف إلا على عدد قليل من الدراسات والبحوث العربية، فى مجال الدراسة والتى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور على النحو التالى:

أولًا: الدراسات الخاصة بالصحافة المهاجرة:

١- دراسة لمحمد وهدان بعنوان: تحرير المجلة العربية المهاجرة والمحلية، تهدف الدراسة إلى تحديد فنون التحرير الصحفى فى كل من المجلة المحلية والعربية المهاجرة، وكذلك القضايا المختلفة التى تناولتها كل من المجلة العربية المهاجرة والمحلية، ومعرفة مدى التزام المجلات محل الدراسة بحاجة القراء الإعلامية وتلبية احتياجاتهم المتفقة مع مقوماتهم الحضارية. وتوصلت الدراسة إلى أن كلًا من المجلة المحلية والعربية المهاجرة قد تساوتا فى الاهتمام بالقضايا السياسية، فى حين اختلفت كل منهما فى ترتيب الأهمية بالنسبة لبقية القضايا الأخرى، كما احتلت القضايا الدينية المرتبة الأخيرة فى المجلة العربية، سواء أكانت محلية أم مهاجرة، وأن المجلة المحلية لم تلتزم بالموضوعية فى تأييد اتفاقية «كامب ديفيد» التى وقعها الرئيس أنور السادات مع الكيان الصهيونى وأن المجلة العربية المهاجرة لم تلتزم بالموضوعية كذلك فى الهجوم على هذه الاتفاقية. كما توصلت الدراسة إلى أن كلًا من المجلة المحلية والعربية المهاجرة اتفقتا فى الاهتمام بفنون التحرير الصحفى فى عرض مضمونها، غير أن اهتمام المجلة العربية المهاجرة كان أكثر من اهتمام المجلة المحلية حيث يغلب على

الأخيرة استخدام المقال الصحفى، وكان اهتمام المجلة العربية المهاجرة بالحديث الصحفى فى عرض مضمونها أكثر من المجلة المحلية، بينما كان الأمر معكوسًا بالنسبة للتحقيق الصحفى(٧).

٢- دراسة لمحمد وهدان بعنوان: الصحافة العربية للجماعات الإسلامية فى أوربا، تهدف الدراسة إلى التأريخ لنشأة الصحافة العربية للجماعات الإسلامية بأوربا وسياستها التحريرية، ومدى انتظامها فى دورية الصدور، وكيفية تمويلها، وتوزيعها وطباعتها والدول التى توزع فيها، وكذلك التعرف على مضمون تلك الصحف واتجاهاتها، ومدى اتفاق هذا المضمون مع السياسة التحريرية المعلنة لكل صحيفة، والتعرف على موقف كل صحيفة من القضايا المختلفة التى فرضت نفسها على الرأى العام الإسلامى والعالمى، كما تهدف إلى تقويم هذه الصحف من حيث مضمونها وشكلها، والدور الذى تؤديه تجاه القضايا الإسلامية سلبًا أو إيجابًا.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن القضايا السياسية احتلت المرتبة الأولى فى الصحافة العربية للجماعات الإسلامية بأوربا، حيث حصلت على نسبة ٤٩،٦٪ من مجلة « الرائد» و٨٨،٨٪ فى مجلة « النذير» و ٥٠،٢٪ فى مجلة « الدعوة المهاجرة و ٣٩،٣٪ فى مجلة « فلسطين المسلمة» و٧،٩٪ فى مجلة « البيان» و٦٩،٤٪ فى مجلة « الكلمة الطيبة». وجاءت القضايا الفكرية فى المرتبة الثانية فى الصحافة العربية للجماعات الإسلامية بأوربا، حيث حصلت على نسبة ١٣،١٪ فى مجلة « الرائد» و٦،٦٪ فى مجلة « النذير» و ١١،٦٪ فى مجلة « الدعوة المهاجرة» و٣٢،٢٪ فى مجلة «فلسطين المسلمة» و٣٩،٦٪ فى مجلة « البيان» و٦،٩٪ فى مجلة «الكلمة الطيبة» بينما احتلت القضايا بالشرعية المرتبة الثالثة، حيث حصلت على نسبة ١٨،٣٪ فى مجلة «الرائد» و ١،٥٪ في مجلة» النذير» و ١٤،٣٪ فى مجلة « الدعوة المهاجرة» و١٥،٤٪ فى مجلة « فلسطين المسلمة» و ١٥،٢٪ فى مجلة « البيان» و٨،٨٪ فى مجلة « الكلمة الطيبة»(٨).

٣- دراسة لفاروق أبو زيد بعنوان «الصحافة العربية المهاجرة» تهدف الدراسة إلى التأريخ لظاهرة هجرة الصحافة العربية منذ تاريخ ظهور أول صحيفة عربية

مهاجرة عام ١٨٨٥م حتى أوائل السبعينات من القرن الماضى كما تهدف الدراسة إلى تناول التجربة الحاكية للصحافة العربية المهاجرة والتى بدأت تتخذ شكل الظاهرة منذ عام ١٩٧٥م.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن هناك العديد من الأدلة التى تؤكد أن الصحافة العربية لم تعرف طريقها إلى الهجرة، إلا عندما افتقدت الصحافة حريتها، فإذا ما توفرت هذه الحرية انتفت مبررات الهجرة، ومن ثم، فإن هناك ارتباطًا وثيقًا بين درجة الحريات الصحفية فى مجتمع ما وبيئة ظاهرة الهجرة الصحفية، فكلما زادت مساحة الحريات الصحفية فى المجتمع، قلت نسبة الصحف المهاجرة، وكلما قلت مساحة الحريات الصحفية، زادت نسبة الصحف المهاجرة.

كما توصلت الدراسة إلى أن الهجرة الصحفية الاقتصادية لبعض الصحفيين العرب إلى المجتمعات النفطية فى الخليج، فقد تبين أن هذه الهجرة مؤقتة، هدفها محصور فى تحسين الدخل من جانب الصحفيين المهاجرين، والاستفادة من بعض الكفاءات والخبرات المهنية العربية من جانب الصحف الخليجية التى تعانى من نقص فى بعض مجالات المهنة الصحفية[٩].

ثانيًا: الدراسات الخاصة بتحليل الخطاب:

١- دراسة لحلمى محمد القاعود بعنوان: الصحافة المهاجرة، تهدف الدراسة إلى تقويم الصحافة العربية المهاجرة من منظور إسلامى خالص، يقوم على الإنصاف وكما تهدف إلى عدم إدانتها بقدر ما تطمع إلى عرض صورة من الاستخفاف والضياع والميوعة التى تمارسها صحف قادرة – لو أرادت- أن تؤدى دورًا فعالًا ومضيئًا على طريق بناء الإنسان العربى المسلم وتحريره من السيطرة على المستوى المحلى، والخارجى وتهدف الدراسة كذلك إلى رصد مواقف الصحافة العربية المهاجرة من قضية الإنسان العربى خاصة والمسلم عامة من جوانبها المتعددة والقريبة من اهتمامات الناس مباشرة.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن الصحافة العربية المهاجرة

بصورة عامة تشكل ظاهرة خطيرة فى حياتنا الفكرية والثقافية، وأنها تقف إلى حد كبير فى جانب أعداء الإنسان المسلم فى بلاد الغرب والمسلمين، وأن الصحافة العربية قد بثت الشقاق بين أبناء الأمة المسلمة وتحيزت لمن يدفع لها، وأنها تبنت عن طريق العمد أو التبعية فكرة العلمانية والإطار القومى وإحلالهما مكان العقيدة الإسلامية كمنهج للتصور والسلوك(١٠).

٢- دراسة لمحمد شومان بعنوان: تحليل الخطاب الإعلامى، تهدف الدراسة إلى تحديد ماهية الخطاب، وهل الخطاب أداة للتحليل أم نظرية تفسيرية، وهل هو أداة محايدة أم أداة ومنهج يرتبط بنظرية عامة أو نظريات فى إدراك وتفسير الواقع، وهل هناك خطاب واحد أم خطاب وحيد أم أن هناك خطابات متصارعة وغير مكتملة وملتبسة ومتعارضة؟.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أنه يمكن استخدام تحليل الخطاب فى كافة مجالات البحوث الاجتماعية وفى مقدمتها البحوث الإعلامية، ولكن لا يمكن استخدام تحليل الخطاب كوسيلة للتحليل منفصلة عن قواعدها الأساسية النظرية والمنهجية، وأن مدارس تحليل الخطاب فى العالم تعكس حالة من عدم الاتفاق والجدل حول مفهوم الخطاب، وهل هو نظرية أو منهج، كما تعكس تعددًا فى استخدام أدوات وطرق تحليل الخطاب وحدود هذا التحليل(١١).

٣- دراسة لحسين العودات بعنوان: موقف الخطاب الإعلامى العربى من الغرب، تهدف الدراسة إلى الوقوف على الدور التى تؤديه وسائل الإعلام العربية فى تشكيل الصورة النمطية عن الغرب لدى الشعب العربى، وفى تحديد الموقف منه وسياساته، ومن جوانب التعاون المختلفة معه، ومحاولة تغيير الصورة النمطية القائمة وتدعيم التعاون بين العالم العربى والغرب، والعمل على إنجاحه والمساعدة فى إقامة علاقات متوازنة وصحية ومبنية على المصالح المشتركة وفى إطار الندية والتسامح، بعيدًا عن التعصب والكراهية المبنية على مواقف مسبقة.

وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج من أهمها: أن بعض الخطاب العربى الإعلامى اعتبر أن الحداثة نتاجًا غربيًا صرفًا وليس تطورًا طبيعيًا للمجتمعات الإنسانية بما مر

عليها من صراع الطبقات والدول المفاهيم، وأن الخطـاب الإعلامـى العربـى لم يتخـذ موقفًا صحيحًا واضحًا معاصرًا متنورًا من الدين الإسلامى، ولم يهتم بتجديد الخطاب الدينى وتنقيته من شوائبه التى تتعارض أحيانًا مع صحيح الدين، وأن العولمـة مفهـوم شامل متعدد الجوانب يطال جوانب الحياة جميعها، وأنها ليست شرًّا كلها(١٢).

٤ - دراسة لمحمد أحمد يونس بعنوان: الخطاب الـدينى والواقـع المعـاصر، تهـدف الدراسة إلى رصد وتحليل مفهوم الخطاب الإسلامى وضرورة تجديـده وبيـان منهج التجديد وأولوياته، ورصد وتحليل وسائل الخطاب الإسلامى المبـاشر، وكذلك رصد وتحليل وسائل الخطاب الإسلامى غـير المبـاشر (عـبر وسـائل الإعـلام) ورصـد وتحليـل وسـائل الخطـاب الإسـلامى الإلكترونـى (عـبر الإنترنت) وكذلك تحليل مضمون الخطاب الإسـلامى فى عينـة مـن القـضايا المثارة على الساحة اليوم.

٥ - وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمهـا: أن الخطـاب الإسـلامى المثار على الساحة الإسلامية اليوم يتنوع وفقًا لأكثـر مـن معيـار، وأن عوامـل كثيرة تضافرت وأدت إلى تجميد الخطاب الإسلامى مما دعا إلى عدد من العلماء والمفكرين الإسـلاميين وقـادة المؤسـسات الدينيـة الـدعوة إلى تجديـده، وأن الخطاب الإسلامى بحاجة إلى التحلى بعدة سمات اتـصالية لكـى يكـون أكثـر فاعلية إلى جانب تضاؤل اهتمام الخطاب الإسلامى عـلى الإنترنـت بالقـضايا المعاصرة مثل قضايا القدس وحقـوق الإنـسان والعولمـة والإسـلام والعلـم والبيئة(١٣).

ثالثًا: الدراسات الخاصة بقضايا التبعية:

١ - دراسة لماجدة محمـد مخلـوف بعنـوان: التبعيـة الإعلاميـة والثقافيـة فى العـالم الثالث، وتهدف الدراسة إلى عرضة أوجه التبعية الإعلامية والثقافيـة وأثرهـا على دول العالم الثالث وخطورة هذه التبعية على الرأى العام فى الدول الناميـة لما لها من طبيعة خاصة.

وتوصلت الدراسـة إلى مجموعـة من النتائـج أهمها: أن الـدول المتقدمـة لن تقـدم للدول النامية مساعدات جادة فى اتجاه تكوين البنـى الأساسـية للوسـائل الإعلاميـة،

حيث إن نظرة هذه الدول المتقدمة للإعلام بوجه عام على أنه سلعة وليس من المعقول أن تفرط فى هذه السلعة عن طريق إنشاء منافس لها يمكن به الاستغناء عنها، وحيث إن البتى الأساسية فى الدول النامية لن تتم إلا عن طريق الدول المتقدمة فى صورة مساعدات مادية وخبرات فنية فإنه يكاد يكون الاعتماد عليها توجه غير صحيح[١٤].

٢ - دراسة لعواطف عبد الرحمن بعنوان: تجليات التبعية الإعلامية فى حرب الخليج: أكدت الدراسة على حقائق مهمة منها: أن النظام العربى الراهن الذى ولد أحضان الاستعمار الغربى فى مواجهة حركة التحرر الوطنى العربية ما زالت رموزه تمارس بإخلاص وولاء تأمين الوظيفة الأساسية لهذا النظام، وهى خدمة للمصالح الغربية وخصوصًا الأمريكية على حساب مقتضيات الأمن القومى العربى فى حدوده لدينا وعلى حساب مصالح الشعوب العربية فى حدودها القصوى، وكذلك تبعية الإعلام العربى للحكومات تبعية عمياء، لا تراعى أصوليات المهنة ولا مصالح الشعوب.

وتوصلت الدراسة إلى أن الإذاعات العربية اعتمدت أساسًا على الإعلام المصرى الذى تمكن تكنولوجيًا وإذاعيًا وتليفزيونيًا من تغطية المنطقة العربية أكثر من سواه من وسائل الإعلام العربية المرئية والمسموعة، وأن الحرب سجلت غياب المراسلين الإعلاميين العرب عن ميادين القتال إلا بعض الاستثناءات القليلة لبعض المراسلين المصريين الذين فرضت السلطات العسكرية الأمريكية قيودًا شديدة على حركتهم، وأن تقارير مراسلين الإذاعة والتليفزيون اتسمت بقدر ملحوظ من الضحالة والسطحية واعتمادها على النقل من الصحف والإذاعات الأجنبية، والتصريحات الرسمية والعجز عن نقل مواقف الدول التى كانوا يعملون فيها أثناء الأزمة[١٥].

٣ - دراسة لبسيونى إبراهيم حمادة بعنوان: العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى، تهدف الدراسة إلى محاولة فهم وتفسير العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى، وذلك بهدف تبيان طبيعة تلك العلاقة، والوقوف على النماذج المختلفة لهذه العلاقة والبحث فى جملة الظروف

والمتغيرات والخلفيات المؤثرة فى سيادة النماذج القائمة للعلاقة بين الطرفين، كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن التفاعل أو دراسة التأثير والتأثر بين الظاهرة الخاضعة للبحث أى المتغير التابع، وهو العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى وأكثر المتغيرات صلة بهذه العلاقة.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن الدول العربية ذات الشرعية المتآكلة والهيمنة الكاملة، والمغتربة عن ذاتها، قد خلفت نظامًا اتصاليًا تابعًا لها يضفى عليها الشرعية لتأمينها ويعضد من هيمنتها، ويعيد إليها ذاتها المفقودة، ونتيجة لذلك سادت أنماط للعلاقة بين الإعلاميين والسياسيين غير سوية فى معظمها، محصلتها النهائية اغتراب الإنسان العربى عن ذاته وانتهاك حقوقه، وفقدان الثقة فى هذين النظامين معًا، كما توصلت الدراسة إلى أن النموذج المأمول لسيادة العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى، بل بينهما معًا وبين الجماهير وبين المجتمع العربى والمجتمع العالمى هو النموذج الإسلامى الحضارى[١٦].

تعقيب على الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من الدراسات العلمية السابقة فى بلورة الفكرة البحثية وصياغة التساؤلات، حتى يتمكن الباحث من تناول الجوانب التى لم تتعرض لها الدراسات السابقة، والتى ظهر من خلال عرضها عدم تناولها للخطاب الصحفى للصحف العربية المهاجرة وطبيعته تجاه قضية التبعية، ولما كانت هذه النقطة البحثية لم تقم الدراسات السابقة بتحليلها، كان من الضرورى أن تأتى هذه الدراسة لتسد هذه الثغرة، وتناقش هذه القضية، وهى الخطاب الصحفى للصحافة العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية.

مشكلة الدراسة:

لقد كانت الدعاوى التى رفعتها الصحف العربية المهاجرة، تحمل عنوان، البحث عن حرية أفضل، وليس عيبًا أن تبحث الصحف عن مناخ أفضل تتحرك من خلاله أو عن مصدر أفضل للتوزيع والكسب، طالما يتم ذلك تحت راية أخلاقية وقانونية.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل قامت الصحافة العربية المهاجرة بأداء دورها على

أكمل وجه؟ وهل التزمت تلك الصحف الجيدة والنزاهة والموضوعية؟ أم أنها وقعت فريسة التبعية للأنظمة والحكومات، ولمن يدفع أكثر؟ ومما لا شك فيه أن الصحف العربية المهاجرة متهمة بالتبعية، للأنظمة السياسية التى تقوم بتمويلها، مما جعل ذلك ينعكس على خطابها الصحفى، الذى بات يؤيد هذا النظام ويدافع عن سياسة ذلك النظام، كل ذلك حسب قيمة الفاتورة المدفوعة مما أوقع هذه الصحف فى شر التبعية البغيضة وبالتالى، ليس صحيحًا ما يقوله البعض بأن حرية التعبير هى المسألة الأساسية والعامل الوحيد الذى يحرك الصحافة إلى الهجرة، لأن الصحافة العربية المهاجرة، ليست جميعها هاجرت بحثًا عن الحرية، أو دفاعًا عن مبدأ أو بحثًا عن استقلال المواقف، بل إن بعضها يصدر عن العواصم الأوربية ليكون الصوت المعبر والمدافع عن نظام عربى معين، وسياسته ومواقفه، بينما هناك جرائد ومجلات هاجرت لتكون وسيلة ابتزاز للأنظمة العربية بحيث تمدح الذى يدفع أكثر، وتهاجم الذى يمنع الإتاوة عنها[١٧].

ولا شك أن هذا الواقع انعكس على طبيعة الخطاب الصحفى الذى تقدمه تلك الصحف، ومن ثم كانت هذه الدراسة التى تتناول خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه ظاهرة من أخطر الظواهر فى المجال الإعلامى وقضية من أهم القضايا التى تشغل الحقل الصحفى وهى ظاهرة وقضية التبعية ومصادر التمويل الذى يؤثر على الأداء الصحفى، وتوجيهات الصحف وسياستها، ويوقعها فى شرك التبعية البغيضة للجهة التى تمول وتتبعه على هذه الصحيفة أو تلك، وليست التبعية حاصلة فقط لجهة التمويل المادى ولكن أيضا تكون لجهات التمويل الفكرى والثقافى الذى تغذى هذه الصحف بالآراء والمعتقدات والفلسفات أى الجهات والمصادر التى تمثل المرجعية الفكرية لهذه الصحف، سواء أكانت تلك المرجعية الفكرية فى الداخل أم فى الخارج على حد سواء.

تساؤلات الدراسة:

وانطلاقًا من حدود مشكلة الدراسة يمكن للباحث أن يطرح مجموعة من التساؤلات، ومن خلال الإجابة عنها يمكن أن تتجلى الحلول المختلفة المتعلقة بمشكلة الدراسة، ولقد جاءت التساؤلات على النحو التالى:

١- ما ماهية الصحف العربية المهاجرة؟

٢- ما الأسباب والدوافع التى تقف وراء نشأة وظهور الصحافة العربية المهاجرة؟

٣- ما أنواع الصحف العربية المهاجرة؟

٤- ما حقيقة الخطاب الصحفى، الذى تناولته الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية؟

٥- ما مصادر التمويل للصحافة العربية المهاجرة؟

٦- ما الأسباب التى أدت إلى هجرة الصحفيين والصحف العربية إلى الخارج ؟

٧- ما الأدوار التى لعبتها الصحافة العربية المهاجرة لصالح بعض الأنظمة العربية.

٨- ما مظاهر التبعية التى وقعت فيها ومارستها الصحافة العربية المهاجرة؟

٩- ما الأخطار المتوقعة إذا ما سقطت الصحف العربية المهاجرة، فى شراك التبعية البغيضة؟

١٠- ما الأدوار الإيجابية التى يمكن أن تقوم بها الصحف العربية المهاجرة؟

١١- ما الدور الذى يمكن أن تؤديه الصحف الغربية المهاجرة فى بث الوعى لدى القارئ العربى؟

نوع الدراسة:

تنتمى هذه الدراسة إلى حقل الدراسات الوصفية التى تستهدف تقرير طبيعة خصائص وسمات معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد يعتمد على جمع الحقائق والبيانات والمعلومات وتفسيرها وتحليلها واستخلاص دلالتها، وتصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعميمات بشأن الموقف والظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها(١٨).

والظاهرة التى يتصدى الباحث لدراستها هى خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية.

وتهدف الدراسات الوصفية إلى جمع المعلومات اللازمة لإعطاء وصف الأبعاد أو متغيرات الظاهرة المدروسة، وذلك من خلال تحديد ماهية الأشياء،

وتتفاوت درجة الوصف المطلوبة من دراسة لأخرى وفقًا لأهداف الدراسة وتساؤلاتها(١٩).

كما تنتمى هذه الدراسة منهجيًا إلى دراسات تحليل المستوى الثانى وذلك فى إطار توجهها واستهدافها مع التراث العلمى المتصل بخطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية.

وتحليل المستوى الثانى Second Analysis يعتبر أحد الأساليب المنهجية التى تستخدم للربط بين وصف نتائج عدد من الدراسات فى مجال موضوعى معين بهدف إعادة قراءة هيكلة النتائج التى خرجت بها هذه الدراسات فى دائرة أكثر شمولًا وتكاملًا(٢٠).

منهج الدراسة:

استخدم الباحث فى هذه الدراسة منهج المسح الذى يستخدم فى الدراسات الوصفية، وهو محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن أو النظام اجتماعى أو جماعة أو بيئة معينة وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة منها المستقبل(٢١).

وقد استفاد الباحث من هذا المنهج فى الوقوف على ماهية الصحف العربية المهاجرة وأنواعها وطبيعة خطاب تلك الصحف تجاه قضية التبعية.

كما استخدم الباحث فى هذه الدراسة أيضًا المنهج التاريخى الذى يشير إلى تسجيل وتصنيف ما مضى من وقائع وأحداث الماضى ولا يقف عند مجرد الوصف، وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس علمية ومنهجية دقيقة بقصد التوصل إلى جذور القضية وخصائصها وتقسيمات جوانبها بحيث تساعد على فهم الماضى بالإضافة إلى فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وتعود بنا لمعايشة نشأة القضية، وتطور حياتها والإيجابيات التى حققتها والسلبيات التى عانت منها.

فالمنهج التاريخى فى العلوم الاجتماعية يقصد به الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث فى الحوادث الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر، وبرجوعنا إلى التاريخ لا نحاول

تأكيد الحوادث الفردية ولا نهدف إلى تصوير الوقائع والشخصيات الماضية بصورة تبعث فيها الحياة من جديد وإنما نحاول تحديد الظروف التى أحاطت بجماعة من الجماعات أو ظاهرة من الظواهر منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها وما تخضع له من قوانين[٢٢].

وقد استفاد الباحث من هذا المنهج فى معرفة وتتبع النشأة التى كانت عليها الصحف العربية المهاجرة والوقوف على الدوافع التاريخية والأسباب الاجتماعية التى أدت إلى هجرة تلك الصحف.

أدوات الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الأدوات فى جمع المعلومات والبيانات التى فرضتها طبيعة الدراسة وتمثلت هذه الأدوات فيما يلى:

أ- الملاحظة المباشرة: وقد استفاد منها الباحث فى رصد ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة من خلال متابعتها والمعايشة الفعلية لها عن طريق الإسهام بالعمل بها والكتابة لها.

ب- المقابلة غير المقننة: وهى التى تتم بدون الإعداد المسبق للأسئلة بطريقة دقيقة وتفصيلية، كما تترك فيها حرية للمبحوث فى الاسترسال فى عرض خبراته وآرائه وأفكاره ووجهات نظره، وقد استخدمها الباحث فى الحصول على بعض المعلومات الأولية والأساسية التى أفادته فى التعرف على طبيعة الدراسة، وتعتبر هذه الأداة من الأدوات المهمة كذلك فى جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتعرف بأنها المحاولة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها أو أنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها فى بحث علمى، وهى أيضًا عبارة عن أسئلة مفتوحة للمستجوبين يقومون خلالها بالإجابة بأسلوبهم الخاص وتعطى للمبحوث درجة من الحرية لتقديم المعلومات طبقًا لظروفه[٢٣].

وقد استفاد منها الباحث من خلال مقابلة بعض القائمين بالاتصالات فى تلك الصحف وكذلك بعض الباحثين المهتمين بظاهرة الصحف العربية المهاجرة، والحصول منهم على المعلومات المطلوبة.

ج- تحليل مسار البرهنة: وهو أحد الأساليب التى يعتمد عليها الباحث فى تحديد الحجج والبراهين التى يعتمد عليها المتحدث لإثبات المقولات والأفكار الواضحة والصريحة فى الخطاب أو الحوار والتى تتخذ أساسًا للحكم على الاتجاهات الفكرية والعقائدية للخطاب والمتحدث(٢٤).

وقد استفاد منه الباحث فى تحليل وتفسير وتوصيف الأسباب والدوافع التى أدت إلى هجرة الصحف العربية إلى الخارج وكذلك تحليل الخطاب الصحفى لتلك الصحف ومعرفة موقفه من ظاهرة التبعية.

د- الدراسات العلمية والمؤلفات ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة: وقد شكلت هذه الأداة المصدر الرئيسى للحصول على المعلومات والبيانات التى ساعدت الباحث فى استكمال دراسته.

هـ - المواد الصحفية المتصلة بموضوع الدراسة والمنشورة فى الصحف العربية المهاجرة.

المجال الزمنى للدراسة:

تهتم هذه الدراسة برصد ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة فى مرحلتها الثانية والتى بدأت عام١٩٧٣م، وتوقفت عملية الرصد والمتابعة تلك عند عام ٢٠٠٠م، وهو العام الأخير فى القرن العشرين، كما قام الباحث بتحليل صحيفة « الحياة» ومجلة «الوطن العربى» خلال عام٢٠٠٠م تحليلًا كيفيًّا، للوقوف على مزيد من واقع الخطاب الصحفى للصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية، وابتدأ عام الرصد والمتابعة للصحف العربية المهاجرة من ١٩٧٣م؛ وذلك لأنه العام الذى صدر فيه أول صحيفة عربية مهاجرة من لندن وهى جريدة «الشرق الجديد» وتوقف الباحث عند عام ٢٠٠٠م؛ لأنه العام الأخير فى القرن الماضى ويمثل نهاية حقبة ذات خصائص متشابهة فى تاريخ الصحف العربية المهاجرة.

نتائج الدراسة والإجابة عن التساؤلات

ماهية الصحافة العربية المهاجرة؟

مصطلح الصحافة العربية المهاجرة من المصطلحات التى اختلف على تحديد ماهيتها، ولم يكن هناك اتفاق صريح بين كافة الباحثين والمثقفين حول هذا المصطلح ولفض هذا النزاع وحسم ذلك الخلاف، يحسن بنا أن نعود بالمصطلح إلى أصله وجذوره اللغوية لعل ذلك يسهم بعض الشىء أو يساعدنا فى وضع مفهوم لمدلول هذا المصطلح يمكن أن نتفق عليه، وخاصة صفة المهاجرة؛ لأن مصطلح الصحافة العربية قد لا نختلف حوله كثيرًا، لأنه من الوضوح بمكان بحيث لا يعطى مساحة للخلاف أو الاختلاف.

أما كلمة «المهاجرة» فهى فى الحقيقة هى محل النزاع الحقيقى، وعندما نلجأ إلى قواميس ومعاجم اللغة العربية، لنتعرف على أصل كلمة «الهجرة» يتبين أن معظم المعاجم تكاد تتفق على أن الهجرة تعنى الانتقال من المكان لآخر، أو الخروج من أرض إلى أرض أخرى وأن «المهاجر» هو المنتقل من بلد إلى آخر.

يقول ابن منظور فى مادة «هجر» والهجرة – بكسر الهاء – والهجرة بضمها، تعنى الخروج من أرض إلى أرض، والمهاجرون هم الذين ذهبوا مع النبى ﷺ، ويقال: تهجر فلان أى تشبه بالمهاجرين، ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «هاجروا ولا تهجروا» يقول أبو عبيد موضحًا مقولة عمر: أى أخلصوا الهجرة لله ولا تشبهوا المهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجر، وهو كقولك فلان يتحلم وليس بحليم، ويتشجع أى أنه يظهر ذلك وليس فيه.

يقول ابن منظور: وأصل المهاجرة عند العرب: خروج البدوى من باديته إلى المدينة، ويقال هاجر الرجل، إذا فعل ذلك كل مخل بمسكنه، منتقل إلى قوم آخرين بمسكنهم،

فقد هاجر قومه، وإن المهاجرين سموا بذلك لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا بها فى سبيل الله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال، حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده، من بدوى أو حضرى أو سكنه بلدًا آخر، فهو مهاجر(٢٥).

ويؤكد معجم آخر أن معنى «هاجر» أى ترك وطنه وهجر الشىء أو الشخص أى تركه وأعرضه عنه، ويقال هجر زوجته أى اعتزل عنها ولم يطلقها، وهجر بفلان أى استهزأ به.

وقد ورد الفعل «هجر» ومشتقاته فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين موضعًا وكلها تؤكد أن الهجرة تعنى الانتقال من مكان إلى آخر وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وأما مفهوم الصحافة العربية المهاجرة، من وجهة نظر الباحثين والمثقفين فقد جاء متباينًا، فيراها أحدهم بأنها الصحف التى تصدر فى إحدى الدول خارج الوطن العربى، وتطبع باللغة العربية، بهدف توزيعها فى العالم العربى، أو ربط المهاجرين العرب بوطنهم العربى الكبير.

ويراهم «سليم أبو الخير» مدير مكتب دارالصياد اللبنانية فى القاهرة أنها ليست إلا ظاهرة أدبية ثقافية سياسية عربية، قامت فى دول الغرب لتحقيق أهداف محددة، ويذهب مرسى نوشى نائب رئيس تحرير مجلة «الوطن العربى» إلى أن المجلة العربية المهاجرة، هى صفحات عربية تطبع باللغة العربية فى غير العالم العربى، لكنها موجهة للعالم العربى.

ويعقب «محمد وهدان» على هذه التعريفات بقوله: إن هذه التعريفات قاصرة عن الوفاء بمفهوم جامع للمجلة العربية المهاجرة، وذلك لأن تعريف أبو الخير يركز على أن المجلة العربية المهاجرة، ظاهرة فقط ولم يشر إلى تكنولوجيتها أو مضمونها، وأن تعريف النويشى خلط بين الجريدة والمجلة، ويقدم تعريفًا للمجلة العربية المهاجرة على أنها: مطبوع مغلف يصدر بشكل دورى فى إحدى البلاد الأجنبية بحثًا عن حرية افتقدها فى الوطن الأم، أو بحثًا عن التقنية المتقدمة فى دول الغرب أو للدفاع عن نظام عربى معين فى الخارج، وتهتم بعناصر الفن الصحفى، ويعرض على جمهور قد يكون عامًّا أو متخصصًا(٢٦).

ويرى «غالى شكرى» أن الصحافة العربية فى باريس ولندن لم تهاجر من موطن أصلى، وإنما هاجر بعض الصحفيين وأصحاب الصحف فى أوقات متقاربة أثناء الحرب اللبنانية، وهناك فى الغرب أسسوا مؤسسات صحفية جديدة وليست امتدادًا لمؤسسات كانت قائمة ويعتقد أن تعبير الصحافة العربية في الغرب، أدق وأشمل[٢٧].

ويرى «حلمى القاعود» أن الصحافة العربية المهاجرة، ظاهرة مسلحة بالمال والخبرة والتقنية الحديثة[٢٨].

ويرى «محمد وهدان»: أن كل الجرائد والمجلات العربية التى تصدر فى الدول الأوربية وغيرها من العواصم العالمية تعتبر مهاجرة، إذا نظرنا إليها من منظور لغوى خالص وبناء على مقولة ابن منظور، وأن هجرة الصحفيين العرب إلى الخارج تجعلنا نطلق على صحفهم «مهاجرة» بالتبعية[٢٩].

ويقسم «فاروق أبو زيد» الصحف العربية فى الخارج إلى أربع مجموعات: المجموعة الأولى: وهى صحف «الجاليات العربية» فى الخارج وهى تصدر باللغة العربية وتوزع بصفة أساسية على أبناء الجاليات العربية فى البلدان التى تصدر فيها، وهذه الصحف من النادر أن تسعى إلى التوزيع خارج حدود البلد الذى تصدر فيه، كما أن صدورها فى بلدان بعيدة عن العالم العربى حال بينها وبين التفكير فى التوزيع داخل الوطن العربى، لذلك فإن اهتمام هذه الصحف يكاد أن ينحصر فى تغطية نشاطات أبناء الجالية العربية فى البلد الذى تصدر فيه بالإضافة إلى نشر الأخبار متفرقة عن العالم العربى.

المجموعة الثانية: الصحافة العربية المهاجرة، وهى تلك الصحف التى اضطرت إلى الهجرة من الوطن العربى، أو تلك التى أصدرها صحفيون مهاجرون من الوطن العربى، وذلك بسبب افتقاد هذه الصحف وأولئك الصحفيون لحرية التعبير داخل أقطارهم العربية، وهذه الصحف تصدر وعينها على الوطن العربى وقضاياه ومشكلاته؛ لذلك فإن أغلب مادتها تتناول شئون العالم العربى، كما أن توزيعاتهم معظمه داخل الأقطار العربية.

المجموعة الثالثة: وهى تضم ما يسمى «الطبعات الدولية» لعدد من الصحف العربية المحلية مثل الأهرام الدولى والقبس الدولى والنهار الدولى، وهذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية موجهة بالأساس إلى قراء العرب فى الخارج.

المجموعة الرابعة: وهى تضم الصحف التى أصدرها صحفيون عرب بتشجع من حكوماتهم أو بدون معارضة منها فى بعض العواصم الأوربية وذلك للاستفادة من الإمكانات الصحفية المتطورة فى الغرب أو التحايل على بعض القوانين الصحفية المحلية التى تمنع الملكية الفردية فيه أو التى تحول دون إنشاء صحف جديدة ويتفق الباحث مع فاروق أبو زيد على استبعاد صحف المجموعة الأولى من مفهوم الصحافة العربية المهاجرة باعتبارها صحف «جاليات عربية فى الخارج» وكذلك استبعاد صحف المجموعة الثالثة، فهى طبعات عربية، يقتصر توزيعها على القارئ العربى وحده ، أما صحف المجموعة الثانية والرابعة فهى صحف عربية مهاجرة، إذا لو كان المناخ الصحفى فى العالم العربى، لا يعانى من القيود، وكانت الصحافة العربية تتمتع بحريتها، لما لجأت هذه الصحف إلى الصدور خارج أوطانها[٣٠].

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل الصحف العربية المهاجرة يمكن أن تكون صحف عربية دولية؟ ويجيب عن هذا التساؤل «فاروق أبو زيد» بقوله: ما أكثر الصحف فى العالم التى تدعى لنفسها صفة «الدولية» وما أقل الصحف التى ينطبق عليها هذا الوصف بالفعل.. ولكن هناك عدة معايير موضوعية تصلح لأن تكون مقياسًا للحكم على مدى دولية الصحيفة، ونعتقد بوجود ارتباط كبير بين الطابع الدولى لصحيفة ما وبين انتشار توزيعها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول وقوة تأثيرها داخل الحدود الوطنية وخارجها، والنابعة من عمق المضمون وتنوعه وإصدارها بلغة تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو إصدار طبعات منها بلغات متعددة.

ويحدد «فاروق أبو زيد» محددات ثلاثة تمثل العناصر الأساسية التى من الضرورى أن تتوافر مجتمعة فى الصحيفة الدولية، بحيث إذا فقدت الصحيفة عنصرًا منها فقدت طابعها الدولى، وهذه المحددات الثلاثة تتمثل فيما يلى:

١- انتشار التوزيع عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول.

٢- قوة التأثير داخل الحدود الوطنية وخارجها، وهى قوة نابعة من عمق المضمون وتنوع المادة الصحفية.

٣- الصدور بلغات تسمح للصحيفة بالوصول إلى قراء خارج نطاق حدودها الوطنية.

ويتفق الباحث مع «فاروق أبو زيد» فى أنه بالرجوع إلى المحددات الثلاثة لمفهوم الصحافة الدولية وتطبيقها على الصحف العربية المهاجرة جميعًا، نجد أنها لا ينطبق عليها وصف الدولية، وأنها تفتقد جميعها الشروط الواجب توافرها فى الصحيفة الدولية[٣١].

ويمكن للباحث أن يقدم تعريفًا للصحيفة العربية المهاجرة بأنها: تلك الصحيفة التى تصدر خارج الوطن العربى، وتقدم مادتها إلى القارئ العربى فى كل مكان، حيث إنها لم تجد المناخ المناسب أو الفرصة الملائمة لإصدارها داخل الأقطار العربية، فخرجت من موطنها الأصلى بحثًا عن أجواء وظروف تسمح لها بالصدور.

الأسباب التى أدت إلى ظهور الصحافة العربية المهاجرة

ما كانت الصحافة العربية المهاجرة - الظاهرة - إلا نتاجًا طبيعيًا لاكتشاف النفط فى البلاد العربية، وارتفاع أسعاره بصورة جنونية عقب حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، وكان طبيعيًا أن يقع اختيار النفط العربى من قبل الغرب - بعد أن ضرب لبنان - كمكان جديد للمصرف والصحيفة والخدمات، وبالإضافة إلى ذلك فإن الضجة الخطيرة والانفراط والتشرذم الذى حدث فى العالم العربى عقب اتفاقية «كامب ديفيد» التى وقعها الرئيس الراحل أنور السادات مع الكيان الصهيونى، كان أيضًا من أهم أسباب رواج ظاهرة هجرة الصحافة العربية، حيث أصبح كل نظام عربى فى حاجة إلى مطبوعة تدافع عن سياسته وتعبر عن آرائه تجاه هذه القضية أو تلك، وإلى جانب ذلك، فقد اختارت بعض الصحف العربية الهجرة إلى بلاد الغرب، كى تمارس، كل صحيفة حريتها فى النقد والمعارضة لما تريد من الحكام والأنظمة أو الهيئات والجماعات، لأن هذه فى داخل أى دولة عربية، سوف تحسب عليها، ولن تستطيع أن تقوم بهذا الدور من الداخل؛ كذلك لأن أى نظام عربى بطبيعة الحال له مصالحه مع دول المنطقة، وبالتالى لن يسمح لأية صحيفة على أرضه بتوجيه اللوم أو النقد أو المعارضة لأى نظام، أو دولة من دول المنطقة، وأيا كان الأمر، فإن هناك عوامل ودوافع عديدة، أدت إلى ظهور هذا اللون من الصحف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

١ - افتقاد بعض الصحف والصحفيين العرب فى العديد من الأقطار العربية لإمكانية التعبير عن أفكارهم ومواقفهم بحرية داخل أواطنهم، وذلك إما للطبيعة الاستبدادية لبعض أنظمة الحكم أو لوجود قيود قانونية على ممارسة الحريات الصحفية، بسبب وقوع الخلاف بين الصحف والصحفيين وبين الأنظمة الحاكمة فى بلادهم.

٢- تدخل قوة خارجية أجنبية أو عربية تحول بين الصحف والصحفيين وبين التعبير عن أفكارهم ومواقفهم وآرائهم.

٣- وجود قوانين للمطبوعات فى العديد من البلدان العربية تحول بين الأفراد وإصدار الصحف.

٤- قيام بعض الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى بالتشجيع على إصدار صحف عربية فى المهجر لتكون صوتا غير رسمى يعبر عن سياستها، ويدافع عن مواقفها ويتصدى للمعارضين لها. كذلك فإن بعض الأنظمة العربية تستخدم الصحف المهاجرة كسلاح إعلامى فى معاركها السياسية مع غيرها من الأنظمة العربية المخالفة له[٣٢].

٥- تأميم الصحافة المصرية أوائل الستينات من القرن العشرين.

٦- الأزمة اللبنانية والتى بدأت مشكلتها بالحرب الأهلية عام ١٩٧٥م وحولت لبنان إلى ميدان للصراع الأيديولوجى والمسلح بين الطوائف المختلفة، وبالتالى استحال بقاء الصحافة العربية داخل لبنان ولم يكن أمامها سوى الهجرة إلى دول الغرب، حيث الحرية الأوسع والقيود الأقل والتكنولوجيا الحديثة والحياة الآمنة.

٧- الانفراط والاختلاف الذى حدث فى الوطن العربى عقب اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر والكيان الصهيونى، حيث أصبح كل نظام عربى، فى حاجة إلى مطبعة تدافع عن سياستها وتنقل للعالم كله وجهة نظرها وكان الطريق ممهدًا عبر الصحافة العربية المهاجرة.

٨- نشوب حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران واستمرارها ثمانى سنوات، وقد دعا استمرار هذه الحرب لسنوات طويلة إلى الحاجة إلى مزيد من الاستقطاب السياسى والمزيد من الاحتياج الإعلامى الذى لبته الصحافة العربية المهاجرة، وقامت به بنجاح كبير، لمن يستطيع أن يدفع أكثر.

٩- رفض أى دولة عربية أن تقوم بدور لبنان بتحويل عاصمتها إلى منطقة «حرة صحفية» كما فعلت بيروت؛ وذلك لاعتقاد الكثيرين أن لبنان قد دفع ثمن

تحوله عمليًا إلى ساحة مفتوحة للحرب الإعلامية غالبًا، فكان من الطبيعى أن تتجه الصحافة العربية إلى العواصم الأوربية(٣٣).

ويذكر أحد الباحثين أنه ليس صحيحًا ما يقوله البعض بأن حرية التعبير هى المسألة الأساسية والعامل الوحيد الذى يحرك الصحافة العربية للهجرة؛ لأن الصحافة العربية المهاجرة ليست جميعها هاجرت بحثًا عن الحرية، أو دفاعًا عن مبدأ أو بحثًا عن استقلال المواقف، بل إن بعضها يصدر فى العواصم الأوربية ليكون الصوت المعبر والمدافع عن نظام عربى معين، وسياسته ومواقفه، وهناك جرائد ومجلات هاجرت لتكون وسيلة ابتزاز للأنظمة العربية بحيث تمدح الذى يدفع أكثر وتهاجم الذى يمنع «الإتاوة» عنها، وهذا النوع من الصحف يطلق عليه «صحافة الابتزاز» أو «صحافة التشهير»(٣٤).

أيا كانت الأسباب التى أدت إلى ظهور تلك الصحف العربية فى بلاد الغرب فنحن أمام ظاهرة من الظواهر الصحفية، التى تستحق من الباحثين والمعنيين والمهتمين بالعمل الإعلامى والفكرى أن يقفوا حيالها، لدراستها وتحليلها، بل ومساءلتها.

ومهما يكن من أمر، فإن الصحافة العربية المهاجرة، أصبحت اليوم ظاهرة وحالة لا يمكن تجاهلها، وتزداد أهمية هذه الظاهرة يومًا بعد يوم؛ ذلك أن عدد الصحف العربية المهاجرة، سواء التى توقفت عن الصدور أو التى ما زالت مستمرة، أصبح مرتفعًا فقد لا نجد عاصمة كبرى من العواصم الأوربية إلا وبها عدد من الصحف العربية المهاجرة وعلى رأس هذه العواصم، باريس ولندن وواشنطن، وإن كان البعض انتقد الصحف العربية المهاجرة، وطعن فى مصداقيتها وفى الدوافع والأسباب التى تقف وراء ظهورها فإن هناك من يتبنى موقفًا آخر، ويدافع عن تلك الصحف ويشير إلى أن الدور الكبير الذى تلعبه المجلة العربية المهاجرة كوسيلة اتصال جماهيرية، لا يمكن أن تتجاهله خصوصًا فى الربع الأخير من القرن العشرين، حيث برزت هذه الصحف، الظاهرة قائمة بذاتها، مسلحة بالمال والخبرة والتقنية الحديثة، واستطاعت من موقفها فى المهجر أن تطرق أبواب القارئ العربى من كل مكان، وتقدم له الأحداث الساخنة التى تجرى فى الوطن العربى والعالم، ومن هنا فقد حاولت الأنظمة العربية المختلفة شراء هذه الصحف بطريقة الدعم المباشر تارة والدعم غير المباشر تارة أخرى، ولكن

ظلت كثير من هذه الصحف بعيدة عن تلك المؤثرات ويكفى تدليلًا على ذلك أن نشير إلى أن مليارديرًا عربيًّا عرض على «سليم اللوزى» رئيس تحرير مجلة «الحوادث» التى تصدر باللغة العربية من لندن، شيكًا بمبلغ خمسة ملايين دولار وعقدًا لمدة عشر سنوات بمرتب شهرى قدره عشرة ملايين دولار لكى تكون ثمنًا لمجلة «الحوادث»، وتصبح صحيفة نظام ولكن «اللوزى» رفض هذا العرض المغرى، وقال: إننى أريد تحويل هذه المجلة إلى مؤسسة لا يبعها لمن يدفع أكثر[٣٥].

وأيا كان من الرأى فى الأسباب والدوافع التى أدت إلى ظهور الصحافة العربية المهاجرة وحقيقة الدراسة والاهتمام وإن كانت كل وجهة نظر أو رأى بشأن البواعث وراء الصدور لا يخلو من حقيقة، وإن كان لا يتملك الحقيقة الكاملة.

وأرى أن تلك الصحف اختلفت أسباب نشأتها وبواعث صدورها حسب الأهداف والأغراض التى وضعت لها، وحسب السياسة التحريرية التى انتهجتها.

فليس صحيحًا أن جميع الصحف العربية المهاجرة هاجرت من أجل الارتزاق والابتزاز، وليس صحيحًا كذلك أن كل الصحف العربية المهاجرة هاجرت من أجل الحرية وبحثًا عن متنفس للتعبير عن الآراء والمواقف.

أنواع الصحف العربية المهاجرة.

هناك معايير متعددة على أساسها يمكن تصنيف الصحف، فهناك معايير المحتوى أو الدورية أو النطاق الجغرافى، أو الجمهور المخاطب إلى غير ذلك من معايير...

ولكن الباحث فى هذه الدراسة يقسم الصحف العربية المهاجرة، على أساس التوجه والهدف من الإصدار، ومن ثم يمكن أن نقسم تلك الصحف إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الصحف التجارية.

القسم الثانى: الصحف الإسلامية.

ويمكننا تعريف الصحف التجارية بأنها: تلك الصحف التى تصدر فى الأساس على أنها مشروع تجارى إعلامى، يهدف أصحابه بالدرجة الأولى الربح والكسب من وراء إصداره.

أما الصحف الإسلامية فهى: تلك الصحف التى يصدرها أصحابها من أجل توصيل رسالة إعلامية، وليس الربح أو المكسب دافع وراء الإصدار وإن كانت تسعى إلى تحسن الموقف المالى عبر وسائل التمويل المشروعة كالإعلانات والاشتراكات والتوزيع وغير ذلك.

فالصحف التجارية التى تسعى إلى تحقيق الربح والتوسيع التجارى، فإن وقوف البعض وراءها ودعمها ومساندتها، لا يكون ذلك إلا لمنفعة أو مصلحة تخص تلك الجهة الداعمة والممولة سواء أكانت تلك الجهة أفردًا أم نظمًا أو هيئات، ولذلك نرى تلك الصحف التجارية قد انحازت بشكل أو بآخر إلى الجهة أو الوجهة التى يريدها الممول صاحب الدعم المالى.

وهذا يجعل البعض يُسمى بعضًا من هذه الصحف التجارية بالصحف «الارتزاقية»

وهذا النوع من الصحف للأسف الشديد كان الدافع وراء هجرته إلى الغرب هو التكسب أو الارتزاق بالمعنى الأخلاقى وبالأسلوب الذى يحقق أكبر قدر من الدخل، أيا كان هذا الأسلوب مشروعًا أو غير مشروع.

ويرى أصحاب هذا الرأى أن الحكم هذا ليس عشوائيًا أو ضربًا من التخمين، بل هو الواقع الذى تؤكده الأدلة والوقائع؛ لأن المفروض فى صحف مهاجرة تزعم أنها تبحث عن مناخ أفضل ملىء بالحرية والحركة والحيوية، أن تعالج قضايا الوطن العربى المسلم بدرجة من الإنصاف والموضوعية، ولكن على حدود قولهم لم تفعل الصحافة العربية المهاجرة شيئًا من ذلك، بل أسهمت فى تعميق الواقع المشوه، وأسهمت فى زيادة الفرقة والإختلاف ووقفت من وراء من يدفع لها فقط، إن منطقة الارتزاق بالمعنى الأخلاقى هو الذى جعل الصحف العربية المهاجرة تقف فى جانب بعض الدول العربية ضد بعضها الآخر، بينما الموقف الأخلاقى يحتم عليها أن ترفع راية الحق والعدل والوحدة والتضامن والسفارة الخيرة بين الدول العربية والتبشير بالأمل لتخطى الأزمات والدعوة إلى الحريات(٣٦).

ولا شك أن هذا الرأى يحمل فى طياته الكثير من أمارات وعلامات الصحة، ولكنه فى الوقت نفسه لا يستطيع الباحث أن يسحبه على كافة الصحف العربية المهاجرة، خاصة هذا النوع الذى وصف بأنه «صحف تجارية» فليس معنى تجارى بالضرورى أن يحمل معنى الارتزاق والتكسب غير المشروع، إذ يوجد من بين هذه الصحف من يتحرك بهدف الكسب المشروع والتربح الأخلاقى بعيدًا عن الابتزاز والارتزاق.

وهناك العديد من الصحف العربية المهاجرة من النوع التجارى بشكل عام، ومن بين هذا النوع الصحف التالية:-

١- صحيفة «الشرق الجديد» أصدرها الصحفى الفلسطينى عبد الوهاب فتال، فى يناير ١٩٧٣م، جريدة شهرية.

وغلب على هذه الجريدة الطابع العام لصحافة الرأى، لذا من النادر أن تجد بها أخبارًا أو تقارير أو تحقيقات أو غير ذلك من فنون التحرير غير المقال الصحفى.

وكانت الجريدة تهاجم جميع الأنظمة العربية ولم تمتدح إلا نظامين عربيين:

الأول: النظام السعودى.

الثانى: النظام السورى.

حيث كانت الصحيفة تتلقى دعمًا ماديًا من المملكة العربية السعودية وسوريا، بل إن عبد الوهاب فتال ادعى أن الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه، هو الذى أشار عليه بالسفر إلى لندن وإصدار جريدة لخدمة العروبة والإسلام[٣٧].

٢- صحيفة «العرب» وهى أول جريدة عربية يومية بالحجم العادى، وصدر العدد الأول منها فى لندن أول يونيو ١٩٧٧م.

تحت شعار «العرب لكل العرب» وشعار «من المحيط إلى الخليج وطننا والقومية غايتنا» ورأس تحريرها الصحفى الليبى «أحمد الصالحين الهونى» الذى كان يشغل وظيفة وزير الإعلام الليبى عام ١٩٦٩م.

٣- مجلة «٢٣ يوليو» وهذه المجلة أنشأها الصحفى المصرى محمود السعدنى فى لندن، للوقوف ضد اتفاقية «كامب ديفيد» ومعاهدة السلام بين مصر والكيان الصهيونى، التى وقعها الرئيس المصرى الراحل «أنوار السادات»، بالإضافة إلى الدفاع عن مبادئ ثورة «٢٣يوليو» ١٩٥٢م وزعيمها الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر».

٤- مجلة «الوطن العربى» صدر العدد الأول فى ١٧ فبراير ١٩٧٧م وقد أسسها وليد أبو مظهر فى باريس.

٥- مجلة «الحوادث» وهى واحدة من أهم المجلات العربية المهاجرة تأسست عام ١٩١١م، واستمرت فى الصدور فى لبنان حتى عام ١٩٧٨م، ثم اضطرت للهجرة إلى لندن، بعد أن تعرضت للاعتداءات المسلحة من الميلشيات اللبنانية المتصارعة[٣٨].

٦- جريدة «الحياة»وهى جريدة يومية، صدرت أساسًا فى بيروت منذ ٢٨ يناير١٩٤٦م، لصاحبها ورئيس تحريرها كامل مروة، وقد احتجبت عن الصدور فى لبنان عام ١٩٧٦ بسبب ظروف الحرب الأهلية فى لبنان، لتعاود الظهور من لندن فى ٣ أكتوبر١٩٨٨م، وقد حمل العدد الأول الصادر فى لندن رقم٩٤٧٧، وهذا يدل على أن الإصدار الجديد إنما هو امتداد واستمرار للإصدار القديم، وأن الحياة اللندنية هى نفسها الحياة «البيروتية».

حملت ترويسة الجريدة فى إصدارها الجديد أسماء جهاد الخازن رئيس لمجلس الإدارة وجميل مروة رئيس التحرير[٣٩].

وكذلك هناك العديد من الصحف العربية الإسلامية المهاجرة ومن بين هذا النوع الصحف التالية:

١- مجلة «الدعوة» هى لسان حال جماعة «الإخوان المسلمين» فى مصر، وعندما أغلقها الرئيس الراحل أنور السادات ضمن قرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١م، أعاد التنظيم العالمى للإخوان المسلمين إصدارها بصفة شهرية عن طريق المركز الثقافى الإسلامى بالنمسا فى بداية شهر نوفمبر ١٩٨١م، وكانت «الدعوة المهاجرة» امتداد واستمرار للدعوة فى مصر حيث بدأ الإصدار الجديد بالعدد رقم (٦٦) حيث كان العدد المصادر فى القاهرة رقم (٦٥) قدمت «الدعوة» المهاجرة نفسها للقراء على أنها: مجرد صوت إسلامى يحاول سد الفراغ الذى خلفه احتجاب المجلة الأصلية عن الصدور[٤٠].

٢- مجلة «المسلمون» صدر العدد الأول منها فى لندن يوم الخميس ١٧ ديسمبر ١٩٨١م عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق التى يمتلكها الناشران السعوديان هشام ومحمد على حافظ على أنها مجلة كل مسلم، وأنها لن تكون طرفًا فى أى خلاف بين الدول الإسلامية، ولن تؤلب فئة إسلامية على أخرى وسيكون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما جاء به السلف الصالح رضى الله عنهم، دستورها ومرجعها فى معالجة كافة الأمور[٤١].

٣- مجلة «الرائد» إسلامية شهرية سنتها عشرة أعداد، صدر الأول منها فى مارس ١٩٧٢م عن المركز الإسلامى فى آخن بألمانيا، وقدمت نفسها على أنها مجلة كل مسلم، يرفض واقع المسلمين الراهن ويلهب صدره الحنين إلى الحياة الإسلامية الحقيقية والحكم الإسلامى الحقيقى[٤٢].

٤- «البيان» مجلة إسلامية شهرية، صدر العدد الأول منها فى أغسطس ١٩٨٦م، عن المنتدى الإسلامى فى لندن، وكانت المجلة بدأت فى الصدور كل شهرين ثم تحولت إلى شهرية من العدد التاسع عشر[٤٣].

٥- مجلة «النذير» صدرت شهرية فى أول سبتمبر ١٩٧٩م، عـن جماعـة المجاهـدين السوريين فى لندن وهى إحدى فصائل الإخوان المسلمين، صـدرت لمواجهـة النظام الحاكم فى سوريا بقيادة حافظ الأسد، وحث الشعب السورى وإسقاط هذا النظام والدعوة إلى إقامة دولة إسلامية تحكم بشريعة الإسلام الحنيـف فى سوريا(٤٤).

خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية

مفهوم الخطاب من كلمات بسيطة: هو طريقة معينة للتحدث عن الواقع وفهمه، كما أنه مجموعة من النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها واستقبالها مما يؤدى إلى إنشاء أو فهم الواقع الاجتماعى، فالخطاب هو كل الأشياء التى تكون العالم الاجتماعى أو بعبارة أخرى، الخطاب هو واقعنا الاجتماعى وإدراكنا لهويتنا، أى أنه بدون خطاب لا يوجد واقع اجتماعى، وبدون فهم الخطاب لا يمكن أن نفهم واقعنا، ومن ثم تبدو أهمية تحليل الخطاب، فمن خلال منهجية تحليل الخطاب نستطيع تفسير الواقع الاجتماعى(٤٥).

والخطاب فى اللغة يعنى الكلام المنشور الذى تتضمن معان محددة وله بداية ونهاية، وهذا المعنى المشار إليه لمفهوم الخطاب فى اللغة، يقترب من مفهوم الرسالة الصحفية التى هى عبارة عن كلام منثور، وتشتمل على معان محددة، ولها بداية تتمثل فى المقدمة، ولها نهاية، تتمثل فى الخاتمة، كما فى مواد الرأى الصحفية غالبًا(٤٦).

ومن ثم فإن مفهوم خطاب الصحف العربية المهاجرة، يتحدد من خلال المضامين التى تناولتها تلك الصحف واتجاهاتها نحو قضية التبعية، أو المضامين التى تناولتها الصحف وتهدف من ورائها تكريس مفهوم التبعية، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، والتبعية فى أبسط معاينها تعنى عدم الاستقلال، أى أن تلك الصحف ليس لديها الاستقلالية الحقيقية فى اتخاذ قراراتها التحريرية، النابعة من قناعات مهنية، وإنما قراراتها التحريرية لتوجهات وإملاءات الجهة التى تتبعها أو التى تمول هذه الصحيفة أو تلك ممن تدين بالولاء والانقياد، وعدم الاستقلال هذا أو ما درج على تسميته بالتبعية يشكل خصيصة موضوعية تشترك فيها كافة بلدان العالم الثالث المتخلفة وإن تعددت درجاتها وأشكالها(٤٧).

كما يشير مفهوم التبعية إلى جوانب ثقافية وحضارية وسياسية وأمنية وعسكرية واقتصادية يمكن قياس بعضها من خلال مؤشرات كمية محددة تعتمد على إحصاءات وبيانات ولكن هناك جوانب مثل التبعية السياسية والاجتماعية، يصعب قياسها كميًّا، وهى التى تهتم بها الدراسة[٤٨].

والتبعية مصطلح تاريخى تأسست ضمن ما يعرف «بالنظرية الاستعمارية» التى أدت بهذا المصطلح إلى رفض لأطروحات الأزمة لمواجهة الركود الاقتصادى أساسًا[٤٩].

ولا شك أن هناك خطرًا شديدًا ينشأ عن هذه التبعية المنقادة بلا وعى ولا قدرة على المراجعة والانتقاء، الأمر الذى يستوجب الرصد والمتابعة والتحليل لأبعاد هذه القضية[٥٠].

ومن خلال عملية الرصد والتحليل لعينة من خطاب الصحف العربية المهاجرة، بنوعيها التجارية والإسلامية والوقوف على نتائج الدراسات والأبحاث العلمية السابقة حول ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة وموقفها من مسألة تكريس التبعية وتسويقها، نجد أن الصحف التجارية قد وقعت فى فخ التبعية السياسية وذلك بمسايرتها للحكام ودفاعها عن الأنظمة، طمعًا ورغبة فى المزيد من العطايا والهبات، بل وإننا وجدنا قسمًا من هذه الصحف لم تصدر إلا من أجل الدفاع عن حاكم أو التسبيح باسم نظام، وخاصة فى فترة السبعينات والثمانينات؛ لأن طبيعة هذه المرحلة، كانت تقتضى ذلك، حيث الخلاف العربى كان على أشده والتشرذم القومى كان على قدم وساق، وذلك بسبب معاهدة «كامب ديفيد» التى أبرمها الرئيس الراحل أنور السادات مع الكيان الصهيونى عام ١٩٧٨م، وإن ظهر أن هذا اللون من التبعية فيما بعد بدأ يغيب تدريجيًّا، حيث احتجبت العديد من الصحف العربية المهاجرة عن الصدور، بعد دخول الكثير من الدول العربية فى عملية السلام مع اليهود وتصالح تلك الدول مع النظام المصرى، فلم تعد الأنظمة العربية بحاجة إلى صحف تدافع عنها أو تتحدث باسمها[٥١].

وإذا أردنا أن نضرب مثلًا على تلك التبعية، فإن الملاحظة لمجلة «الوطن العربى» كانت تدافع باستمرار عن النظام العراقى وتتبنى كافة مواقفه وسياسته العربية

والدولية، فى الوقت الذى كانت المجلة تعارض مواقف وسياسات إيران وسوريا وليبيا بشدة، ويتضح ذلك من خلال سيادة السمات الإيجابية على صورة النظام العراقى فى المجلة، وهى بذلك تعتبر امتدادًا لسياسة جريدة «المحرر» التى كان يصدرها الناشر فى بيروت قبل هجرته إلى باريس، ومما يؤكد ذلك أن المجلة كانت تفتح صفحاتها للمقالات السياسية والفكرية التى يكتبها كبار المسئولين العراقيين أنفسهم لشرح سياسات النظام العراقى ومواقف، مثال ذلك سلسلة المقالات التى كتبها «طارق عزيز» رئيس الوزراء العراقى ووزير الخارجية عن النزاع العراقى الإيرانى(٥٢).

وفى الوقت نفسه، فقد ركزت المجلة على إبراز السمات السلبية للنظام الإيرانى وأعلنت «الوطن العربى» أن رفضها للنظام الإيرانى موقف مبدئى، إذ تؤكد أننا من «المحرر» فى لبنان إلى «الوطن العربى» فى باريس كنا فى طليعة الذين هاجموا نظام الشاه... ومنذ اليوم الأول لنجاح الشعب فى إسقاط الشاه، موقفنا المبدئى تحت عنوان دال هو «نحن مسلمون وعرب أيضًا» وإن الموقف الإيرانى من الأمة العربية المسلمة، هو الذى سيحدد موقف العرب من إيران الجديدة، ولكن السلطة الإيرانية الجديدة هى التى فرقت بين المبادئ والحقائق العلمية، فالإسلام الذى لا يحق لأحد أن يزايد به على العرب هو «الإسلام الواحد» وهذا الإسلام الواحد لا يقبل التصوير؛ لأنه من نسيج حياة العرب والمسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى المسلمة من قبل الخمينى بأربعة عشر قرنًا، إن الشعب الإيرانى العظيم أسقط الشاه فعلًا، لكن سلطته الجديدة لم تقم النظام البديل بعد، هناك سلطة بلا دولة ولا نظام ويستحيل على عاقل فى الدنيا أن يؤيد الفوضى إلى ما لا نهاية وبلا حدود، وهذه الفوضى هى الستار الذى يخفى عن عيون المشاهدين ما يجرى فى كواليس المسرح الإيرانى من الصراع الإيرانى من صراع صار على السلطة، ولكن لا يخفى عن العيون الإيرانية أنفسهم أنه يغطى على المشكلات الداخلية المتفاقمة بلا حدود(٥٣).

وإذا أشادت مجلة «الوطن العربى» بالنظام العراقى وساندته فى حربه مع إيران، وقامت بنشر العديد من التحقيقات الصحفية المدعمة بالصور عن تلك الحرب قائلة: بأن الحزب الجمهورى العراقى يستحق الحزب الثورى الإيرانى(٥٤).

فإن المجلة فى المقابل عارضت النظام السورى، واتهمته بأنه سبب كل المشكلات فى لبنان، لتدخله السافر فى شئونه[٥٥].

وعلى نفس الطريق الذى سارت عليه مجلة «الوطن العربى» تتبعتها فيه كل من مجلة «الدستور» فى لندن ومجلة «كل العرب» فى باريس، فتبنت «الدستور» سياسات النظام العراقى والدفاع عن مواقفه، والهجوم على معارضيه، والدفاع عن حزب البعث العراقى[٥٦].

وعندما تولى سمير خورى رئاسة تحرير مجلة «كل العرب» أصبحت المجلة لسان حال النظام العراقى فى العاصمة الفرنسية، وقد وصلت المجلة إلى حد الدعاية المباشرة للنظام العراقى ورموزه[٥٧].

ولئن بدت مظاهر التبعية للحكام والأنظمة تختفى شيئًا فشيئًا عن الصحافة العربية المهاجرة، فإن هناك جانبًا آخر من جوانب التبعية ما زال مستمرًا وقائمًا، ألا وهو التبعية فى مجال الفكر والثقافة والقيم، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى أن أصحاب تلك الصحف ليسوا من أهل الفكر الإسلامى، ولكنهم مصابون بلوثة الفصل بين الدين والحياة ومتأثرون بالفكر العلمانى والحدث، وإذا أردنا أن نذكر بعضًا من الشواهد التى تؤكد ذلك، فإن تلك الصحف تعج بآلاف الشواهد والأدلة، فهذه الصحيفة تدعو صراحة إلى الحداثة فى الأدب وتهاجم القرار الذى اتخذ بشأن بعض الروايات المرفوضة فى مصر فتقول الصحيفة: نسمع اليوم أن فى مصر من يطارد الإبداع والمبدعين مرة باسم مكافحة الإسلام وأخرى بحجة إدانة الإباحية وأدب الفجور، إن للدولة حق السماح بنشر أو عدم نشر أى كتاب فى مؤسساتها الرسمية، ولكن ليس من حقها أن تجعل نفسها الحكم والقاضى فى التعامل مع ما يكتب، ناهيكم عن التحريض الرسمى والعلنى ضد الكتاب ونتاجه[٥٨].

وتكتب الصحيفة نفسها، معلقة على ذلك الحدث فتقول: إن المثقفين المصريين أو قسمًا كبيرًا منهم، قد أسقط فى يديهم ويشعرون أن الدولة تخلت عنهم فى معركتهم «التنويرية» ضد قوى «الانقلاب والظلام»[٥٩].

وأهل التنوير التى تقصدهم الصحيفة، طبعًا، هم دعاة العلمانية والحداثة فى الفكر والثقافة والأدب، أما قوى الانقلاب والظلام، فالمراد بهم الإسلاميون الذين ينادون

بإقامة كافة مناحى الحياة على منهج الإسلام، ويقفون فى وجه كل شىء وافد يقوّض أركان المجتمع ويحدث شروخًا فى عقل الأمة، فهولاء فى نظر أهل الحداثة، انقلابيون وظلاميون، ورجعيون، ومتعصبون وبعيدون عن واقع الحياة وروح العصر، ولا يعرفون شيئًا عن الفنون والأدب ويريدون أن يعيشوا فى عصرنا بعقلية القرون الأولى.

فالواضح أن المجلة كان لها أفكارها المعارضة لأحكام الشريعة، وعلى سبيل المثال، عندما أصدرت المحكمة فى مصر قرارها بإلغاء قانون الأحوال الشخصية، عارضته المجلة بشدة وأبدت حزنها الشديد على إلغاء القانون؛ لأنه يتعارض مع الشريعة الإسلامية وقالت: إن القانون ألغى بفتوى من المحكمة الدستورية؛ لأنه يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، فشل أمام مدد دينى وسلفى رافض للاعتراف بقيم وفضائل «العصرية» والحضارة الحديثة، ألغى القانون؛ لأنه لم يجد الأصوات الليبرالية والأصوات النسائية التى تدافع عنه بحرارة وحماس إلى حد التضحية، وحتى الذين قادوا الليبرالية السياسية والانفتاح الاجتماعى والمتمثلين اليوم فى حزب الوفد سكتوا، بل إن الحزب نفسه يضم اليوم فى منبره النيابى أصواتًا راديكالية دينية لا تكف عن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية(٦٠).

هذا الموقف من مجلة «الوطن العربى» جعل أحد الباحثين يأخذ عليها اهتمامًا بقضايا بعيدة عن الإسلام، حيث إنها قد نشرت تحقيقات صحفية فى هذا المضمار، منها تحقيق عن باريس وبائعات الهوى المنحرفات، مما يجعل المجلة تسهم فى نشر الإباحية، وتستهين بعقلية القراء، وتبث فى آذانهم معالم الفوضى الجنسية السائدة فى الغرب، وتهيىء لتفريغ الوجدان المسلم من قيمه الإنسانية ومثله العليا وفطرته السوية(٦١).

وما يقال فى الأدب والثقافة والدين فى هذه الصحف، يقال أيضًا فى الفن بشكل عام، فهذه الصحف المهاجرة، انتهجت نهج تكريس التبعية الفكرية للغرب، الذى ليس لديه ضابط من مشروع أو دين إلا الهوى والمنفعة؛ ولذا نرى تلك الصحف قد أفردت وخصصت صفحات عديدة للحديث عن السينما، ليس على أنها صناعة وأداة تثقيف وتعليم وتربية وتهذيب، ولكن فقط كحرفة يحترفها البعض للشهرة والارتزاق والعبث الأخلاقى وقتل أوقات الشباب والتغرير بهم وذلك عبر الصور المبتذلة والصارخة، بل وشبه العارية(٦٢).

وفى هذا السياق تحرص الحياة اللندنية على تخصيص أربع صفحات من صفحاتها أسبوعيًّا عن الفن والفنانين والتمثيل والممثلين، تتحدث فيها عن أخبارهم وأعمالهم وحياتهم.. إلخ، مع أن هذه الصحيفة، اتخذت لنفسها شعارًا يقول: إن الحياة عقيدة وجهاد، وهو شطر لبيت من قصيدة «أحمد شوقى»، ولكن يبدو أن هذه العقيدة ليست هى الحاكمة أو الضابطة لكل ما ينشر عبر صفحاتها، وجهادها يتمثل فى أن تنجح فى محاولتها لرصد الواقع العربى الشائن فقط، ونقل ما يموج فيه من أفكار وآراء وتيارات وقضايا، وليس لديها خطة أو أهداف إصلاحية أو برامج تعمل من خلالها، كى ترتقى بالواقع إلى مستوى أفضل مما هو عليه، ولذلك يمكن القول: إن الصحف العربية المهاجرة التجارية، أفضل ما توصف به بأنها أسيرة الواقع بكل ما يحمل من سلبيات ومتناقضات(٦٣).

والحقيقة أن الاهتمام بالسينما والمسرح والفن عمومًا أمر ضرورى ولازم ولكن المشكلة الأساسية فى طريقة الطرح وأسلوب المعالجة ومنهجية التناول، لقضايا الفن، والتى انحصرت غالبًا فى متابعة الصحف العربية عمومًا، وحياة العاملين فى هذا المجال، ومن هنا ندرك أن مفهوم التبعية، يعنى العمل على تسويقها أو تكريمها بطريقة ما، ويعنى كذلك نشر أو عرض وتقديم وتناول ما من شأنه الانتقاص من الدين أو الحط من قدراته وفعاليته أو نشر ما يتعارض مع الأصول والقواعد العامة التى شرعها الله لعباده لتكون منهج الحياة لهم، أو الدعوة بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تبنى الآراء والمواقف التى تتخذها بعض الأنظمة السياسية، أو تبنى الآراء والمواقف الغربية فى الفكر والأدب والثقافة وغيرها من مجالات الحياة المختلفة مما يدفع البعض إلى التقليد الأعمى، والتبعية البغيضة.

وتأسيسًا على ذلك يمكننا أن نفهم تسويق التبعية على الصعيد السياسى أو الاقتصادى والثقافى والفنى والأدبى هو الأخذ عن الآخر بلا وعى أو تبنى آرائه والانطلاق من رؤيته للأحداث والمواقف، وعندئذ تفقد الصحيفة جانبًا من استقلاليتها وذاتيتها، ويمكننا أن نجعل بعضًا من أهم مظاهر التبعية التى وقعت فيها ومارستها الصحف العربية المهاجرة وتتمثل فيما يلى:

١- الدفاع عن بعض الأنظمة السياسية الحاكمة فى البلاد العربية وتعظيم دورها فى إدارة الأحداث الجارية والصراعات القائمة بحق وبغير حق.

٢- الهجوم على معارضى تلك الأنظمة، واتخاذ المواقف المضادة لحياتهم.

٣- تبرير وتوزيع الأخطاء والسلبيات التى تظهر على تلك الأنظمة.

٤- تبنى الآراء والمواقف التى تصدر عن هذه الأنظمة والدعوة إليها.

٥- إثارة النعرات القومية والشعوبية التى من شأنها إحداث شروخ فى الصف، وانقسام فى كيان الأمة.

٦- إشاعت الأفكار والفلسفات الغربية والمادية والمذاهب والملل الهدامة.

٧- التقليد الأعمى لأساليب الغرب فى تناول القضايا وعرض الموضوعات والمفاهيم المختلفة.

٨- إثارة القضايا والموضوعات التى لا وزن لها وافتعالها، ومحاولة إلهاء وإشغال القراء بها.

٩- التأثر بمناهجية الغرب فى العادات والتقاليد، حيث الحرية المفرطة والمنفلتة والغرائز الملتهبة والمكبوتة.

١٠- التبعية الفكرية للغرب وذلك بتبنى المقولات والأفكار التغريبية التى لا تتسق مع المبادئ الإسلامية والقيم والتقاليد العربية.

وأما موقف الصحف العربية الإسلامية المهاجرة، وخطابها تجاه قضية التبعية، فإن الموقف جد مختلف، حيث إننا لم نر هذه الصحف تسلك سبيل الصحف التجارية المهاجرة، فالصحافة الإسلامية المهاجرة، نجت من الوقوع فى فخ التبعية للأنظمة السياسية والحكام، فلم تقف وراء حاكم على حساب آخر ولم تنافح عن نظام سياسى ضد نظام آخر، وكان معيار القرب أو البعد من الحكام هو مدى تمسكهم بدينهم وتطبيقهم شريعة ربهم، واحترامهم لمبادئ الحق والعدل بين شعوبهم، فإذا ما هاجمت تلك الصحف حكامًا أو أنظمة، فلأنهم يستبدون فى حكمهم أو أنهم يطغون على شعوبهم أو لأنهم يقفون من الشريعة الإسلامية موقفًا سلبيًا، وما أثنت على حاكم أو نظام إلا لأنه يسعى لتطبيق الشريعة أو لأنه يقف حجر عثرة أمام الأطماع الغربية

والمؤامرات الاستعمارية، وهذا لا يعنى أن تلك الصحف كان بعضها لا يتلقى دعمًا من بعض الحكومات، فيذكر «فاروق أبو زيد» أن مجلة «العالم» التى كانت تصدر من لندن رغم أنها تدعى أنها ليست تابعة لنظام سياسى معين، إلا أن الدلائل تشير إلى أنها تتلقى دعمًا قويًا من الحكومة الإيرانية، وخاصة أن المجلة لا تنشر الإعلانات وهو ما يعنى عمليًا أنها تعيش على الدعم المالى والذى يأتيها غالبًا من إيران ومن منطقة الخليج أيضًا[٦٤].

ويرصد «فاروق أبو زيد» صورة الأنظمة العربية فى مجلة «الدعوة» فيرى أنها لا تهاجم سوى نظامين عربيين فقط هما النظام المصرى والنظام السورى، ؟ أما موقفها من بقية الأنظمة العربية فهو أقرب إلى الحياد، وإذا حدث ورأت المجلة من نظام عربى آخر سلوكًا أو موقفًا لا يتفق مع سياستها نجدها تكتفى بالنصح اللين أو الموعظة الحسنة، ويرى «أبو زيد» أيضًا أن هذا الموقف يعود إلى رغبة الإخوان المسلمين التى تصدر مجلة «الدعوة» المهاجرة باسمهم فى عدم الدخول فى معارك مع الأنظمة العربية لأسباب تتصل بإستراتيجية العمل السياسى للجماعة فى هذه الفترة، وكذلك لرغبة المجلة فى دخول أسواق التوزيع فى أكبر عدد من البلاد العربية[٦٥].

ولقد نجت كذلك الصحف الإسلامية المهاجرة من الوقوع فى فخ التبعية للأفكار والمذاهب الوافدة؛ لأنها بطبيعة الحال، ما خرجت إلى الوجود إلا لمحاربة هذه الأفكار وتلك التيارات الوافدة، وبيان عوارها وكشف زيفها وخطئها وخطرها، ولذلك اهتمت الصحف الإسلامية المهاجرة بقضية العلمانية؛ والسبب فى ذلك أنه قد تأثر كثيرون من الدول الغربية وقلدها كثيرون فى الدول الشرقية، ووضعت دساتيرها على أساس الفصل بين الدين والسياسة، منبهرة بالتقدم والحضارة المادية الغربية اعتقادًا منها أنها وليدة إقصاء الدين عن النشاط السياسى والاجتماعى، ولكن الإسلام يرفض العلمانية لأنه دين ودولة وحكم وسياسة واقتصاد واجتماع وتربية وأخلاق وعبادة وجهاد[٦٦].

كما هاجمت مجلة الدعوة، فكرة العلمانية وذكرت أنه لا علاقة لها بالعلم، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس بأن المراد بالعلمانية هو الحرص على العلم التجريبى والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم بما ذكر من معانى هذه الكلمة فى

البيئة التى نشأت فيها، وترى المجلة أن كلمة «العلمانية» تعبير غير دقيق ولو قيل عن هذه الكلمة «اللادينية» لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق، وكان فى الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح فى المدلول(٦٧).

ولكن إذا كان للباحث من مأخذ على تلك الصحف فى هذا الصدد، فإنه يتمثل فى حرصها على الدفاع عن التيار الذى تنتسب إليه، فترى صحيفة ذات توجه ما، تدعو إلى هذا التوجه وتدافع عنه، وقد تشتبك مع صحيفة إسلامية أخرى تناولتها بالنقد، وكذلك الأمر بالنسبة لصحيفة ذات توجه معين، نراها تدافع عنه وقد تدخل فى محاورات وانتقادات مع صحيفة أخرى تناولت هذه المسألة من قريب أو بعيد، والحقيقة أن هذا الانتماء أو ذاك لا يمثل عيبًا أو انتقاصًا للصحيفة فى حد ذاته ولا ينبغى أن يشعرها بالحرج، فتسعى إلى الدفاع عنه والدخول فى خصومات ومعارك بشأنه، فكل ذلك ليس من الصواب فى شىء؛ لأن كل هؤلاء على ثغرة من ثغور الإسلام، فليحذروا أن يؤتى الإسلام من قبلهم، فينبغى أولًا وآخرًا أن يكون ولاؤنا للإسلام وحده، مترفعين عن الرايات والشارات؛ لأنها وسائل للوصول إلى الحق الذى ندين به ونعمل له، وندعو إليه جميعًا.

تمويل الصحف العربية المهاجرة

يوجد اتهام معلق فى رقاب بعض الصحف العربية المهاجرة، وهو اعتمادها على الدعم المالى من قبل بعض الأنظمة العربية، وخطورة هذا الاتهام أنه يضعف من ثقة القارئ بهذه الصحف، كما أنه يحول ظاهرة الهجرة فى الصحافة العربية من كونها رد فعل لغياب الديمقراطية فى بعض الأنظمة العربية وأداة لمقاومة الاستبداد والديكتاتورية وكبت الحريات، لتصير مجرد أداة للدعاية السياسية أو الأيديولوجية يقتصر على الصحف العربية المهاجرة فى الوقت الحالى، وإنما هو اتهام قديم قدم ظاهرة الهجرة فى الصحافة العربية(٦٨).

ولقد تميز الربع الأخير من القرن الماضى بالاستقطاب شبه الكامل من قبل الأنظمة العربية، وأصبح من الصعب العثور على صحيفة عربية مهاجرة مستقلة بالمعنى الحقيقى، وقد ساعد على ذلك الارتفاع الكبير فى تكلفة إصدار الصحف فى أوربا، وهو ما دفع بالقلة النادرة من الصحف العربية المستقلة إلى الارتماء فى أحضان بعض الأنظمة العربية تحت ضغط الحاجة إلى التمويل، لذلك فقد حفلت هذه الفترة بتحولات كثيرة، تم فيها انقلاب كامل فى مواقف وسياسات بعض الصحف العربية المهاجرة، حيث انتقل بعضها من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وانتقل بعضها الآخر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وبذلك فقدت العديد من الصحف العربية المهاجرة مصداقيتها عند القارئ العربى(٦٩).

ولكن الباحث ينقل فى المقابل رأيًا يدافع عن تلك الصحف يقول: إن الدور الكبير الذى تلعبه الصحف العربية المهاجرة كوسيلة اتصال جماهيرى، لا يمكن أن نتجاهله، خصوصًا فى الربع الأخير من القرن العشرين، حيث برزت هذه الصحف، كظاهرة قائمة بذاتها، مسلحة بالمال والخبرة والتقنية الحديثة، واستطاعت من موقفها فى المهجر

أن تطرق أبواب القارئ العربى فى كل مكان، وتقدم له الأحداث الساخنة التى تجرى فى الوطن العربى والعالم، ومن هنا فقد حاولت الأنظمة العربية المختلفة شراء هذه الصحف بطريقة الدعم المباشر تارة والدعم غير المباشر تارة أخرى، ويكفى أن نعرف أن مليارديرًا عربيًّا عرض على «سليم اللوزى» رئيس تحرير مجلة «الحوادث» التى تصدر باللغة العربية من لندن، شيكًا بمبلغ خمسة ملايين دولار، وعقدًا لمدة عشر سنوات بمقابل شهرى قدره عشرة ملايين دولار، لكى تكون ثمنًا لمجلة «الحوادث» لتصبح صحيفة نظام، ولكن اللوزى رفض وقال: «إننى أريد تحويل هذه المجلة إلى مؤسسة لا بيعها لمن يدفع أكثر»(٧٠).

والحقيقة أن مسألة تمويل الصحف بصفة عامة من المسائل الشائكة، ولكن هناك أمرًا لا يختلف عليه اثنان، وهو أن الصحيفة مهما بلغ حجم توزيعها لا يمكن أن تفى بكل احتياجاتها، ومن ثم فلا بد من الاعتماد على مورد آخر غير التوزيع، تستند إليه وتعتمد عليه أى صحيفة لتغطية تكاليفها ومصروفاتها، ويمثل الإعلان الصحفى أهم مصدر لتمويل الصحيفة، لذلك تحرص كل الصحف على اجتذاب الإعلان إليها، حتى تستطيع من خلال عائده المادي أن تغطى احتياجاتها المالية.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن: ماذا تفعل الصحيفة إذا كانت نسبة الإعلانات المنشورة على صفحاتها لا تمثل نسبة معقولة من دخلها، قدرها المتخصصون فى الإعلان الصحفى على الأقل ٢٠٪ من عدد صفحات المطبوعة؟

والجواب: هو الدعم من الأفراد أو من الهيئات والمنظمات أو الأنظمة والحكومات، وإن لم يتوفر هذا الدعم للصحيفة التى لا يسد الإعلان احتياجاتها، فمصيرها التعثر ثم التوقف: ومن المقرر أن أى صحيفة لا تمثل الإعلانات موردها الأساسى، فإنها ولا شك تعتمد فى تمويلها على الدعم الخارجى، أى من خارج موارد الصحيفة الطبيعية المتمثلة أساسًا فى التوزيع والإعلان، والواقع أن تمويل الصحف ودعمها فى حد ذاته لا غبار عليه، ولكن متى تحول هذا التمويل إلى قيد يقيد حركة الصحيفة أو يوجهها الوجهة التى يريدها الممول، فهنا يكمن الخطر، وهنا يكون الخطأ والخلل، وليس عيبًا أن تبحث الصحف عن مناخ أفضل تتحرك من خلاله أو عن مصدر أفضل للتوزيع

والكسب، ما دام ذلك يتم تحت راية أخلاقية، فالسلوك الأخلاقى بالنسبة لعامة الناس، وللمهتمين بنشر الكلمة على وجه الخصوص، ضرورة حيوية، ويتحتم على المرء التمسك به إذا أراد أن يحترمه الناس ورغب فى كسب ثقتهم، وإذا تخلى المرء عن الخلق، خاصة إذا كان من المتعاملين بالكلمة، فإنه يتحول إلى شىء آخر له اسمه فى قاموس المنحرفين عن الجادة والطريق السوى[٧١].

والمشكلة التى تنجم عن اعتماد الصحيفة فى تمويلها على مصادر أخرى تتمثل فى الأفراد أو الحكام أو الهيئات والأنظمة، هى أن هذه المصادر تسعى للتأثير بشكل أو بآخر فى توجهات الصحيفة ومواقفها وحيدتها ونزاهتها واستقلالها ولكن الصحف ذات المبادئ والتى تؤسس فى الأصل من أجل الدفاع عن قضية أو من أجل الدعوة إلى فكرة أو مبدأ أو عقيدة، الصحف ذات الرسالة، لا يمثل تمويلها مشكلة بالنسبة لها، لأن الممول هنا يكون صاحب عقيدة ومبدأ، ويقف وراء هذه الصحف التى تدعو إلى هذا المبدأ أو تلك العقيدة، ولا يهدف من وراء ذلك إلا الحق والخير، ومن ثم لا يسعى إلى التأثير فى توجهها أو حيدتها أو استقلالها.

ويذهب محمد وهدان إلى تمويل الصحف العربية المهاجرة للجماعات الإسلامية يتم من خلال عدة مصادر هى:

أ- التمويل المباشر من جهات ودول عربية إسلامية.

ب- بيع النشرات الخاصة بالجماعة «للأعضاء» مقابل مبالغ رمزية.

ج- بيع المنتجات الغذائية والاستهلاكية بأسعار مرتفعة للغاية.

د- التبرعات التى تأتى من الأشخاص، حيث تنتشر معظم الصحف العربية للجماعات الإسلامية بأوربا فى مكان بارز وبها رقم حسابها المصرفى وتطلب من الأثرياء مساعدتها فى إصدار مطبوعاتها[٧٢].

ويرى فاروق أبو زيد استحالة اعتماد الصحف العربية المهاجرة على التمويل الذاتى، ويتساءل: من هم أصحاب المصلحة فى إصدار جريدة عربية يومية كجريدة الحياة، ومستعدون لتحمل خسارتها، لمدة خمسة أعوام؟!

ويقول: إن استقرار الخبرة التاريخية للصحافة العربية بشكل عام، سواء أكانت محلية أم مهاجرة، يؤكد بما يشبه اليقين أن مثل هذا المشروع لا يمكن أن يتصدى له حزب سياسى أو نظام حاكم، وفى حالة جريدة الحياة فإن تحليل محتواها الفكرى يستبعد أن يكون وراء إصدارها حزب سياسى، فلا يبقى أمامنا إلا الاعتقاد بأن وراء إصدار الجريدة نظام عربى حاكم[٧٣].

دور الصحافة العربية المهاجرة فى بث الوعى

من خلال الدراسة لعينة الصحف العربية المهاجرة بنوعيها، التجارية والإسلامية، والوقوف على ما سبق من دراسات وأبحاث علمية سابقة حول ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة، نحاول التعرف على الدور الذى يمكن أن تؤديه هذه الصحف فى بث الوعى بين القراء، ومدى قدرتها على نشر المعرفة بين الجماهير والأخذ بيدهم نحو الأفضل والأنفع فى مجالات الفكر والثقافة والأدب والسياسة، وأيضًا نحاول الوقوف على مدى فاعلية تلك الصحف وتفاعلها مع هموم الأمة ومشكلاتها، ومحاولة وضع معالم وأسس لهذه الصحف تبعدها عن الوقوع فى السلبيات التى وقعت فيها من تكريس لمفاهيم وأفكار تدعو إلى التخلف وتسوق فكر التبعية، وتخرج عن طبيعة الدور الذى يجب أن تقوم به، وكى تظل بعيدة عن هيمنة رأس المال أو السلطات السياسية أو المذاهب والتيارات الفلسفية والتغريبية التى لا تتفق مع أصولنا وعقائدنا وتاريخنا وحضارتنا، والباحث يريد هنا أن يلقى الضوء على الجانب الإيجابى والبنائى فى تلك الصحف العربية المهاجرة، حتى لا يفهم من التناول السابق أن هذه الصحف لم يكن عندها أو لديها ما تقدمه للقراء.

ومن هذا المنطلق نجد أن الصحف العربية المهاجرة التى وصفت بالتجارية، نراها قد اهتمت بالأحداث الجارية التى تحدث فى المنطقة العربية والعالم، فحرصت على أن تقدم خدمة صحفية للقارئ قل أن نجدها فى صحف أخرى، وذلك يرجع بطبيعة الحال، إلى طبيعة الإصدار لهذه الصحف، حيث إنها فى الغالب صحف يومية أو أسبوعية، ومعروف أن الخبر الصحفى والتقارير الصحفية هما العمود الفقرى لهذه النوعية من الصحف، ولا شك أن وقوف القارئ ورصده ومتابعته للأحداث التى تجرى من حوله يؤدى ذلك إلى زيادة الوعى وتعميقه لديه ولا يجعله ببعيد عن نبض الحياة وتفاعلاتها وتشابكاتها، وهناك سبب آخر يساعد تلك الصحف إلى القيام

بمتابعة ما يجرى وما يحدث داخل الأقطار العربية المختلفة والعالم، هو أن هذه الصحف تمتلك مكاتب تابعة لها فى معظم الأقطار، تمدها أولًا بأول بما يجرى ويدور داخل تلك البلدان الأمر الذى قد لا يتوفر لكثير من الصحف المحلية أو حتى الصحف الإسلامية المهاجرة.

ومن مظاهر الوعى والسعى نحو بثه لدى القراء لهذه الصحف، تبنيها للقضايا العربية ودفاعها عن حقوقها ومقدساتها، من بين ذلك ما نشر عن لسان الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد السعودى فى القمة الخليجية بالمنامة قوله: ما زلنا نواجه على الساحة السياسية القضايا نفسها التى شغلت حيزًا كبيرًا من اهتمامنا، وشكلت مصدرًا مستمرًا للتوتر وعدم الاستقرار فى منطقتنا، ويأتى فى مقدمة هذه القضايا، القضية الفلسطينية، والوضع المتدهور فى الأرض المحتلة والناجم عن العدوان الوحشى المستمر من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلى على أبناء الشعب الفلسطينى الباسل، وإننا إذ نحيى انتفاضه الأقصى المباركة، ونترحم على أرواح الشهداء الأبرياء، نجدد دعمنا ومساندتنا لنضال إخواننا الفلسطينيين، من أجل نيل حقوقهم المشروعة والدفاع عن قدسنا الشريف ومقدساتنا الطاهرة، ولقد كان لنا فى كل محفل ومؤتمر موقف ثابت، حرصنا على إبرازه والتأكيد عليه، وهو أن القدس الشريف قضية عربية إسلامية غير قابلة للتنازل والمساومة[٧٤].

وهاجمت صحيفة «الحياة» القرار أو الفتوى السعودية القائلة بحرمة قيادة المرأة للسيارة، وقالت: هذا المنطلق الثقافى وليس الدينى فى موقف المجتمع ليس محصورًا فى مسألة قيادة المرأة للسيارة، وإنما نجده حاضرًا فى مواقع ومسائل أخرى[٧٥].

وتؤكد الصحيفة أن الموقف من هذه المسائل فى الماضى والحاضر لم يكن إلا موقف المجتمع، والمجتمع وحده أولًا وأخيرًا، وإن محاولة تبرير هذا الموقف بالاستناد إلى منوعات دينية ليس أكثر من محاولة الاحتماء بالدين بحثًا عن التبرير والمساندة[٧٦].

وكتب الصحيفة نفسها تهاجم الفضائيات العربية التى حولت شهر رمضان إلى كباريه وسهرات مدخنة إلا ما رحم ربك وتقول: إن الشىء الغريب فى جدولة مواعيد عرض المسلسلات، نلحظه فى تلك الأوقات الحية التى يتحلق فيها المشاهدون حول التلفاز، وهى تخلو من البرامج والمسلسلات الروحية التى تتفق وأجواء رمضان، وقد

غيرت لمواعيد يغط فيها الناس فى نومهم، وطالبت الصحيفة التليفزيون العربى، أن يكف عن العبث بأعصاب الناس(٧٧).

وأيضًا من الجوانب المهمة فى الصحف العربية المهاجرة التى تبث من خلالها الوعى وتعمق بها الفهم وتنميه، تلك الصفحات التى تنشرها حول الإصدارات الحديثة والمؤلفات الجديدة سواء ما كتب فيها باللغة العربية أم ما ترجم إليها من لغات أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما.

وهناك من الموضوعات والصفحات المتخصصة الأخرى التى تقدمها تلك الصحف التى من شأنها أن تقوى وتنمى حالة الوعى لدى القراء.

ولا يريد الباحث أن يطيل هنا من ذكر الشواهد على إمكانية الصحف العربية المهاجرة أن يكون لها دور فى بث الوعى وتسويق الفكر الصحيح لدى القارئ العربى، هذا بخصوص الصحف العربية المهاجرة التجارية، أما الصحف الإسلامية المهاجرة، فإن هذا النوع من الصحف لم يصدر فى الأساس إلا من أجل بث الوعى وتسويق الفكر الإسلامى، والدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين.

ومن بين القضايا التى أولتها الصحف الإسلامية المهاجرة اهتمامها، قضية الصراع العربى مع العدو الصهيونى، وقد أبرزت أهمية الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير التراب الفلسطينى، وهذا الكفاح المسلح يقوم على فكرة التضحية حيث توضع الأرواح على الأكف لتوهب لنا الحياة فى عزة وأمن(٧٨).

وأكدت هذه الصحف أن الحل السلمى للقضية الفلسطينية يسلمنا لمزيد من التمزق والضياع ويحول بين أمتنا وبين الوحدة وجمع الصفوف ويباعد بيننا وبين منهج الله الذى فيه الخلاص من كل الضعف والهوان(٧٩).

كما وقفت هذه الصحف بجانب الجزائر، وأشارت إلى أن سلخ الجزائر عن إسلامها أو محاربة مشروعها الإسلامى، أو التآمر على العربية والتعريب، لمصلحة لغة أجنبية أخرى ومصلحة التغريب، هو أمر خطير جدًا على الصعيد الوطنى الجزائرى وعلى الصعيد العربى والإسلامى، فالعربية والإسلام هما صلة الوصل الوثيقة بين الشعوب والبلاد العربية والإسلامية، فالتآمر على العربية والإسلام فى الجزائر، تآمر على وحدة العرب والمسلمين جميعًا، والإسهام فى تحقيق المخططات الغربية الاستعمارية

الراهنة التى تهدف إلى تفكيك العالم العربى والإسلامى وفصله عن ينابيع وحدته ومقوماته الشخصية لاستكمال استبعاده السياسى والحضارى[80].

وطالبت حكام الجزائر وسائر القوى الجزائرية بالخطوات التالية:

١- الإفراج عن الشيوخ وسائر المعتقلين السياسيين دون تفرقة.

٢- رد الحقوق إلى أصحابها والمفصولين إلى أعمالهم وتعويض من لحقت بهم الأضرار.

٣- المصالحة الوطنية الشاملة والحوار الإيجابى بين مختلف الأطراف.

٤- استكمال الانتخابات والقبول بما يختاره الشعب ضمن جدول زمنى محدد[81].

وهذا نموذج آخر من الصحف الإسلامية المهاجرة يدل على مدى وعيها بقضايا الأمة، وبيان ما يجب علينا حيال الصهاينة المحتلين والأمريكان الظالمين، كتبت إحدى هذه الصحف تقول: العلاقة الإستراتيجية بين العدو الصهيونى وأمريكا هى علاقة لا نقول تاريخية، إنما هى علاقة مصلحية استغلها اليهود بأموالهم وإعلامهم ووصولهم لمراكز القرار، مما أنتج تلك العاطفة المعروفة بين الطرفين.. لذا وجدنا التعاون الكبير بينهم ووقوف الغرب بعامة والأمريكان بصفة خاصة بصفهم، وتأييد العدو الصهيونى فى عدوانه المستمر منذ قيام دولتهم عام ١٩٤٨م وحتى الآن، وتضيف.. إن كل ذلك الانحياز يجعلنا نكره الغرب والعدو الصهيونى والمتواطئين معه والمكبلين باتفاقيات الاستسلام، ونعتقد أن واجب الولاء والبراء يجعلنا نطالب بمقاطعة العدو وكل الشعوب المنحازة له، حتى يعلم أولئك قيمة أمتنا، وقدرتها على تطويعهم بهذا الأسلوب البسيط، ولو قاطعنا أولئك مقاطعة تامة فى كل ما يصدرونه لنا بخاصة أن هناك بدائل عنه لأذعنوا لنا ولكن هل نفعل[82].

كما هاجمت تلك الصحف الإسلامية الفكر العلمانى ووصفته بأنه فكر تخريبى وأن العلمانيين يريدون تخريب الإسلام[83].

ويرى محمد وهدان أن الصحافة العربية للجماعات الإسلامية بأوربا أدت دورًا مهمًا فى مواجهة أفكار العلمانيين ودحض أساليبهم وقال: ولعل هذا من الإيجابيات التى تحسب لها[84]:

وكذلك قامت الصحف الإسلامية المهاجرة بتفنيد شبهات الفرق والمذاهب الهدامة

كالقديانية والبهائية والنصيرية وغيرها من التيارات والأفكار التى تتصادم مع الفكر الإسلامى والعقيدة الإسلامية، وعلى كلٍّ، فإن الباحث يمكنه أن يقدم للصحف العربية المهاجرة بنوعيها وأن يضع أمامها بعضًا من العوامل أو المبادئ التى من شأنها أن تنمى الوعى وترشده لدى جماهيرها من القراء وتكون بمثابة محددات ومكونات لها فى هذا الصدد، وهى كالآتى:

١- تعميق الإيمان بالله وأركانه وشموله فى النفوس والقلوب.

٢- الوقوف ضد الهجمات التغريبية الشرسة على كل ما هو إسلامى.

٣- تبسيط العلوم والمعارف الحديثة ونقلها إلى القارئ العربى والمسلم.

٤- تصحيح المفاهيم والمصطلحات الخاطئة التى تنتشر فى أوساط المسلمين.

٥- محاربة كل مظاهر الخروج عن الدين والتقليد الأعمى للآخر فى المأكل والمشرب والملبس، وفى كل مظاهر الحياة، والدعوة لإحياء قيمنا وآدابنا وثقافتنا.

٦- رصد تحركات وأفكار الحركات والتيارات والمذاهب الهدامة والقيام بكشفها وتعريتها.

٧- كشف المؤتمرات المشبوهة والمؤتمرات والمخططات الاستعمارية التى تسعى إلى الهيئة والسيطرة على قدرات العالم الإسلامى.

٨- الدفاع عن قضايا الأمة وحقوقها ومقدساتها والدعوة إلى إحيائها فى نفوس الجماهير، حتى لا تموت بنسيانها والغفلة عنها.

٩- محاربة البدع والخرافات والمنكرات، وحث الجماهير على ضرورة التمسك بعرى الدين قرآنًا وسنة، حفاظًا على هوية الأمة وعقيدتها.

١٠- إحياء روح المقاومة وحب الجهاد والرغبة فى الشهادة فى سبيل الحق والعدل والحرية ودعوة الأمة للتصدى لكل مظاهر الظلم والطغيان والاستبداد.

١١- الدعوة إلى الأخذ بعلوم العصر، وتوطين التقنيات الحديثة، حتى نلحق بركب التقدم والارتقاء الحضارى.

١٢- الدعوة إلى تقديس العمل والإنتاج، وترسيخ مبدأ المواطنة والعمل على تنمية مقدرات الأمة وطاقاتها.

النتائج العامة للدراسة

ولقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها وصياغتها على النحو التالى:

١. توصلت الدراسة إلى أن ظاهرة هجرة الصحف العربية ظاهرة قديمة عرفتها الصحافة العربية فى فترة مبكرة من تاريخها ويرجع هذا التاريخ إلى عام ١٨٥٥م.

٢. أبرزت الدراسة أن هجرة الصحافة العربية الحالية هى الهجرة الثانية فى تاريخ الصحافة العربية وقد بدأت عام ١٩٧٣م.

٣. أظهرت الدراسة أن هناك فرقًا بين الصحافة العربية المهاجرة والصحف العربية الدولية حيث إن للثانية معايير ومحددات لا تنطبق على الأولى.

٤. أبرزت الدراسة أن ظاهرة الصحافة العربية المهاجرة، إن هى إلا نتاج طبيعى لاكتشاف النفط فى البلاد العربية وارتفاع أسعاره بصورة جنونية عقب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

٥. توصلت الدراسة إلى أنه ليس صحيحًا أن جميع الصحف العربية المهاجرة، إنها هاجرت من أجل الارتزاق والابتزاز وليس صحيحًا كذلك أن كل الصحف العربية المهاجرة هاجرت من أجل الحرية وبحثًا عن متنفس للتعبير عن الآراء والمواقف.

٦. أكدت الدراسة على أن مفهوم خطاب الصحف العربية المهاجرة تجاه قضية التبعية يعنى تلك المضامين التى تتناولها تلك الصحف وتهدف من ورائها إلى تكريس مفهوم التبعية سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر.

٧. توصلت الدراسة أن مفهوم التبعية فى أبسط معانيها فى الصحف العربية المهاجرة يعنى عدم الاستقلال أى أن تلك الصحف ليس لديها الاستقلالية الحقيقة فى اتخاذ القرارات التحريرية النابعة من قناعات مهنية وإنما تخضع قراراتها التحريرية لتوجهات وإملاءات الجهة التى تتبعها أو تمولها، هذه الصحيفة أو تلك.

٨. أكدت الدراسة على أن هناك معايير متعددة لتصنيف الصحف وأن المعيار الذى على أساسه تم تصنيف الصحف العربية المهاجرة هو معيار التوجه والهدف من الإصدار، ومن ثم أمكن تقسيم تلك الصحف إلى قسمين الأول: الصحف التجارية والثانى: الصحف الإسلامية.

٩. أكدت الدراسة أن فصيلًا من الصحف العربية التجارية المهاجرة قد وقع خطابها فى التبعية السياسية وذلك بمسايرتها للحكام ودفاعها عن الأنظمة.

١٠. تبين من خلال الدارسة أن عددًا من الصحف المهاجرة التى انتهج خطابها نهج التبعية بدأ عددها يتراجع تدريجيًا حيث احتجب العديد من تلك الصحف عن الصدور بعد دخول كثير من الدول العربية فى عملية السلام مع اليهود وتصالح تلك الدول مع النظام المصرى.

١١. توصلت الدراسة إلى أن التبعية السياسية للصحف العربية المهاجرة وإن بدأت فى التراجع إلا أن هناك التبعية الفكرية والثقافية التى ما زالت قوية ومستمرة فى تلك الصحف ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى أن أصحاب تلك الصحف والقائمين عليها ممن هم متأثرون بالفكر العلمانى والتغريبى والحداثى.

١٢. كشفت الدراسة عن موفق الصحف العربية الإسلامية المهاجرة وخطابها تجاه قضية التبعية بأنه كان خطابًا مختلفًا، حيث إنها لم تسلك سبيل الصحف العربية التجارية المهاجرة فلم تقع فى فخ الأنظمة السياسية ولم تقف وراء حاكم على حساب آخر ولم تنافح عن نظام سياسى ضد نظام آخر.

١٣. توصلت الدراسة إلى أن تمويل الصحف العربية المهاجرة من أفـراد أو هيئـات أو أنظمة يؤثر فى توجهاتها ومواقفهـا بـما يحقـق مـصالح الجهـة المموـلـة وأنـه يستحيل اعتماد تلك الصحف على التمويل الذاتى.

١٤. توصلت الدراسة إلى أن الصحف العربية المهاجرة بنوعيهـا أمكنهـا أن تقـدم خدمة للقارئ وذلك من خلال رصـدها للأحـداث الجاريـة التـى تحـدث فى المنطقة العربية والعالم، الأمر الذى يـساعد القـارئ عـلى تزويـده بالمعلومـات وتنمية وعيه السياسى.

هوامش ومراجع الفصل الثامن

(١) أشرف صالح، محمود علم الدين، مقدمة فى الصحافة ، القاهرة، مركـز جامعـة القـاهرة للتعلـيم المفتوح، ٢٠٠٤، ص ٧.

(٢) معن زيادة ، مجلة الفكر العربى، العدد (٥٠) السنة الثامنة مارس ١٩٨٨ ص ٤ .

(٣) فاروق أبو زيد ، الصحافة العربية المهاجرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ ، ص ٩.

(٤) السابق نفسه، ص ٥٧.

(٥) محمد شعبان محمد وهدان، تحرير المجلة العربيـة المهـاجرة والمحلية ، دراسـة مقارنـة بـين مجلتـى «الوطن العربى» «والمجلة» المهـاجرتين «والمـصور» و«روز اليوسـف» المـصريتين عـام ١٩٨٧م. ماجستير غير منشور «قسم الصحافة كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر ١٩٨٩ ص ٣٧.

(٦) السابقة نفسه ، ص ٤١.

(٧) محمد وهدان، تحرير المجلة العربية والمهاجرة ، المرجع السابق، ص٤٢ .

(٨) محمد شعبان محمد وهدان، الصحافة العربيـة للجماعـات الإسـلامية فى أوربـا، دراسـة فى النـشأة وتحليل المضمون، دكتوراه غير منـشورة ، قـسم الـصحافة كليـة اللغـة العربيـة بالقـاهرة جامعـة الأزهر.

(٩) فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة، عالم الكتب ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

(١٠) حلمى محمد القاعود، الصحافة المهاجرة دراسة وتحليل ، دار الاعتصام، القـاهرة الطبعـة الأولى ١٩٨٣م.

(١١) محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامى أطر نظريـة ونـماذج تطبيقيـة ، الـدار المـصرية اللبنانيـة القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(١٢) حسين العودان، موقف الخطاب الإعلامى العربى من الغرب ، مجلة حوار العرب ، العدد (١٣) السنة الثانية ديسمبر ٢٠٠٥م.

(١٣) محمد أحمد يونس، الخطاب الدينى والواقـع المعـاصر، وزارة الـشئون الإسـلامية إدارة الـشئون الدينية قسم البحوث والإعلام ، مملكة البحرين ٢٠٠٥م.

(١٤) ماجدة محمد عبد الهادى مخلوف التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالـث ومواجهتهـا، الفـن الإذاعى، العدد (١٠٤) السنة (٢٢) يناير ١٩٨٥م.

(١٥) عواطف عبد الرحمن، تجليات التبعية الإعلامية فى حرب الخليج، مجلـة الدراسـات الإعلاميـة ، العدد (٦٦) يناير مارس ١٩٩٢م.

(١٦) بسيونى إبراهيم حمادة ، العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى، عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد الأول والثانى ، يوليو المجلد (٢٣) يوليو ديسمبر ١٩٩٤م.
(١٧) راجع: حلمى القاعود، الصحافة المهاجرة، مرجع سابق، ص١٠.
(١٨) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعى، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ص ١٩٨ وسمير محمد حسين ، بحوث الإعلام ، عالم الكتب ، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩٩م. ص ١٣١
(١٩) محمد بن عبد العزيز الحيزان، البحوث الإعلامية أسسها وأساليبها مجالاتها، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ ص ٢٢٠.
(٢٠) عبد الباسط محمد حسن ، المرجع السابق، ص ٢٢١.
(٢١) جابر عبد الحميد وأحمد خيرى كاظم، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس، النهضة المصرية، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧م. ص ١٠٤.
(٢٢) عبد الباسط حسن، المرجع السابق، ص ٢٦٨.
(٢٣) محمد عبدالحميد، البحث العلمى فى الدراسات الإعلامية، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ وما بعدها.
(٢٤) السابق نفسه، الصفحات نفسها.
(٢٥) جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة جلا، بيروت ١٩٥٥م ص ٤١٤١.
(٢٦) محمد وهدان ، تحرير المجلة العربية المهاجرة والمحلية ، مرجع سابق، ص ٢٢ – ٢٣.
(٢٧) غالى شكرى، أزمة الصحافة العربية فى الغرب ، الدراسات الإعلامية، يناير ١٩٨٨ ص ١٠.
(٢٨) حلمى القاعود، الصحافة المهاجرة ، مرجع سابق، ص ٧.
(٢٩) محمد وهدان ، تحرير المجلة العربية المهاجرة والمحلية، مرجع سابق، ص ٢٣.
(٣٠) فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة، مرجع سابق ، ص ٤٥.
(٣١) فاروق أبو زيد، السابق نفسه ص ٤٥٢.
(٣٢) السابق نفسه، ص٤٦٣.
(٣٣) محمد وهدان، تحرير المجلة العربية المهاجرة والمحلية ، مرجع سابق ، ص ٦٧.
(٣٤) كرم شلبى، إعلامنا العربى فى أوربا، الإذاعة والتليفزيون، القاهرة، ١٧/ ٩/١٩٨٨ ص ٦، ٧.
(٣٥) السابق نفسه، الصفحات نفسها.
(٣٦) حلمى القاعود، الصحافة المهاجرة ، مرجع سابق، ص ٩٢٨.
(٣٧) محمد وهدان، تحرير الصحافة العربية المهاجرة والمحلية، مرجع سابق، ص ٦٨
(٣٨) السابق نفسه، ص ٦٩ وما بعدها.
(٣٩) فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة، مرجع سابق، ص ٣٥٢ وما بعدها.
(٤٠) الدعوة ، العدد (٦٦) السنة (٣١) نوفمبر ١٩٨١م، ص ٣
(٤١) المسلمون، العدد الأول السنة الأولى ١٧ ديسمبر ١٩٨١، ص ٣.

(٤٢) محمد وهدان، الصحافة العربية للجماعات الإسلامية فى أوربا، مرجع سابق ، ص ٧٧.
(٤٣) السابق نفسه ، ص ٩٦ وما بعدها.
(٤٤) النذير، العدد الأول ، السنة الأولى سبتمبر ١٩٧٩ ، ص ٣،٤.
(٤٥) محمد شومان، تحليل الخطاب الإعلامى أطر نظرية ونماذج تطبيقية ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ وما بعدها.
(٤٦) سلام أحمد عبده، الخطاب الصحفى الانتخابى لأحزاب المعارضة، مجلة الرأى العام كلية الإعلام جامعة القاهرة، المجلد الثانى، العدد الرابع، أكتوبر ديسمبر ٢٠٠١ ص ٩٥.
(٤٧) أسامة الغزالى حرب، الأحزاب السياسية فى العالم الثالث ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة ، الكويت، سبتمبر ١٩٨٧ ص ٦٣.
(٤٨) راجع: أحمد ثابت، الدولة والنظام العالمى مؤثرات التبعية ومصر، مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٢، ص ٦.
(٤٩) ناصر يوسف، التبعية الاقتصادية وأثرها فى صنع القرار السياسى دراسة حالة الجزائر، المستقبل العربى ، العدد (١٩٩١) مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت، ص ١١٧.
(٥٠) راجع: مصطفى عبد الواحد، خطر التبعية فى مجال النقد الأدبى ، مجلة المنهل، الرياض العدد (٥٩٣) أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٤ ص ٧٦.
(٥١) راجع أسماء الصحف العربية المهاجرة التى توقفت عن الصدور فى بداية التسعينات فى: محمد وهدان، الصحافة العربية للجماعات الإسلامية فى أوربا، مرجع سابق، ص ١٩ وما بعدها.
(٥٢) طارق عزيز، الصراع العراقى الإيرانى أسئلة ومناقشات من الذى بدأ الحرب؟ الوطن العربى ١٦ يناير ١٩٨١م.
(٥٣) الوطن العربى ٧ نوفمبر ١٩٧٩م.
(٥٤) الوطن العربى ٢٤ أبريل ١٩٨٧م.
(٥٥) السابق نفسه.
(٥٦) فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة ، مرجع سابق ، ص ١١٥.
(٥٧) السابق نفسه ، ص ١١٢.
(٥٨) عزيز الحاج ، محنة الثقافة العربية ومحنة أبو نواس معنا اليوم ، الحياة، لندن ، العدد (١٣٨١٦) ٢١ ديسمبر ٢٠٠٠ م ص ١٨.
(٥٩) صالح بشير، الحياة، لندن العدد (١٣٨١٩) ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٠ ، ص ١٨.
(٦٠) الوطن العربى ، العدد (٤٣٨) السنة التاسعة ٢٨ يونيو ١٩٨٥، ص ٣.
(٦١) محمد وهدان، تحرير المجلة العربية المهاجرة والمحلية ، مرجع سابق، ص ١٣٦، ١٣٧.
(٦٢) انظر صورًا نشرت لإحدى المذيعات وصورًا لبعض الفتيات على مساحة صفحة كاملة وهى شبه عارية فى الوطن العربى العدد (١٢١٤) ٩/ ٦/ ٢٠٠م ص ٥٢ - ٥٤.
(٦٣) الحياة، العدد (١٣٤٦٥) ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٠ ، ص ١٦.
(٦٤) فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥.

(٦٥) السابق نفسه، ص ١٨٥.
(٦٦) محمد وهدان، الصحافة العربية للجماعات الإسلامية فى أوربا، مرجع سابق.
(٦٧) الدعوة، علمانيون من بلاد الإسلام، العدد (١١٠) (١١١) السنة (٣٥) نوفمبر وديسمبر ١٩٨٥م ص ٢١.
(٦٨) فاروق أبو زيد، المرجع السابق، ص ٤٢٣.
(٦٩) السابق نفسه ص ٤٢٣.
(٧٠) محمد وهدان، تحرير المجلة المحلية والعربية المهاجرة، مرجع سابق، ص٢.
(٧١) محمد حلمى القاعود، الصحافة المهاجرة، مرجع سابق، ص٨.
(٧٢) محمد وهدان، الصحافة العربية للجماعات الإسلامية فى أوربا، مرجع سابق، ص٣٣٥.
(٧٣) فاروق أبو زيد، المرجع السابق ص٤٣٨.
(٧٤) راجع نص الكلمة كاملا، الحياة، لندن، العدد (١٣٠٦) ٣١٢ ديسمبر ٢٠٠٠م ص ٢.
(٧٥) خالد الدخيل، الحياة، لندن ٧ ديسمبر ٢٠٠٠.
(٧٦) خالد الدخيل، الحياة، لندن ١٤ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١.
(٧٧) عبد الله الحفرى، الحياة، لندن ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٠
(٧٨) الدعوة، النمسا، العدد (٩٠) ديسمبر ١٩٨٣ ص٣١.
(٧٩) الدعوة، النمسا، العدد (٧٦) سبتمبر ١٩٨٢ ص٢٦.
(٨٠) صلاح الدين النكدلى، الجزائر على مفترق طرق، الرائد، بون، ألمانيا، العدد (١٤٣) مايو ١٩٩٢ ص٣، ٤.
(٨١) السابق نفسه، ص٦.
(٨٢) البيان، المقاطعة أضعف الإيمان، العدد (١٥٨) السنة (١٥) يناير ٢٠٠١ ص١.
(٨٣) فلسطين المسلمة، لندن، العدد التاسع السنة (٢١١) سبتمبر ١٩٩٣ ص٢٤.
(٨٤) محمد وهدان، الصحافة العربية للجماعات الإسلامية بأوربا، مرجع سابق، ص٢١٨.





الدكتور شعيب الغباشى



عالم الكتب



ISBN 977-232-910-7



www.alamalkotob.com